

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

جامعة الكويت

كلية الدراسات العليا

برنامج التفسير و علوم القرآن

٢٠١٩
٢٠٢٠
٢٠٢١
٢٠٢٢

"الشيخ محمد الفزالي و أثره في الدراسات القرآنية"

أطروحة لاستكمال نيل درجة الماجستير
في التفسير وعلوم القرآن

إعداد

مناهل عبد الله عبد العزيز الزامل

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد العزيز صقر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد في كلية الشريعة - جامعة الكويت

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
رمز الكلية رقم (٢٧)
سائر رقم
التاريخ ١٩٩٩ / ٩ / ٢١



تشهد لجنة مناقشة أطروحة الماجستير المقدمة من الطالبة /
مناهل عبد الله عبد العزيز الزامل ، في برنامج التفسير وعلوم
القرآن ، والتي بعنوان : (الشيخ محمد الغزالي وأثره في الدراسات
القرآنية) ، بأنها أقرت وأجازت الأطروحة التي تقدمت بها
الطالبة ، بعد أن أجرت التعديلات التي طلبتها منها لجنة المناقشة .

توقيعات أعضاء اللجنة :

التوقيع

١٩١٩/٢٠

- السيد الدكتور / عبد العزيز صقر (مشرف الرسالة)

- السيد الدكتور / علي حسن السيد رضوان (عضو لجنة المناقشة)

- السيد الدكتور / علي أحمد فراج (عضو لجنة المناقشة)

يعتمد،،

مدير برنامج التفسير وعلوم القرآن

د. عبد العزيز إسماعيل صقر

١٩٩٩

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً يوافي نعمة ويكافئ مزيده ، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك ، سبحانك لا نحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين ... وبعد

الحمد لله الذي أسبغ عليّ نعمة الإسلام وخصّني بوالدين كريمين مسلمين اللذين كان لعطفهما عليّ وحسن تربيتهما لي أبلغ الأثر وأحسنه من حيث توجيهي لدراسة العلوم الشرعية والنهل من علومه ، قرب لرحمتهما كما ربياني صغيراً واغفر لهما وتقبلهما بواسع رحمتك وأقرّ عينيهما في جناتك .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

وانطلاقاً من قوله - صلى الله عليه وسلم - : " من لا يشكر الناس لا يشكر الله " (٢) . فإني أتوجه بجزيل الشكر لكلية الدراسات العليا وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت اللتين أتاحتان لي فرصة تكملة دراستي العليا فجزى الله القائمين عليهما خير الجزاء .

كما أخص بالشكر أستاذي الفاضل المشرف على رسالتي الدكتور عبد العزيز صقر على ما بذله من جهد ووقت لمتابعة رسالتي وتوجيهي للأصوب ، فقد كان لي نعم الأب والموجه قبل أن يكون الأستاذ المشرف .

كما أتوجه بعظيم الشكر والعرفان لأساتذتي الأفاضل : د. محمد عبد السلام ، د. أبي سريع محمد أبي سريع ، د. محمد سيد نوح ، ود. علي رضوان و د. محمد سالم على بذلهم جل وقتهم في القيام بكل ما من شأنه تذليل العقبات أمام طلبة العلم .

(١) الأحقاف : ١٥ .

(٢) أخرجه الترمذي - كتاب البر والصلة - باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك - ٤ / ٢٩٨ حديث ١٩٥٤ . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

وأرفع أكف الدعاء أن
وإخراجها على هذه الصورة بفائدة علمية أو نصيحة أو بدعوة بظهر الغيب .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلاماً على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

الطالبة / مناهل محمد الله الزامل .

﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، فيما لينذر بأسا شديدا من لدنه
ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات
أن لهم أجرا كبيرا ﴾ (٢)

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد الذي أنزل عليه القرآن هدى
ورحمة للمؤمنين ليكون معجزة رسالته ، وآية نبوته ، وبرهان صدقه وهدايا إلى سبيل السعادة في الدنيا
والآخرة ، تحدى به الإنس والجن في بلاغته وفصاحته وحسن بيانه ، وإحكام نظمه ، قال تعالى : ﴿ قل
لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
ظهيراً ﴾ (٣).

وتنزل معهم فتحدهم بسورة واحدة — بعد التحدي بعشر سور — فقال : ﴿ وإن كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (٤) .

وقال متحديا في هدايته : ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم
صادقين ﴾ (٥)

(١) الكهف : ٢،١

(٢) الإسراء : ٩

(٣) الإسراء : ٨٨

(٤) البقرة : ٢٣

(٥) القصص : ٤٩

الفصل الثاني : 'جهوده في علمه في عهد
المبحث الأول : كيف نزل ولماذا خلد ؟

المبحث الثاني : تاريخ النزول وسببه .

المبحث الثالث : ثبوت القرآن .

المبحث الرابع : جمع القرآن .

المبحث الخامس : موقفه من النسخ والرد عليه .

المبحث السادس : إعجاز القرآن الكريم .

الفصل الثالث : "دفاعه عن القرآن الكريم"

المبحث الأول : القرآن والعلم .

المبحث الثاني : القرآن والكشف العلمي .

المبحث الثالث : حملة صليبية على الإعجاز العلمي .

المبحث الرابع : فقه سيدنا عمر في تطبيق النص القرآني .

وأما الخاتمة فنكرت فيها أهم نتائج البحث والتوصيات . ثم فهارس الآيات والأحاديث والمراجع والموضوعات .

المنهج الذي سلكته في هذا البحث وأهميته :-

١. سلكت في هذا البحث طريقة عرض الموضوع أو المسألة بالتعريف بها ثم أذكر آراء العلماء فيها ثم انكر رأي الشيخ وأوضح مدى تأثيره بآراء السابقين ومدى استقلاله والاستنباط والترحيل والاختيار وأوازن بين الآراء وأبين هل وافق الشيخ الغزالي رأي جمهور العلماء أو خالفهم ، وأوضح نهجه في كل مسألة . فهذا المنهج منهج تحليلي نقدي حيث أذكر آراء العلماء ثم أتبعه بالنقد .

٢. حرصت على عزو كل نص من كلام العلماء والشيخ إلى مكانه عزوا صحيحا ، فإذا كان بنصه يكون بين علامتي تنصيص ، وأنكر المرجع بالهامش ، وأما المنقول بمعناه أو بتصرف فيه فلا يكون بين علامتي تنصيص ويحال إلى موطنه بلفظ "انظر" .

٣. عزوت الآيات الواردة في ذلك بقرص ممغنط من العالمية للقرآن الكريم بالرسم العثماني وطابقتة بالمصحف الشريف .

٤. خرجت الأحاديث ، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإنني أوردته ساكته عليه إذ تخريجه في هذين الكتابين أو في أحدهما يفيد الصحة ، أما إذا كان في غيرهما من كتب السنة فإنني أخرجته مبيّنة درجة الحديث ، وذلك طبقاً لقواعد الحديث ، واستعنت لذلك بقرص ممغنط بعنوان موسوعة الأحاديث النبوية في الكتب التسعة.

٥. حرصت على نقل ما يتعلق بحياة الشيخ ما كان منه مكتوباً بخط يده وذلك أقوى للحجة وأخلص للبحث .

٦. شرح الألفاظ الغريبة في بعض الأحاديث .

٧. عرّفت بالمصدر تعريفاً كاملاً في أول وروده في الحاشية ثم أختصره بعد ذلك .

٨. كثيراً ما أكتفى عند ذكر اسم الشيخ محمد الغزالي بإطلاق لقب شيخنا وذلك من باب الإختصار .

٩. ذيل البحث بعدة فهارس وهي :-

- أ. فهرس الآيات .
- ب. فهرس الأحاديث .
- ج. فهرس المراجع .
- د. فهرس الموضوعات .

أهمية البحث :-

فهو الوقوف على مدى ما قدمه هذا المفكر الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي ، والوقوف كذلك على المنهج الذي سلكه في تفسير كتاب الله من بيان الهداية القرآنية وتوجيه حركة الحياة الإسلامية إلى الحق والخير والعدل ، وربط التفسير بواقع الحياة الإسلامية فقد عاش الشيخ الغزالي وعرف طبيعة عصره فقدم لعصره ما ينفعه في الدنيا والآخرة ، انتقل بالتفسير إلى مرحلة النقد والتعقيب والموازنة والترجيح مع سهولة العبارة ، ووضوح الفكرة ، وتعامل مع الواقع الحضاري للحياة المعاصرة ووجهها إلى طرق الفلاح والسعادة بمنهج القرآن وهداية القرآن .

وتظهر أهمية البحث في وحدة السورة وربطها ، وعظا التقليد لأراء المتقدمين دون النظر إلى الألة .

جاء هذا التفسير نسيج وحدة لم يكن يرمي الشيخ فيه إلى حل ألفاظ أو إعراب كلمات وإنما يعرض السورة القرآنية فيوضح أهدافها ومراميتها ويبين أهم موضوعاتها ، والأسلوب الذي سلكه في الوصول إلى تلك المقاصد ودراسة هدفها الحق ، وأساسها الأنصاف .

عالج الشيخ الغزالي أكثر المسائل والقضايا التي تهم المسلمين في تفسير كتاب الله وقد عشت معه في معظم هذه القضايا والمسائل أتعرف على منهجه وأستوضح طريقته فوجدته إماما في العلم مغوارا مستوعبا له في كل علم باع .

وقد حاولت جهدي في هذا البحث فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني . والله عز وجل أسأل أن يهدينا سواء السبيل .



"الشيخ الغزالي وبيئته"

وتحتة:-

- الفصل الأول : مولده ونشأته
- الفصل الثاني : شخصيات إسلامية في حياة الشيخ
- الفصل الثالث : أخلاقه
- الفصل الرابع : ثناء الناس عليه
- الفصل الخامس: ثقافته
- الفصل السادس: الحركة العلمية في عصر الشيخ على ضربين:-
 - أ - الحركة العلمية التقليدية.
 - ب - الحركة العلمية التجديدية
- الفصل السابع: جهاده في نشر الدعوة
- الفصل الثامن: عطاؤه الفكري

مولده ونشأته

أ- المولد :-

ولد شيخنا المترجم له الشيخ محمد الغزالي في اليوم الثلاثين من شهر الله المحرم سنة واحد وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة ، وفق الثاني والعشرين من سبتمبر عام سبعة عشر وتسعمائة وألف من ميلاد عبد الله ورسوله عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأكمل السلام.

وقد صاحبت مولده بشارة كريمة في صورة رؤيا جلييلة ، فقد رأى والد شيخنا "التاجر المتواضع" في منامه من يبشره بغلام اسمه محمد الغزالي تيمنا بحجة الإسلام أبي حامد الغزالي مجدد القرن الخامس الهجري المتوفى سنة خمس وخمسمائة من الهجرة النبوية الشريفة .

وكم فرح الرجل بتلك البشري وعاش بها حيناً آملاً تحقيقها في دنيا الناس ، فقد كان رجلاً صوفياً عابداً محباً لله ورسوله وآل بيته ، وعاشقاً لأبي حامد الغزالي الذي يوشك أن تتحقق صورته في ولده المنتظر وابنه المأمول .

وعلى الرغم مما حل بالتاجر العابد من ذهول ودهشة لهذه الرؤيا إلا أنه بقى على أمل أن يوهب هذا الغلام تيمناً بقصة امرأة عمران .

ولما أن جاءت البشري صدق تلك الرؤيا وأطلق على مولوده اسم محمد الغزالي وتلك بداية الوفاء بالعهد^(١).

(١) انظر السيرة الشخصية للشيخ محمد الغزالي ، للدكتور علاء محمد الغزالي ضمن العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي ص ١٨٣ وما بعدها ، و الداعية الشهيد الشيخ محمد الغزالي د. عبد الله المصري ص ١١-١٤ بتصرف (دار الإعتصام) ، و الشيخ محمد الغزالي صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب فكره - في بحث للدكتور عبد الحليم عويس ص ١٥ بعنوان 'مراحل عظيمة في حياة مجاهد عظيم'.

ب- النشأة :-

وإذا كان البلد الطيب يخرج نباته بإذن الله ، فشيخنا من هذا النصب الكبير ، فقد ولد في قرية تكلا العنب" التابعة لمركز "إتياي البارود" أحد مراكز مديرية البحيرة بشمال القطر المصري.

ولهذه القرية وذلك المركز تاريخ عميق وماضٍ سديد ، فمن قرية "تكلا العنب" خرج المجاهد الكبير والشاعر الجليل "محمود سلمي البارودي" الملقب برب السيف والقلم ، باعث النهضة في الشعر العربي الحديث كما أن منطقة "إتياي البارود" تخرج منها عدد كبير من الرجال المخلصين والعلماء العاملين مثل الشيخ سليم البشري ، والشيخ إبراهيم حمروش ، والشيخ محمود شلتوت ، والشيخ حسن البنا ، والدكتور محمد البهي ، والشيخ محمد المدني ، والشيخ عبد العزيز عيسى ، والشيخ عبد الله المشد وقبل هؤلاء وأولئك الإمام العلامة صاحب الفضل الفكري والسبق العلمي المجدد الشيخ محمد عبده .

ولقد سبق شيخنا إخوانه الست فقد رزق أبوه التاجر الأمين "محمد السقا" بسبعة أولاد لم يعرف لأحد منهم الاشتغال بالعلم سواه .

ويقول شيخنا عن تلك المرحلة : "وظفولتي كانت عادية ليس فيها شيء مثير وإن كان يميزها حب القراءة فقد كنت أقرأ كل شيء ولم يكن هناك علم معين يغلب علي ، بل كنت أقرأ وأنا أتحرك وأقرأ وأنا أتناول الطعام " (١).

وتيمنا لتلك الرؤيا المباركة تابع والد شيخنا تنفيذ عهده مع الله وأدخل ابنه "محمد الغزالي" كتاب القرية ليحفظ القرآن الكريم تمهيدا للالتحاق بالأزهر الشريف . وتحققت أمنية الأب بأن من الله على الابن بحفظ القرآن حفظا جيدا وهو - بعد - في العاشرة من عمره .

ويترجم شيخنا لنفسه وقتئذ فيقول : " كنت أتدرب على إجادة الحفظ بالتلاوة في غدوي ورواحي ، وأختم القرآن في تتابع صلواتي وأثناء سيرتي في الطريق وقبل نومي وفي وحدتي ، وأنكر أنني ختمته أثناء اعتقالي ، فقد كان القرآن مؤنسا في تلك الوحدة الموحشة" (٢).

(١) المراجع السابقة نفس الموضوع و مجلة إسلامية المعرفة ، بحث للدكتور يوسف القرضاوي بعنوان نظرات في تراث الشيخ محمد الغزالي ص ١٧ ، العدد السابع ، السنة الثانية .

(٢) المراجع السابقة نفس الموضوع

بل ظل وفاء الشيخ للقرآن الكر بعض شهود العيان الذين عملو مبكرا لسمع وقرأ القرآن على يد أحد المحفظين وليتأكد - رحمه الله - من الحفظ الجيد .^(١)

بعدها حفظ شيخنا القرآن الكريم باع أبوه - رحمه الله - كل ما يملك من أجل أن يلتحق بأقرب معهد الأزهرى ، فهاجر به في سبيل العلم من بلدته بمحافظة البحيرة التي كانت تخلو من أي معهد ديني . الأزهرى إلى محافظة الإسكندرية ، والتحق هناك بمعهد الإسكندرية الديني الأزهرى وهو ابن العاشرة ، سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة وفق سبع وعشرين وتسعمائة وألف من ميلاد السيد المسيح عليه السلام ، وعاش الشيخ - رحمه الله - هذه الحقبة في كفاف تام ، فوجود ستة آخرين من أخوته في كفالة أبيه مشاركين له في النفقة ومقاسمين له اللقمة جعله يسكن في حجرة ضيقة خشنة الجدران ينام على فراش رقيق على أرض الغرفة ، ويمثل هذا تخرج الرجال العظام .

بل ظلت موعظة أبيه ترن في أذنيه تنبئها لما هو مهياً له ... و كلما اعتراه عارض ذكره والده بأنه لا بد وأن يحمل كلمة الله للناس .

وحصل شيخنا على شهادة الكفاءة (ثلاث سنوات بعد الابتدائي) ثم حصل على الثانوية (وهي سنتان بعد الكفاءة) سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة وفق سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وألف من ميلاد عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام .

وكان قد تأخر عاماً لفصله من الدراسة لمدة عام بسبب مشاركته لنشاط الطلاب ضد الاحتلال الإنجليزي ودخل السجن وخرج بكفالة بعدها غادر شيخنا الإسكندرية والبحيرة معا وشد الرحال ونقل المهجر إلى القاهرة في سبيل العلم متوجها للأزهر الشريف ليلتحق بإحدى كلياته ، فالتحق بكلية أصول الدين حتى تخرج عام ستين وثلاثمائة وألف من الهجرة وفق سنة واحد وأربعين وتسعمائة وألف وحصل على الشهادة العالية بعد أربع سنوات وهي تعادل الليسانس .

(١) انظر المراجع السابقة نفس الموضوع

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

ثم التحق بكلية اللغة العربية وحصل منها على العالمية مع إجازة التدريس في الدعوة والإرشاد وهذه الشهادة تعادل الماجستير ، وإن كان هذا لا يهمه لأنه ضد الألقاب العلمية الطنانة وكذا الشهادات الدنيوية لأن هذه وتلك ربما أحدثت ضجيجا ذهب في غمرة الإخلاص المنشود من وراء طلب العلم في رحاب هذا الدين .



شخصياته إسلامية في حياة الشيخ^(١)

تأثر شيخنا رحمه الله - أثناء تكوينه العلمي بشخصيات إسلامية جليلة متعددة المواهب ومتباينة المشارب .

ففي معهد الإسكندرية الديني تأثر الشيخ - رحمه الله - بشيخين جليلين كانا يشتغلان بالتربية النفسية إلى جوار التدريس العلمي ولهما درجة عالية في العبادة والتقوى أحدهما الشيخ إبراهيم الغرباوي والثاني عبد العزيز بلال ، وكانا هذان الشيخان الجليلان يمزجان الدرس برقابة الله - عز وجل - وطلب الآخرة ويحذران من الفتنة بنيل الدرجات الوظيفية والإجازات العلمية ويريان أن للألقاب العلمية وللدرجات الوظيفية طيننا ربما ذهب معه الإخلاص المنشود في الدين الحنيف .

وقد تأثر أيضا في تلك المرحلة بالشيخ محمود شلتوت الذي أصبح فيما بعد شيخا للأزهر إذ كان مدرسا للتفسير وله قدرة ملحوظة في هذا المجال إلى جانب رسوخ قدمه في مجال الفقه وعلوم الشريعة إجمالا فضلا عن كونه شخصية عالمية بارزة يلتفت حولها الكثيرون .

وإبان دراسة شيخنا الجامعية تأثر بالشيخ عبد العظيم الزرقاني الذي كان مدرسا بكلية أصول الدين وهو صاحب كتاب " مناهل العرفان في علوم القرآن " وكان رحمه الله - كما وصفه الشيخ - رحمه الله - عالما يجمع بين العلم والأدب وعباراته في كتابه المذكور تدل على أنه راسخ القدم في البيان .

ولست أشك أن أعظم من تأثر به شيخنا من الرجال هو الشهيد حسن البنا ، وإلى هذا يشير المترجم له نفسه : " أما تأثري الأكبر فقد كان بالإمام الشهيد حسن البنا ، وكان عالما بالدين كأفقه ما يكون علماء العقيدة والشريعة وكان خطيبا متدفقا ينساب الكلام منه أصولا لا فضولا وحقائق لا خيالات وكان حسن البنا يدرك المرحلة الرهيبة التي يمر بها الإسلام بعدما سقطت خلافته وذهبت دولته ونجح المستعمرون شرقا وغربا في انتهاب تركته فكان الرجل يعارض هذا الطوفان المدمر عن طريق تكوين الجماعات التي تعتز بدينها و تتشبث بالحق مهما واجهت من متاعب أو عواقب أو ويلات .

(١) انظر الداعية الشهيد محمد الغزالي عبد الله المصري ص ١٤-١٧ بتصريف

والشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن للشيخ يوسف القرضاوي ص ٢٩ - ٣٠ بتصريف

حسن البنا كان صديقا لكل من يلقى من اهل الإيمان ، فتفمرك بشاشته عندما تراه وتشعر كأنك أصبحت صديقا أثيرا لديه وكان يضمن بوقته على اللغو ، فما تمر ثانية ولا أقول دقيقة إلا وهو يخدم الإسلام بكلمة أو توجيه أو عمل نافع أو دعاية لطيفة تربط بين القلوب .

وذكره حسن البنا كانت حديدية وكأنها شريط مسجل يستوعب الأسماء والمعاني ، فلو التقيت به وناقشت معه إحدى القضايا أو ذكرت له اسم لخوانك مثلا ثم لقيته بعد ذلك ببضع سنين لبادرك بالسؤال عن إخوانك وناقشتك في القضية التي طرحتها عليه منذ سنين واسترجع معك الحديث وكأنه تم بالأمس القريب .

والحق أن الرجل كان يحب عن إخلاص لا عن تكلف وربما عانق عاملا يلبس بدلة للشغل الملونة بشحوم الآلات وسوائها ، فما يحجزه شيء عن ذلك من ترجمة حبه ، وحسن البنا له عبارات منوعة يحتاج الكلام فيها إلى كتاب منفرد ^(١).

وقد التقى شيخنا بالشهيد حسن البنا في نهاية مرحلة الثانوية الأزهرية بالإسكندرية سنة خمس وثلاثين وتسعمائة وألف من ميلاد السيد المسيح ﷺ وكان هذا اللقاء في مسجد عبد الرحمن بن هرمز (الراوي التابعي) إذ كان الإمام البنا يدعو فيه إلى الله على بصيرة ، وعندما ذهب الشيخ الغزالي إلى الجامعة الأزهرية في القاهرة تعمقت علاقته بالشيخ البنا وأصبح من أقرب أعوانه وقد كتب في مجلة " الإخوان المسلمون" بدعوة من الأستاذ البنا وظهر أول مقال له وهو في السنة الثالثة في الكلية ، وقد كان الشيخ البنا معجبا بكتابة الشيخ الغزالي وكان يشجعه ويقول له: " أكتب دائما وروح القدس يؤيدك والله معك " ثم أصبح الشيخ سكرتيرا لتحرير مجلة الدعوة ^(٢).



(١) انظر المرجع السابق .

(٢) انظر الشيخ محمد الغزالي صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره ، بحث للدكتور عبد الملوم حويس بعنوان "مرحلة عظيمة في حياة مجاهد عظيم" من ١٥-١٦ .

أخلاقه:-

اجتمع لعالمنا الجليل الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - من الأخلاق الكريمة والصفات النفسية الحميدة ما لم يجتمع لعالم في عصرنا وذلك فضل الله ورحمته فكما ورد في الحديث الشريف " إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه " ^(٢) وهل ثمرة الدين إلا الخلق الكريم ؟ وصدق شاعر النيل حافظ إبراهيم :

وإذا رزقت خليفة محمودة فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

ولعل مفتاح شخصية عالمنا الكبير وشيخنا الجليل هي مجموعة من الصفات المتكاملة تأتي في أولها الصدق والشجاعة والإباء واستقامة التفكير والتواضع وإيثار الحق على غيره مهما كان الثمن ، وكرهية الظلم وطلب العدل والإنصاف والجهاد من أجل تحرير الأمة أفرادا وجماعات من ربة النذل والإستبداد ، فكثيرون لا يعرفون أن الشيخ الغزالي - رحمه الله - نشأ في بيئة ريفية يطحنها الإقطاع ويستغلها الملاك من أرباب الباشوات والأمراء آنذاك ، فأبصر المظالم عن قرب وأحس بالآلام عن معايشة ومكابدة ، وأثرت في نفسه صور الفلاحين والمزارعين وهم لا يأخذون من خيراتهم إلا الفتات ولا يستوفون من جهدهم وكدهم إلا القليل ، لذلك نشأ مرهف الحس حي الوجدان يقظ الضمير ، مشدودا بفكره ونفسه وطاقته إلى رفع المعاناة التي كان يصدر كتبه الأولى بها وهي " في سبيل الله والمستضعفين " ولقد ثبت الله به المؤمنين حينما اعتقل في نهاية الأربعينات وأصبح قائدا وإماما لمعتقل الطور ، وتلمذ على يديه الشباب والمعتقلون ، واستمعوا إلى تلاوته الكريمة للقرآن إلى جوار المحاضرات التي ملأ بها فراغ من وراء القضبان .

(١) أنظر الجوانب النفسية والخلقية للشيخ محمد الغزالي للدكتور أحمد الصال ص ٢٧ وما بعدها بتصريف ضمن العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي.

(٢) أخرجه أحمد - مسند عبد الله بن مسعود - ٦٤٠/١ - حديث ٣٦٦٣.

مام جور و صلف رجال
حتى جاء الله بالفرج وانكشفت

وكانت له الشجاعة العظيمة
البوليس آنذاك وأوقفهم عند

الغمة واستقالت الحكومة فإذا هو يقف ويحمد الله - عز وجل - وينشد قول شوقي :-

زمان الفرد يا فرعون ولى
وأصبحت الرعاية بكل أرض
وزالت دولة المتجبرينا
على حكم الرعية سائرنا

لقد كانت سمته - رضي الله عنه - الصدق في كل أحواله مع نفسه وفي عمله الوظيفي ومع إخوانه ،
فإذا رأى لمرأ يمضي على عوج سارع بالصدع برأيه والوقوف عنده كما هي سيرته في جماعته التي
انضم إليها في صدر شبابه ، لأنه كان متجرداً للحق مخلصاً لله عز وجل - لم يكن يتعصب لرأيه ولا
يتحيز لنفسه فإذا وجد من خاصمه فاء إلى الحق وعاد إليه كان يتناسى كل شيء ويعود من حيث بدأ
نفساً طيبة وروحاً سمحة كريمة ، بل رأي أكثر من مرة يتنازل عن حقه إذا وجد إنصافاً لمظلوم أو أخذاً
بيد ضعيف محتاج وكثيراً ما كان يردد ما يدل على فضله :-

إن الذي بيني وبين أبي
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن زجروا طيراً بنحس تمر بي
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وبين بني عمي لمختلف جداً
وإن هم هووا غيبي طلبت لهم رشداً
زجرت لهم طيراً تمر بهم سعداً
وليس زعيم القوم من يحمل الحقداً

كان رحمه الله ذا أنف حمي وغيرة أئبه ويوم صدر قرار بحل الأوقاف وضمتها إلى ميزانية الدولة لم
يأبه بوظيفة ولا بمركز في الوزارة ولكنه اتصل بالناس وبكل من يعرف من أهل الخير وطلب إليهم
لرسال البرقيات احتجاجاً وطلباً لإلغاء هذا القرار ولتكن العواقب ما تكون .

أجل لقد وقف للعلمانية واللا دينية بالحجة القاطعة والكلمة الفاصلة لم يهانها ولم تكن قناته بالكلمة
والمقالة والكتاب والمناظرة ، بل وفي ساحة القضاء يوم سئل عن الحكم فيمن ارتد وجاهر بالكفر فقال
: " إنه مهراق الدم" ولم يأبه بالحملة الشرسة المتوقعة من هؤلاء وأولئك بلاغاً للحق وأداءً للأمانة.

ومع هذه الحمية والشجاعة والغيرة كان الشيخ يحمل قلباً وديعاً مخبتاً إلى ربه منيباً إليه ذا خشية
وتضرع فقد فقه السيرة بفقها فيها وعدد أخلاق المسلم بامتناله لها ... كان جواداً كريماً بعيداً عن أثره
المادة وطنيانها لقد طلب إلى ناشري كتبه أن يبيعوها بنفقات الطباعة رغبة في تيسير العلم وعوناً
لطلابه .



ثناء الناس عليه

قال الإمام الراحل شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق - عليه من الله الرحمة والرضوان :-
" فضيلة الشيخ محمد الغزالي الداعية الإسلامي كرس حياته ووقته كله لخدمة الدعوة الإسلامية وكان من الدعاة الذين لهم قدم ثابتة وخطى موفقة وبصيرة نافذة في هذا المجال ، وقد كان توفيق الله تعالى حليفه وعون المولى مسعفا له في سبيل جهاده بالكلمة الهادفة البناءة ، وبقلمه الذي لم تثن له قناة ، وكان يتنوع بالصبر والحكمة ويدعو إلى الله بالموعظة الحسنة متسما بالأخلاق الإسلامية العالية ، والآداب الإنسانية السامية ولم يعبأ بما قابله من صعاب أو صادفه من عقبات في سبيل أداء رسالته وقد تحمل الكثير والكثير ووجهت إلى فضيلته الانتقادات الكثيرة من أصحاب الأقلام المسمومة وخاضوا معارك كلامية عقيمة معه فصمد صابرا محتسبا .

ولم يمض عليه وقت إلا وهو يخوض في ميدان الدعوة منتقلا يجوب العالم يؤدي رسالته وكفاه شرفا ما قدم لأمته ولل البشرية " (١).

ويقول الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف المصرية ما معناه :-

" كان الشيخ محمد الغزالي من الدعاة المستبشرين الفاهمين لكتاب الله - سبحانه وتعالى - على الوجه الصحيح ... بل كان إمام الدعوة في عصرنا الحاضر وتتميز كتاباته العديدة التي أثرى بها المكتبة الإسلامية بوضوح الفكرة وبيان القيمة الإسلامية بطريقة نفتقدها في كثير من الكتابات لدى الآخرين .

إن العالم الجليل كان مدرسة ويجب على الدعاة أن يترسوموا خطاه ويسيروا على نهجه وحسبنا أن كتبه تملأ المكتبة الإسلامية ، وتمثل زادا فكريا لا ينقطع مدده ... تمد الدعوة بخبرة هذا العالم الفذ الذي اشتغل بالدعوة الإسلامية أكثر من نصف قرن .

ومن الضروري نشر كتب الشيخ الغزالي في مجموعة كاملة تضم الأعمال الكاملة للشيخ لتكون ميسرة وموجودة أمام الباحثين والدعاة ليستفيدوا من عمله وخبرته " (٢).

(١) الداعية الشهيد محمد الغزالي ، عبد الله المصري ص ٧٣ بتصرف واختصار ، ط دار الاعتصام .

(٢) نفس المرجع السابق ص ٧٤ بتصرف.

وقال الدكتور عبد الصبور مرزا مركز أبحاث الرسائل الجامعية إسلامية :-

* الشيخ الغزالي علامة كبرى مصينه في تاريخ الدعوة ، عاش عمره كله يملأ الدنيا ويشغل الناس بآرائه واجتهاداته ، ومجابهته للظلم والعنوان والشطط واجه أوكار التخلف والجمود والسطحية ، وعارض تيارات الإلحاد .

لكن جهود الغزالي لم تقف عند معارضة آراء الآخرين ، وإنما مضى يحرك الساحة الإسلامية الراكدة بمقالاته ومحاضراته وكتبه التي كان فعلا - كما سماها - قذائف للحق في وجه طوفان الباطل والافتراء ، كما تولاه أيضا محور الانغلاق والتخلف عند بعض أصحاب الفكر المنفلق الذي يأتي حبيس للنص والحرفية والفهم ؟ * (1)

ويقول الشيخ منصور الرفاعي عبيد وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة :-

" كان الشيخ الغزالي موسوعة بحق ... يحفظ الود لمن سبقوه وكان رقيق العاطفة يتأثر عندما يسمع عن ظلم أحد ... وكان على صلة دائمة بكتاب الله يحضر في الوزارة من السابعة والنصف وقد اتفق مع أحد شيوخ المقارئ أن يقرأ في كل يوم جزءاً من القرآن بالمكتب وكان دائم الجلوس مع الأئمة يستمع إليهم ويرشدهم ويوجههم ويشاركهم في أفراحهم وأتراحهم ، وكان في قمة التواضع وكان يثور عندما يعتدي عليه أو على أحد من زملائه .

وكانت توجيهاته وتعليماته وإرشاداته ما زالت النبراس الذي تسير عليه وزارة الأوقاف ، فهو أول من طالب بزّي للإمام من السبعينات وإلى الآن مستمر وصدر القرار المنظم لذلك ، وأول من وضع ضوابط إسكان الأئمة بعمارات الأوقاف ، وكان أول من وضع أسس التدريب للأئمة ليرقى بمستواهم الفكري والأدبي ووضع معاييرهم ونظم المحاضرات ، ووقف مطالباً بـردّ التأمين الصحي للأئمة والعاملين بالمساجد عندما علم بأن هناك مطالبة بإلغاء التأمين الصحي . " (2)

إن الغزالي - كما يقول (الدكتور الطويل) - :- " كان يتميز في دعوته بالانتماء إلى المدرسة العقلية التي تعتمد على العقل في ظلال النصوص الصحيحة من الكتاب والسنة ، وإنه كان من جانب آخر يهتم بقضايا بالغة الأهمية في حياة المسلمين لأنه صاحب فقه الأولويات ، كان يتابع كل ما يقال عن الإسلام وما يجري خارج الحدود الإسلامية من أقوال وأعمال عنه ويتصدى لها وينبه إليها ومن هنا كانت محاضراته تكتسب حيوية وقبولاً لدى الناس وكان دائماً متجدد الفكر .

(1) نفس المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٦ باختصار .

(2) نفس المرجع السابق ص ٧٧ - ٧٨ باختصار .

كان الشيخ الغزالي يتميز بالفهم مركز أبحاث الرسائل الجامعية في الإسلام وأكثر خدمة له من المحققين الذين يشتغلون بالرواية وهذا نظر سديد (١٧).

وقال الشيخ محمد شوقي الفنجري - أستاذ الاقتصاد الإسلامي المشهور والمحاضر المعروف :-
 " إنه على الرغم من جهود الشيخ الغزالي الجبارة باعتباره داعية وقيهاً إسلامياً ، نراه متواضعاً للغاية يلخص رسالته وجهوده بقوله : " إن كل ما نبغيه هو إنصاف الإسلام من سوء الفهم وسوء الاستغلال ."

ولذلك نراه ينعي على الكثرة التي لم تفهم من الإسلام سوى القشور ، فاقصروا على المطالب التعبدية وانشغلوا وتصارعوا حول شكليات ومسميات ... غافلين عن أهداف الإسلام الكبرى ممثلة في إقامة الشورى وضمان حد الكفاية ... لا مجرد الكفاف لأقل فرد وإشاعة المحبة بالتعاون بين المسلمين وإخلاص العبادة لله وحده وإعمار الأرض ليكونوا بحق كما أراد الله لهم خلفاءه في الأرض .

و درس آخر يجب أن يعيه دعاة هذه الأيام وهو أن الشيخ كان يؤكد دائماً بنص عباراته أنه من العبث خدمة الإسلام بالنصائح المجردة لو العواطف المفتعلة بل لابد قبل ذلك أن نعمل على تخليص أمتنا الإسلامية من ثلوث الفقر والجهل والمرض ، فقد أضاعت هذه الأمراض معنى الإيمان في نفوسنا كما كان يرى أن الشعوب العاجزة للكسولة تحط من مكانة الأكيان التي تعتنقها ، وأن الأتباع الحمقى كثيراً ما يفرضون سفهمهم على أسمى الحقائق فبدلاً من أن يرتفعوا معها إلى القمة يهبطون بها إلى السفوح (١٨).

كما أن لأقطاب الإذاعة والتلفاز كلمات مضيئة في حق شيخنا المترجم له ، فيقول متولي درويش رئيس التخطيط الديني بالإذاعة عن الشيخ :- " جرأة في الحق لا تعرف الخور أو اللين وعلم لا يعرف الغرور وتواضع جم للمؤمنين ومدرسة كاملة تعلمنا فيها كيف ومتى نقال كلمة الحق ... ومدرسة للدعوة والدعاة " (١٩).

(١) نفس المرجع ص ٧٩ - ٨٠ باختصار.

(٢) نفس المرجع ص ٨٠ - ٨١.

(٣) نفس المرجع ، ص ٨١.

وقال كمال التجار مدير علم بياهم ببيع كبير في نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء العالم الإسلامي ،
" قد جاهد في الله حق جهاده ، وسهم ببيع كبير في نشر الدعوة الإسلامية في أرجاء العالم الإسلامي ،
كما شارك في المؤتمرات الإسلامية التي تدافع وتتاصر الإسلام ... يقول الحق ولا يخشى لومة لائم
... ظهر ذلك في كتاباته وخطبه في مسجد الأزهر الشريف أوعولاً طويلة ثم في مسجد عمرو بن
العاص كما ظهر ذلك من خلال كتاباته في الصحف وكتبه القيمة ."^(١)

ويقول عبد الرحمن سنبل مدير علم البرامج الدينية بالتلفزيون ما معناه :-
" كان الشيخ الغزالي عالماً جليلاً ومفكراً إسلامياً وداعياً كبيراً ... أثرى الحياة الإسلامية بالكثير من
الأعمال الجليلة من خلال آرائه الحرة السليمة."^(٢)

وقال الدكتور محمد سليم العوا عن شيخنا :-
" كان عند الظن الجميل لكل مسلم ... غيرة على الدين ، وفهما له ، ودعوة إليه ونضالاً عن أهله ...
لا يفتته عن ذلك إغراء ولا إغواء ، ولا يصده عنه وعد ولا وعيد ... أوتي شجاعة عجيبة فلم تمنعه
هيبة أحد من قول الحق ، وكانت له مع تلك الشجاعة قدرة على إحسان الكلمة واختيار أعفها وأرقها في
سبيل تبليغ رسالته فلم يؤخذ عنه طول حياته كلمة نابية أو عبارة غير لائقة ، نصح الحكام والمحكومين
بلغة واحدة ، ووعظ العصاة والطائعين بنفس صادقة فكان تأثيره في الناس جميعاً لا نظير له "^(٣).

ويقول السيد عبد الرؤوف رئيس تحرير جريدة عقيدتي :-
" كان للشيخ الغزالي نموذجاً فذاً في علمه المحيط وثقافته المتجددة التي أتاحت له أن ينهل من كل
المعارف والعلوم فيقدم نموذجاً للعالم الإسلامي الموسوعي الذي يعرض قضايا العلوم بنفس القدر من
الإحاطة الذي يتعامل به مع قضايا الشريعة ... ونموذجاً فذاً للداعية المهوم بأتمه الطامح في النهوض
بها وإقالتها من عثرتها ، والأخذ بيديها لتحل المكان والمكانة اللذين تستحقهما باعتبارها خيراً أمة
أخرجت للناس ."^(٤)

(١) المرجع السابق ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

وقال الدكتور أحمد عمر المرکز أستاذ الرسائل الجامعية كلية الدينونة بمجلس الشعب :-

" هو - يعني الغزالي - خير من أنجب الأزهر ، ومن أنبل من تعتر بهم مصر علماً ونبلاً وسعة فكر وخدمة الدعوة جهاداً في سبيل الله دفاعاً عن الفكر الإسلامي ، وخدمة لدعوة الإسلام ، وأسهم إسهامات واسعة في وسائل الإعلام المختلفة في الداخل وشارك في مؤتمرات علمية وعالمية وأسس جامعة الإمام عبد القادر بقسطنطينية بالجزائر وقدم للفكر الإسلامي كتباً علمية يعتر بها الدعاة والمفكرون والعلماء ."^(١)

وقال الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة المصري السابق :-

" الشيخ الغزالي كان يتميز بأنه واحد من قلة من العلماء الذين يتمتعون بالشجاعة في الرأي والتفتح في الفكر ، وكان علماً بارزاً من معالم الفكر الإسلامي الأصيل ، والتي تحتاج إلى إبرازها في هذه الأزمنة لتصبح صورة الإسلام في أعين الآخرين الذين فهموه على غير وجهه الصحيح ."^(٢)

ويقول الدكتور رأفت عثمان عميد كلية الشريعة بطنطا عن شيخنا المترجم له :-

" رجل تعدت مواهبه وملكاته ... حاد للنكاء ... يعرف أدواء أمتة ودوائها ، كان قوي الحجة عفيف اللفظ ."^(٣)

وقال الدكتور محمد عمارة المفكر الإسلامي المعروف :-

" الشيخ محمد الغزالي هو أبرز علماء الأمة في هذا العصر الذي نعيش فيه ، جمع ما يندر أن يجتمع في عالم واحد ... جمع بين قلب الداعية وعقل الفقيه المجدد ، وشجاعة المجاهد المرابط على ثغور الإسلام الفكرية ... جمع بين الفقه والوعي بواقع العصر الذي نعيش فيه وكان يحمل على كاهله المنقل بالمشكلات الصحية هموم الأمة ."^(٤)

ويقول الدكتور سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر :-

" الشيخ الغزالي يعد معلماً من معالم الدعوة الإسلامية المعاصرة ، لارتبط بها وارتبطت به فقد كانت للدعوة متبسة به وهو متلبس بها ... فكان للرجل يمثل بعلمه وفكره واستنارته قوة هائلة في فكر الدعوة ومحيطها ، فمؤلفاته لا يستغني عنها مفكر ، واستنارته تخطت الحدود والثقافات ، ويمتاز

(١) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ - ٨٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٩ .

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الجامعة الأردنية

الغزالي على جميع الدعاة بأدب مركز أبحاث الرسائل الجامعية م ، فكان تأثيره في القلوب وسيطرته على المشاعر لأنه لا يقول إلا ما يعنفد ولا يامر الناس بتطبيق شيء إلا بعد أن يطبقه على نفسه ، فكان هو نفسه منهجا وعمله تطبيقا ، والمنهج والتطبيق يكفلان فكره البقاء والخلود : (١)

للمرجع السابق ، ص ٨٩ - ٩٠ .



الفصل الخامس

ثقافته

في ترجمة للشيخ محمد الغزالي بقلمه يتحدث عن الثقافة وأهميتها بداية وتجربة :- " وطفولتي كانت عادية ليس فيها شيء مثير وإن كان يميزها حب القراءة ، فقد كنت أقرأ كل شيء ولم يكن هناك علم معين يغلب علي ... بل كنت أقرأ وأنا أتحرك وأقرأ وأنا أتناول الطعام ، وللقراءة أهمية خاصة لكل من يدعو إلى الله عز وجل ، بل هي الخلفية القوية التي يجب أن تكون وراء تفكير الفقيه والداعية ، وضحالة القراءة أو نضوب الثقافة تهمة خطيرة للمتحدثين في شؤون الدين وإذا صحت تزيل الثقة منهم.

إن القراءة - أي الثقافة - هي الشيء الوحيد الذي يعطي فكرة صحيحة عن العالم وأوضاعه وشؤونه ، وهي التي تضع حدودا صحيحة لشتى المفاهيم ، وكثيرا ما يكون قصور الفقهاء والدعاة راجعا إلى فقرهم الثقافي .

والفقر الثقافي للعالم الديني أشد في خطورته من فقر الدم عند المريض وضعاف الأجسام ... ولا بد للداعية إلى الله أن يقرأ في كل شيء ، يقرأ في كتب الإيمان وكتب الإلحاد ، يقرأ في كتب السنة كما يقرأ في الفلسفة ، وباختصار يقرأ كل منازع الفكر البشري المتفاوتة ليعرف الحياة والمؤثرات في جوانبها المتعددة . " (١)

هذا وقد أهل الشيخ الغزالي للدعوة - بعد دراسته الأزهرية المتعمقة - حفظه لكتاب الله من الصبأ ، وشغفه بالقراءة منذ الصغر ، حتى أنها صارت عنوان حياته منذ نعومة أظفاره في مطلع حياته. (٢)

وعن المدرسة التي ينتمي إليها الشيخ الغزالي وأصبح رائدا لها يقول :-
" المدرسة التي أعتبر نفسي رائدا فيها أو ممهدا لها تقوم على الاستفادة التامة من جميع الاتجاهات الفكرية والمذاهب الفقهية في التاريخ الإسلامي كما ترى الاستفادة من كشوف الفلسفة الإنسانية في

(١) مقدمة خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة - إعداد قطب عبد الحميد ج١، ص ١٣-١٤ ، ط دار الإعتصام .

(٢) نظر الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن ، ص ٥٦ بتصرف ، ط دار الوفا.

علوم النفس والاجتماع والسياسة مركز أبحاث الرسائل الجامعية به الصحيح للكتاب والسنة
(١) .

ويضيف قائلًا :- " إن الرؤية الصحيحة لأحكام الشريعة أو الحكم الصائب الذي ينبغي تقريره لا يتم إلا مع رحابة الأفق ووجود خلفية عظيمة من المعرفة القديمة والحديثة على السواء ، وربما كان أسلافنا اللدامي قد رزقوا من سلامة الفطرة وحنّة الذكاء ما يجعلهم قادرين على حسن الفهم والحكم ، ولكننا في هذا العصر لا نصل إلى مستواهم إلا بعد دراسات مضاعفة ... كما يستعين صاحب النظر القصير بالمناظير المقربة حتى يعرف ما يقرأ ، أو حتى يدرك من بعيد ما لا يستطيع رؤيته بالعين المجردة .
(٢) "

ثم يقول :- " وفي رأبي أن الدعوة إلى الله في هذا العصر غيرهم في العصور الماضية ... قديما كانوا يدركون خطأ من النجاح بمعرفة محدودة وتقوى ظاهرة ، أما في هذا العصر فأعداء الإسلام قد تضاعف نشاطهم ، ونمت أحقادهم ، وكثرت العقبات التي وضعوها في طريق الدعوة ، واستطاعوا استغلال التفوق الحضاري لوقف الزحف الإسلامي في أقطار كثيرة ... بل لعلهم استغلوا ثراءهم وقدرتهم في فترة طوائف من المسلمين في أفريقيا وآسيا وأوروبا ، ولذلك لا يكفي أن تعمل أجهزة الدعوة الإسلامية ، بل لابد وأن تكون من ورائها خدمات شتى اجتماعية وصحية وتعليمية وثقافية الخ (٣) "

ولاهتمام الشيخ الغزالي بالثقافات المتنوعة ، توافرت لديه مجموعة من الخصائص التي تميز بها تفكيره العلمي كما يقول الدكتور محفوظ عزام (٤) :-

" لجل ... من أهم خصائص التفكير العلمي أن يبدأ العالم بحوثه بالشك المنهجي الإرادي حتى يصل إلى اليقين ، وهذا ما فعله شيخنا فهو لم يكتف بأنه ورث الإسلام عن أبويه ، وإنما وقف يتأمل ويتفكر فيما يجب اعتقاده فأعمل عقله للحر حتى اهتدى إلى الإسلام ، ولهذا نجده يتحدث عن هذه المرحلة عنده فيقول :- " فلتقرر إذاً - أن اهتدائي للإسلام كان من الأقدار الحسنة أو هو في نظري - من النعم التي يختص الله بها من يشاء من عباده ، ولأسرع ببيان ما أقصد من هذا الكلام ، فأنا لم أرث الإسلام عن والدي كما ورثت قصر القلعة وبياض البشرة ، بل مرت علي أيام فرغت نفسي من كل

(١) نقلا عن كتاب الداعية الشهيد الشيخ محمد الغزالي ص ١٧ .

(٢) نقلا عن كتاب الداعية الشهيد الشيخ محمد الغزالي ص ١٧ - ١٨ .

(٣) نقلا عن كتاب الداعية الشهيد محمد الغزالي ص ١٩ .

(٤) في دراسة راتمة للشيخ محمد الغزالي - صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب فكره - ص ٧٦ - ٨٠ بتصرف.

اعتقاد وتركت لعقلي أن يوازن مركز أبحاث الرسائل الجامعية التي هي لغة القرآن وأن الدراسة للناقد له ولغيره كانت ميسرة لي أي أن ظروف البيئة التي احتوتني هي التي جعلتني مسلماً.*

كما أن الموضوعية والنزاهة في البحث هي - أيضاً - من أخص خصائص التفكير العلمي ، وهي تعني - بسهولة شديدة - أن يتوخى العالم الحق ويخلص في طلبه ويستبعد للتعبس ويتفادى إغراء السهوى ويتقانى في تحري الحقائق وتمحيصها وفاء بحق الأمانة العلمية فالعالم المحب للحقيقة محب مخلص ، لا يستغل نشاط عقله في اللعب بالأفكار وتشويه الحقائق تحت تأثير أي غرض مهما يكن ذلتاً كان أو حزبياً أو مذهبياً أو وطنياً أو غير ذلك .

ولهذا نجد الشيخ ينهج نهجاً موضوعياً نزيهاً في دراسته فهو باحث عن الحق بعيد عن السهوى والأغراض الذاتية الضيقة ، وحسبنا أن نذكر الحق مجرداً وأن يعرف الناس جميعاً أن الله - عز وجل - ليس كمثله شيء ثم لنظهر أنفسنا من الخلاف في الحظوظ والأهواء ، ويرى شيخنا أن عدم الإخلاص وعدم النزاهة وعدم الموضوعية في البحث إنما هي السر وراء الخلاف البغيض والجدل القاتل بين الناس وكلما كان الخلاف بين علماء مخلصين فإن هذا الخلاف لن يطول أجله وإذا قدر له أن يطول فلن يترك في النفوس حقداً ولا في الصفوف صدعاً ، وإذا حدث من ذلك شيء فلا بد أن يكون لأسباب مصطنعة بعيدة عن دائرة العلم أو عن دائرة الإخلاص أو عن كليهما جميعاً ، وقد لمحت وراء كثير من ضروب الخلاف أشياء كثيرة تخالف البحث المنزه في العلم والإخلاص المجرد للحق ولو ماتت أهواء النفس وشهوات القلب أمحت^(١) الأغراض الدخيلة من وراء إعلاء رأي ونشر مذهب ، لبانت عشرات من الفرق يوم ولدت أو لبقيت في نطاق لا يعدو صفحات الكتب وحلقات الدرس ، كأراء تشجر في ميدان النظر الحر وتنتهي ضجتها بانتهاء النقاش فيها ، إن سعة العلم تدر رحابة الأفق ، وإن حسن النية يدر رحابة الصدر ، وإن الإيمان المحض يدر الحفاظ النقي على وحدة الأمة.

إن الخلاف المذهبي يشتد بين المختلفين إذا دخل فيه حب الرياسة ومكر السياسة وعبث الساسة ، ولكن الخلاف يعظم ويشتد عندما يدخل عنصر غريب عن العلم والإخلاص والإيمان ، أي عندما يتدخل حب الرياسة ومكر السياسة وعبث الحكام ، عندئذ تتحول الحبة إلى قبة وبدلاً من أن يجلس جماعة ليتجانبوا أطراف الحديث في سكون ودعة إذا أطراف الحديث تشدها أيدٍ منججة بالسلاح من ورائها عقائر تتشق

(١) في نقل الدكتور محفوظ حزام لبحثه الراتب " العقيدة الإسلامية في فكر الشيخ محمد الغزالي " - لفظ "أمحت" وطمأناً خطأ مطبعي ، وبالرجوع إلى الأصل "عقيدة المسلم" وجدنا للفظ "أمحت" فثبته كما ترى.

بالغضب والصياح ، وقد افتعلت مركز أبحاث الرسائل الجامعية الخبيثة بما يزيد السهوة لتساعا ثم توارت على مر الأيام هذه المذاهب .

والشيخ الغزالي يكره التعصب المذهبي لما يثيره من خلافات تشغل الناس عن المهم من القضايا والحق من المسائل لهذا تراه يقول :- " لكره التعصب المذهبي وأراه ضيق عقل وقلة علم أو ضيق خلق وقلة مروءة " (١).

والحق أن العالم المؤمن الجاد لا يتفرغ للمشاحنات والخصومات لأن " التفرغ للخصومات دين من لا عمل لهم إلا اللجاجة وإيثار النزاع " (٢) كما يقول الشيخ .

ولا يلتزم الشيخ بالموضوعية في بحثه عن الحقيقة فإنه لا يتصيد الأخطاء للناس ولا يتحين الفرص لمريمهم بما ليس فيهم كما جاء ذلك على لسانه ويقله مرارا وتكرارا .

إن إخراج الناس من حوزة التوحيد بأسباب واهية وظنون لاهية يخالف الموضوعية التي نشأ عليها الشيخ فهو ليس " ممن يحب تكفير الناس بأوهى الأسباب ولكن حرام أن ندع الجهل يفتك بالعقائد ونحن شهود ، أية جريمة يرتكبها الطبيب إذا هو طمأن المصدوم ومنع منه الدواء وأوهمه بأنه سليم معافى ؟ إن ذلك لا يجوز. " (٣)

نعم ... لقد عرف كل من عرف الشيخ أنه يتمتع بثقافة واسعة في شتى الميادين ، فهو يجمع ضروريا من المعارف المتنوعة وألوانا من العلوم المتعددة ، ثم هو قادر بما أوتي من بصيرة نافذة وموهبة ثاقبة على المزج بين هذه المعارف وتلك العلوم مزجا يجعل للفكرة عنبا فراتا سائغا للشاربين .

وهو يلم إماما ممتازا بالأديان وعلومها وبخاصة علوم الدين الإسلامي واللغة العربية وآدابها ، والعلوم الإنسانية ، والعلوم للتجريبية مما يمكن الباحث من القول إن عقلية الشيخ عقلية نحلية ، بمعنى أن لديه القدرة على مزج كل ما عرفه وقرأه وخبره ثم هو بعد ذلك يخرج منه شيئا جديدا نافعاً شافياً لأدواء الإنسان وعقله .

(١) طال ولوبة . محمد الغزالي ص ٩٥ .

(٢) جند حركتك ، محمد الغزالي ص ١٢١ ، دار للنظم ، دمشق ط. الخامسة سنة ١٩٨٧م .

(٣) عقيدة المسلم ، محمد الغزالي ، ص ٧٩ .

أجل ... فالتقافة لديه وسيلة من وسائل السعادة التي ينبغي توافرها للبشر واسلوب من أساليب الراحة التي يجب أن تتاح للناس .

ويقول الدكتور رمضان عبد التواب العميد السابق لكلية الآداب جامعة عين شمس :-
" وأول ما يلفت النظر في مؤلفات الشيخ الإمام الأثر البارز للثقافة الإسلامية والتراث العربي وهذا هو القرآن يظهر مضمنا في كلام الإمام الغزالي هنا وهناك وكذلك نجد في لغة الشيخ الغزالي قلبا مسن للتأثر بالحديث الشريف ، وأما الشعر العربي للتقديم فما أكثر ما تلوح أبياته وعباراته في اقتباس هنا وهناك . (١)"

وهذا يدل على صفاء المصدر الذي يرد إليه وينزع منه وهذا الموروث الثقافي العظيم أتاح للشيخ بعد أن وثق صلته به وعمق رابطته به أن يطالع في غير خجل الثقافات الأخرى للشعوب المختلفة قديمها وحديثها ، ماضيها وحاضرها ، تليدها وجديدها ، ويتبين له من خلال هذه المطالعات المتتابعة زيف ما لم يؤسس على وحي صحيح من ثقافات تافهة .

وثقافة شيخنا الغزالي تعتمد على منهج واضح المعالم والسمات بين السروى والعلامات ، فمصادر المعرفة عند شيخنا الغزالي كما يرى شيخنا تتمثل في القراءتين قراءة الوحي وقراءة الوجود ، حيث أن الوحي والوجود معا من عند الله ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ (٢) ، وعندما أمرنا بالتعرف على الحق أمرنا بالقراءتين ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ﴾ (٣).

أي قراءة الوجود والواقع من حولنا وقراءة الوحي الذي علم بالقلم ، وهذا يبين له الثقافة التي ينتمي إليها الشيخ الجليل ليزن كل نتاج فكري سواء أكان فكرا إسلاميا خاصا أم فكرا إنسانيا عاما يستوي في هذا القديم والحديث ، للماضي والحاضر ، فالإسلام يأمر بالقراءتين حيث تقسر كل قراءة الأخرى ، وحيث للتطابق التام لوحدة المصدر وهو رب العالمين ، فلا تتناقض بين الكتابين كتاب الله المسطور وكتابه المنظور ، ولم يقع تحريف ولا تخريف كما وقع في الشرائع السابقة عندما فسارق الكتاب المسطور للكتاب المنظور ، فوقع ذلك الصراع للفصل بين الدين والعلم أو بين الوحي والوجود ، فإذا

(١) لشيخ محمد الغزالي صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب من فكره - في بحث للدكتور رمضان عبد التواب بعنوان لغة الإمام الشيخ محمد الغزالي في مؤلفاته نظرة تحليلية . ص ٤٩-٥١ باختصار شديد .

(٢) سورة الأعراف : ٥٤

(٣) سورة الملق - آية ١ - ٤

رأينا من يريد أن يتمسك بالوحي مركز أبحاث الرسائل الجامعية أصبح محسبا للبشر - فعلينا أن ننكر ذلك لأنه ليس هو الحق وعلينا لأن نشدد التأكيد عليه باعتباره قد ارتكب خطأ في المنهج يضعف دين الله في نفوس البشر ويؤخر ولا يقدم ويضر ولا ينفع كما ظهر ذلك في كتابات بعض علماء المسلمين الذين لم تفتح عندهم تلك الرؤية ومن ثم يرى شيخنا أن الاقتصار على قراءة الوحي كما هو عليه عند بعض المتقين خطر عظيم لأنه يشبه الطير بجناح دون جناح ويرى كذلك أن فصل الوجود عن الوحي والاستغناء به عن غيره خطر عظيم بل هو أعظم من الأول ، والحضارة الصحيحة لا تقوم إلا على الأمرين أعني القراءتين وسعادة الإنسان لا تتم إلا بهما .

فلا بد إذن من قراءة صحيحة للكتاب والسنة والقراءة الصحيحة لهما تتمثل في القراءة الشاملة التي لا تجزئ الفهم ، ومن هنا دعا الشيخ إلى التفسير الموضوعي وتجاوز التفسير الموضوعي والتجزئي الذي شاع عبر التاريخ الثقافي الإسلامي .

والمنهج الثقافي للشيخ يتمثل - أيضا - في خصائص كلمة الله وأنها عامة للبشر كلهم في كل زمان ومكان وشاملة لحياة الإنسان في المادة والروح والحس والنفس وتخاطب كل الأشخاص وكل المعتقدات.

ومن ثم فهم شيخنا الكتاب الكريم وفهم كيف نطبقه في الواقع ، وهذا الجانب أساس في فهم ما ذهب إليه في شأن الأخلاق وما ذهب إليه في شأن المرأة وما ذهب إليه في شأن الفقه الإسلامي ، وكانت رؤيته هذه أساسا لقبوله ورده لنتائج الثقافات المتنوعة .

فكل ما يؤدي إلى تعميم الخطاب الإلهي صار إليه ودعا له ودافع عنه ، وكل ما يؤدي إلى حصر الدعوة في أمة دون أمة أو في زمن دون زمن أو في مكان دون مكان رفضه ونقضه ونقده مرة باللين ومرة بالحدة التي كان يصر إليها محبة وعشقا ويسميتها (حرارة الدعوة) ولقد كان من مسلمات ثقافة شيخنا التفرقة بين القطعي والظني وتحديد دور كل منهما ... ومن ثم فهو يقبل النقاش والحوار داخل المذاهب الإسلامية أو داخل الفكر البشري مادام في نطاق الظن ودائرة الترجيح ولا يقبل النقاش إن كان الأمر على سبيل القطع في طور اليقين لا يصح فيها للخلاف ومن هنا رأينا يتمسك بالإجماع الصحيح في كثير من مسائل الفقه حيث يحول الإجماع النصي وإن كان ظنيا إلى قطعي وهذا الجانب من ثقافته يفسر كثيرا من مواقفه تجاه جزئيات الفكر الإسلامي الثري باجتهاداته المختلفة حين يميل إلى رأي دون رأي ويرجح قولاً دون قول .

ومن ثم جمع الشيخ الغزالي بين الأمرين، أي بين التفاعل والتعامل مع الواقع ولا يمكن أن يكون إلا بممارسة العمل في واقع للناس ولعل هذا الذي أولهم بعض العلماء بإغلاق باب الاجتهاد حيث غاب التفاعل المؤثر واتخاذ القرار من الواقع ولكن شيخنا يتعامل مع قضايا العصر تعامل المتفاعل مع الواقع، فوجد نفسه قد اجتهد في أمور كثيرة كانت له فيها خيارات فقهية بيد أنه لا يخرج كلية عن منظومة الثقافة الإسلامية العامة.

فأينما له رأيا في حد الردة، وكذلك له رأي في وقوع الطلاق بمجرد اللفظ بعد شيوع الاستهانة به بين المسلمين وأيضا له رأي في مسائل الميراث والوصية والزكاة ومصارفها وغير ذلك كثير مما يعد من اختيارات الشيخ التي لم يشذ باجتهاده فيها عن الموروث الفقهي عامة وتمييزه بهذه الثقافة المحررة الواسعة جعله ينقل موضوع الخطاب الإسلامي إلى قطاعات لم تعهد في الماضي كالمحافظة على البيئة، وضرورة نقل التكنولوجيا وتطوير التصنيع والتجديد في أساليب الحكم والطرق السياسية ومسائل الاجتماع^(١).

أجل... كان شيخنا متأثرا في ثقافته بالمجتمع الذي ينتمي إليه، فقد نشأ في بيئة ريفية يطحنها الإقطاع ويستغلها الملاك من أرباب الباشوات والأمراء آنذاك، فأبصر المظالم عن قرب وأحس بالآلام عن معايشة ومكابدة وأثرت في نفسه صور الفلاحين والمزارعين وهم لا يأخذون من خيراتهم إلا الفتات، ولا يستوفون من كدهم وكدحهم إلا القليل، لذلك نشأ مرهف الحس، حي الوجدان، يقظ للضمير، مشدودا بفكره ونفسه وطاقته إلى رفع المعاناة عن الكادحين والمظلومين وما أن أمسك القلم بينانه الفصيح حتى أطلق للصيحات تلو الصيحات يطلب العدل والإنصاف ويمهد الطريق للعودة إلى عدل الإسلام وتحريير المستضعفين، وجاء في مقممة كتابه الإسلام والأوضاع الاقتصادية هذه العبارة: "يا ضحايا الكبت والفاقة لقد نزل الدين إلى جانبكم فقفوا إلى جانبه، إن الشفاه التي تأمر بإذلالكم يجب أن تقص وإن الأيدي التي تمد إليكم بالعنوان يجب أن تقطع..."

ثم تتابعت كتبه في هذا الفلك النير "الإسلام والمناهج الاشتراكية" و"الإسلام والأوضاع الاقتصادية" و"الإسلام والاستبداد السياسي"، وقد استطاع الشيخ بعقليته الهاضمة والمستوعبة لشتى الثقافات وبيانه الرائع الأخاذ وجرأته وشجاعته وصدقته أن يعبر عن قيم الإسلام ومقاصده للكلية ومشروعه الحضاري، بحيث أصبح إماما يؤخذ عنه ويقتهى به^(٢).

(١) من دراسة للدكتور علي جمعة في كتاب المعاه الفكري للشيخ محمد الغزالي ص ٢٤ - ٢٧ بتصرف ولختصار.

(٢) نظر المرجع السابق ص ٢٨ بتصرف ولختصار.

والخلاصة في ثقافة شيخنا أنها تنبثق من مركز أبحاث الدراسات الجامعية الإسلامية الإنسانية فـالشيخ الغزالي كما لا يخفى تخرج من كلية أصول الدين وهي كلية الأصول الإسلامية من كتاب وسنة والثقافة الإسلامية المتنوعة - ففيها للتفسير والحديث والعقيدة والمال والنحل والمنطق والفلسفة والتصوف وعلم النفس والتاريخ وأصول الفقه.

وكان شيخنا الجليل أزهرياً متمكناً متفوقاً وأكد ذلك بدراسته في تخصص الدعوة والإرشاد ثم أضاف إلى ذلك قراءته الخاصة طوال حياته في مختلف حقول المعرفة وبساتين العلوم .

وإلى جوار هذه الثقافة الدينية والإنسانية الأصيلة تجد ثقافة أدبية ولغوية عميقة فقد كان متقفاً ثقافة واسعة وفي كتبه الكثيرة وبحوثه المتعددة ما يشهد لهذه الحقيقة المقررة .

فالشيخ حوى الثقافة الدينية بمفرداتها المختلفة وجزئياتها المتعددة من تفسير وحديث و من فقه و أصول وغير ذلك... وحوى كذلك الثقافة الأدبية واللغوية ، فالشيخ كان أنيباً من أبناء الأمة الفحول وقد سمعت من بعض المشايخ تعبيراً صادقاً عن مشاركته في طرفي هذه الثقافة ، وهو أن الشيخ محمد الغزالي أنيب للعلماء وإن شئت فقل هو عالم الأبناء وقد كان كذلك عالماً بين الأبناء وأنيباً بين العلماء.

وكان الشيخ حريصاً ألا يخطئ من الناحية اللغوية فهو أزهرى متمكن من ثقافته الأزهرية بشقيها (اللغوي و الديني) ... ومن ثم لا يقع على لسانه لحن إلا كما يقع الصحيح المعافى في مواطن العلل ثم لا يلبث أن يقوم دون أن يصاب منها بشيء ... ولو أخطأ مرة اعترف واعتذر وذات مرة انفعَلَ في الكلام فأخطأ فقال:- " الإنفعال جعلني أخطئ في النحو سأحاول ألا انفعَلَ " (١).



(١) انظر المرجع السابق ص ٢١٢ بتصرف واختصار.

الحركة العلمية في عصر شيخنا

والحركة العلمية في عصر شيخنا الغزالي كانت نتاج موروث حضاري متنوع الجنبات متعدد الاتجاهات يمكن نظمها في شقين اثنين : الشق التقليدي والشق التجديدي فضلا عن الجدل الثقافي الذي فرض نفسه على الساحة الفكرية لعوامل متعددة .

الشق الأول :-

الحركة العلمية التقليدية التي تمثلت في التوارث الفكري الذي تبنته مدارس التربية السلوكية المنبثقة عن الطرق الصوفية على اختلاف مشاربها وتعدد مسالكها وتفاوت مناهجها .

وقدر الشيخ أن يكون نصيبه من هذه المدرسة من قبل والده الرجل الصالح الشيخ " أحمد السقا " الذي كان ينظر بنور الله حين ألهم أن يسمى ابنه " محمد الغزالي " تيمنا باسم حجة الإسلام أبي حامد الغزالي صاحب " الإحياء " ، فقد كان الرجل - رحمه الله - كما حكى لنا الشيخ - ذا نزعة صوفية وكان أمه منذ رزق بطفله أن يكون وارثا للغزالي فسماه بهذا الاسم المركب " محمد الغزالي " فالغزالي جزء من اسم الشيخ وليس لقباً لعائلته كما يتوهم بعض الناس ولم تخب الأقدار ظن الوالد الطيب فإذا " غزالي القرن الرابع عشر " يحمل روح " غزالي القرن الخامس " في إحياء الدين وتجديده وبعث الحياة في جسد الأمة الهامد على أساس من تعاليمه إن كان في كل من " الغزاليين " ما ليس في الآخر ، وقد يوجد في المفضل ما لا يوجد في الفاضل والله يهب من فضله ما يشاء لمن يشاء ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ (١) والحمد لله (٢) .

وقد كان الشيخ شديداً على التصوف والمتصوفة في كتاباته الأولى ثم بعد التجربة والنضج وجد أنه ضروري لإنشاء الضمير الحي ، والقلب المؤمن بالله، المتوكل عليه ، الخائف من عذابه الراجي لرحمته ، وبخاصة بعد ما أتاحت له فرصة الاعتقال في الطور قراءة " مدارج السالكين " لابن القيم دراسة منتظمة مع بعض إخوانه (٣) .

(١) سورة الحديد - ٢١ .

(٢) انظر الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن ، يوسف القرضاوي ، ص ١٨٦ ، طدار الوفاء .

(٣) انظر المرجع السابق ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

" مع قيام الإسلام على العقل ولرحابه بالفكر الجيد والبحت الاصيل وحضه على الارتباط المادي والمعنوي بالكون عملا وتأملا ، مع ذلك كله فهو دين يعقد أوتق العلاقات بالقلب اليقظان والمشاعر الجياشة ، ويجعل الإيمان عاطفة دافقة بالحب والبر إلى جانب أنه نظر يتسم بالسداد والصواب .

والإسلام المكتمل ليس " نظرية " علمية أو اقتصادية وليس فكرة مجردة عن الله مهما كانت هذه الفكرة صحيحة من حيث التصور والإستدلال إنه قلب لفتحت أقاله ونفسحت أرجاؤه ، وأشرق معنى الحب في جوانبه فهو متعلق بربه متتبع لأثاره في كونه عاشقا للخير مبغضا للشر يمتد مع كل شيء حسن وينكمش مع كل شيء قبيح .

وقد خاطب الله المؤمنين من أصحاب النبي محمد ﷺ فقال :- ﴿ ولكن الله يحب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة ﴾ (١).

ومن المتعذر الفصل بين الاستتارة الفكرية والهداية النفسية ، نعم يوجد أناس لهم عقول نكيّة وسير هابطة ولا نشك في أن هؤلاء مرضى والأواء التي أصيبوا بها متفاوتة الشناعة ومتعددة السوء .

والمفروض أن من يعرف خصائص النار يتحاشى ملامستها ، غير أننا نلاحظ أن بعض الناس قد يعرف شيئا ما معرفة حسنة ثم يجيء تصرفه بعد ذلك وكأنه جاهل كل الجهل وربما صح وصفه بجهل للعارف .

وهذا التناقض ضرب من الجنون الذي يرى في كل مكان ويظل لأصحابه طلقاء، إن الأمراض التي تعترى الشخصية الإنسانية كثيرة جدا .

وهذا الجنون الجزئي هو ما أشار إليه القرآن الكريم في تقريره للأشرار من العلماء ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ (٢) نعم .. فالمفروض أن صحة التفكير تستتبع صحة التصرف وسلامة العقابرة ولكن هذه البديهية عندما تنتقل إلى عالم التطبيق

(١) سورة الحجرات : ٧ ، ٨ .

(٢) سورة البقرة : ٤٤ .

يعترضها من العوائق ما يعترض التيار الكهربائي عندما ينقطع السلك الحامل له أو عندما توجد مسواد عازلة تمنعه من الانطلاق إلى مدهاء فيظل كالجثة الهامدة التي لا روح فيها .

والدين الحق شفاء لهذه العلل جمعاء فهو عقل مستقيم وضمير حي ، أما الثروة الطائلة من النظريات والفقير المدقع من المشاعر النبيلة والاتجاهات الكريمة فليس تدينا مقبولا ولا خلقا محمودا .

و الذي قام بتربية الناس على الإحساس بجلال الله وخشيته وصلل القلوب من الحجب الكثيفة التي تراكمت على حين غفلة هو علم التصوف بلا خجل ولا وجل .

إنني لست متصوفا وما أحب أن انتسب إلى فرقة من فرق المسلمين بيد أن الإنصاف يدفعني إلى القول بأن هذا الجانب المهم من الثقافة الإسلامية اللازمة لم يلق العناية المستحقة لدى جمهرة الفقهاء والمتكلمين ، وأن المتصوفة - برغم شطحاتهم وغلطاتهم - هم الذين أفاضوا في هذا الحديث .

إن فقهاءنا الذين كتبوا المجلدات في غسل الأطراف ما كان يعيهم أن يتناولوا هذا الجانب وأن يضبطوه بأدلتهم الفقهية .

وأن المتكلمين الذين عقدوا الفصول الخطيرة في شؤون الإلهية المغيبة ما كان يعيهم أن يحببوا الناس في الله ويرفعوهم إلى حضرته بأسلوب علمي محكم .

لقد كان ذلك - والله - لجدى على الإسلام وأهله من بحوثهم العقيمة في الذات والصفات ، إن العناوين لا تهمني وإنما يهمني الموضوع ، يهمني أن أرسم الطريق لبناء النفوس على التقوى وإيناسها في هذه الدنيا بذكر الله وإلهامها كيف تستعد للقيادة ببصيرة مجلوة ورغبة عميقة وثغر باسم^(١).

لجل إن التراث الصوفي يفيد هنا مالا يفيد غيره إذا غربل ونقى من الخرافة في الفكر والابتساع في العبادة والسلبية في التربية والسلوك^(٢).

(١) ركائز الإيمان بين العقل والقلب ، محمد الغزالي ص ١٠٣-١٠٥ بتصرف .

(٢) نظر الشيخ الغزالي كما حرقته رحلة نصف قرن ، يوسف القرضاوي ، ص ١٩٢ - ١٩٥ بتصرف ولختصار .

* وعندي - كما يقول الشيخ - أن مركز أبحاث الرسائل الجامعية ، القيم وابن الجوزي والغزالي وابن عطاء الله السكندري وغيرهم لا يمكننا أن نخرج بحصيلته رقيقة في مجال الخلق والتربية والسلوك والإعداد ولأمكننا أن نصوغ نصف العلوم الإنسانية في قالب إسلامي جميل ونافع .

لقد رفض كثير من الموجهين اعتبار التصوف علماً وتركوه للجماهير تتبع فيه آثار شيوخ لا يحسنون التربية والقيادة ، يبيد أن هؤلاء القاصرين كانوا أقدر على اقتياد العامة من فقهاء جافين مكروهين فقدوا صفاء النفس وسماحة الروح وفساحة الصدر ونقاء القلب فإلى متى يبقى هذا الموقف الراض ؟ وماذا كسبنا منه ؟

كسبنا أن الدين عند العوام وأشباههم جملة من الأحكام الجزئية والمعارف المبتورة من وراثها طباع لم تهذب ، وأهواء قد تعلن عن نفسها بمكر في صور الطاعات وقشور العبادات أما الضمير فميت .

أجل ... فالدين يفقد جوهره حين تنتهي علاقته بالقلب وعلم القلوب أو علم السلوك وجد في التصوف الإسلامي خواطره ومراحلته ، والمهم هو ضبطها بتعاليم الشريعة ومنع العواطف السائلة الرجراجة من الانطلاق من دون حدود .

وبنه لما يعين على إدراك هذا الهدف الاستعانة بالعلوم الإنسانية وبخاصة عندما هجرت منهجها الفلسفي وخطت لها مجرى علمياً يحترم الحقيقة ⁽¹⁾ ، وإسهاماً من شيخنا في تطوير هذا الشق في الحركة العلمية في عصره كتب " الجانب العاطفي في الإسلام " يبرازاً لهذا اللون المهم الذي صد عنه بعض الناس نظراً لما شابهه من بعض الشريكيات في العقيدة ، والبدع في العبادة والسلبية في التربية ، والإهمال لسنن الله في الكون والحياة . ويعد هذا الكتاب مفرداً في فن التصوف ، وهو مكتوب بلغة سلفية معاصرة وقد شرح فيه معاني الإسلام والإيمان والإحسان في ضوء القرآن والسنة ، بعيداً عن جدل المتكلمين وشطحات المتصوفة كما بين عناصر الكمال النفسي (الروحي) التي يريدها الإسلام من المسلم وفي هذا الباب ألقى الضوء على كلمات من (حكّم) ابن عطاء الله السكندري الشهيرة كساها معاني حية ، وألبسها لبوس العصر دون أن يتقيد بكلام الشراح إذ ليس مقلداً في هذا الباب ومن أمثلة ذلك :

يقول ابن عطاء الله :- " أصل كل معصية وغفلة وشهوة : الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة وبقظة وغفة عدم الرضا عنها ، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب

(1) طال وألوية ، محمد الغزالي من ١٧٤-١٧٥ .

عالمًا يرضى عن نفسه فأبي علم مركز أبحاث الرسائل الجامعية يرضى عن نفسه؟
ويشرحها الغزالي فيقول: " لا يبحث عن الشفاء إلا من لحس المرض لما من أصيب بعلّة فلم يشعر بها ولم يستشف منها فإن جراثيمها تستشري في أوصاله حتى تأتي عليه . وكذلك النفس الإنسانية لا يطلب لها العافية إلا من أدرك ما بها من أدواء والشعور بالنقص أول مراحل الكمال ، وقد قال الله تعالى على لسان أحد أنبيائه المطهرين ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾ (١) فإذا وجدت امرأة راضيا عن نفسه فاقد منه الأمل ، لأنه ينطوي على ركام من العيوب والنقائص وهو لا يلتصم الخلاص منها بل إنه فاقد للشعور بوضاعتها . وهيهات لمثل هذا لكتمال أو نجاة . والعلم النظري لا يرفع قدر أصحابه ، فأبي قيمة لشخص يختزن في رأسه قدرًا من المعلومات ولكن نفسه طافحة بأنام لم تعالج وخشونة لم تهذب ثم هو - مع ما يختزن من معرفة - لا يدري أنه عليل .

مثل هؤلاء يكون علمهم أفة بقوى جهالتهم ولا يزيلها ، ويغرم بما أوتوا بدلاً من أن يزيل من أنفسهم ما يسوّغها .

وأفضل من هؤلاء رجل قليل المعرفة عميق الإخلاص ، كثير التفتيش عن عيوبه مجتهد في تركية نفسه وترقية أحواله ، إن هذا أرجى عاقبة وأرقى عاجلة من العلماء الكبار إذا رضوا عن أنفسهم وغفلوا عن إصلاحها .

ويقول صاحب الحكم :- " لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحي الذي ارتحل إليه هو المكان الذي ارتحل منه ولكن لرحل من الأكوام إلى المكون ﴿ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ (٢) وانظر إلى قوله ﷺ :- " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (٣) .
فأفهم قوله عليه للصلاة والسلام وتأمل في هذا الأمر إن كنت ذا فهم" .

ويشرحها شيخنا بقوله :- " قال الله تعالى : ﴿ والسماء بنيناها بأبيد وإنا لموسعون ، والأرض فرشناها فنعم الماهدون ، ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ، ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ، ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين ﴾ (٤) .

(١) سورة يوسف : ٥٣ .

(٢) سورة النجم : ٤٢ .

(٣) أخرجه البخاري - كتاب الإيمان - باب ما جاء : إن الأصل بالنية ... الخ - ١٦٣/١ - حديث ٥٤ بلفظ (لو امرأة يتزوجها) .

(٤) سورة الذاريات : ٤٧ - ٥١ .

هذه آيات خمس ، الثلاث الأولى مركز أبحاث الرسائل الجامعية فيها من حياة وأحياء ، والاشتان الأخرين انتقلنا من الأكون إلى المحور فحدثنا عن وجوده ثم توحيد ، ولقت الناس هنا إلى الله جاء بصيغة عجيبة ﴿ ففروا إلى الله ﴾ وهذا الفرار إنما يكون مما يحذر ويخاف ، والحق أن الاتحصار في الكون والاحتباس بين مظاهره فولحش عقلية ونفسية لا يرضاها لنفسه أريب .

إن من له أنى مسكه يعرف - من العالمين - رب العالمين ويعرف - من الأكون - صاحب هذه الأكون .

إن هذا الملكوت الضخم الفخم من بدائع نراته إلى روائع مجراته شاهد غير مكذوب على أن له خالقاً كبيراً ولجل .

وإنها لجهالة أن يغمط هذا الإله العظيم حقه ، وإنها لنذالة أن يوجد بشر ينكره ويسفه عليه ، ولكن ﴿ خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾ (1) ، والعقل ينظر في الكون فيتعلم منه تسبيح الله وتحميده ويستنتج من قوانين الحياة وأحوال الأحياء ما يستحقه المولى الأعلى من أسماء حسنى وصفات عظمى ، والناس صنفان صنف يعرف المادة وحدها ويجهل ما وراءها ولا نتحدث الآن عن هؤلاء ، وصنف مؤمن بالله مصدق بقلته ولكنه هائم في ببداء الحياة ذاهل وراء مطالب العيش ، مستغرق المشاعر بين شتى المظاهر ، فهو لا يكاد يتصل بسر الوجود أو يتمحض لرب العالمين ومع هذا الصنف المؤمن نقف لترسل الحديث ، هناك قوم لا تخلص لله معاملاتهم بل هي مشوية بحظوظ النفس ورغبات العاجلة وهؤلاء لن يتجاوزوا أماكنهم ما بقيت نياتهم مدخولة ، حتى إذا شرعت أفئنتهم تصفو يدموا المسير إلى الأمام . وهناك قوم يعاملون الله وهم مشغولون بأجره عن وجهه أو بمطالبهم منه عن الذي ينبغي له منهم وهؤلاء ينتقلون عن أنفسهم من طريق ليعودوا إليها من طريق آخر .

إنهم مقيدون بسلاسل مثبتة مع أترتهم فهم يسيرون ولكن حولها ، ولو حسنت معرفتهم بالله ما حجبتهم عنه رغبات مادية ولا معنوية بل لطفى عليهم الشعور به وبما يجب له ، وتخطوا كل شيء دونه ، فلم يهدلوا إلا في ساحته ولم يطمئنتوا إلا لما يرضيه هو جل شأنه على حد قول بعضهم :-

وليتك ترضى والأكم غضاب
وبيني وبين العالمين خراب
وكل الذي فوق التراب تراب

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليت الذي بيني وبينك عسر
إذا صح منك الود فالكل هين

(1) سورة النمل : ٤ .

ولبن عطاء يرى العامة يترددون بين ماريهم كحركة بننول الساعة ، لا تتجاوز موضعها على طول السعي أو هم - على حد تعبيره - كحمار الرحي ينتقل من كون إلى كون والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه.

والواجب على المؤمن أن يقصد وجه الله قصدا ، وأن يتقصى تقصيا عن ألوف الأربطة التي تشده إلى الدنيا وتخلد به إلى الأرض . *

وبعد فالغزالي لا يعد من المتصوفة ولكنه أقرب إلى الله من كثير من الذين يزعمون لأنفسهم أنهم أصحاب الأحوال والمقامات ، إنها تقوى القلوب وليست دعوى الألسنة ولا بريق المظاهر ولا حمل الألقاب .

إنه يتحدث عن الله تعالى حديث المحب الواله لا حديث الناسك المحترف ويتكلم عن الله الواحد كلام من عاش في عالم الملكوت .

رني وقد غلبته الديموع يتحدث عن كلمة التوحيد عن (لا إله إلا الله) ويقول :-
" بني أحب هذه الكلمة وأود لو أقبلها ، ابتهاجي وشوقي وولهي ، وحديثه عن أحباب الله وأصفيائه حديث عامر فياض . (1)

ويقول شيخنا الجليل يوسف القرضاوي عن الصوفية التي تأثر بها شيخه الغزالي من شيخه البنا المجدد :-

" ومنذ سنوات حين سعدنا به أستاذا في جامعة قطر ، زارنا بكلية الشريعة أخ قديم وزميل كريم من أساتذة الأزهر عرفته من الإخوان طوال عهد الدراسة وكان يسكن معي في شقة واحدة في شسيرا ثم تحول إلى إحدى الطرق الصوفية ودخل فيما يدخل فيه المتصوفة من أحوال ومولجيد وكان يقول للشيخ بإخلاص : كم لود يا شيخنا - بل كم أدعو الله - أن تختم حياتك بالدخول في الطريق وتأخذ العهد على شيخي .

وكان رد الشيخ الوقور :- يا فلان وهل رأيت شيئا أفضل من حسن البنا ؟ لقد أغنانا حسن البنا عن الأخذ عن أي شيخ بعده .

(1) فنظر الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن - للقرضاوي ، ص 98-101 بتصرف يسير .

لجل ... إن حسن البناء استفاد من مركز أبحاث الرسائل الجامعية له مواهب تفرقت فسي أناس كثيرين مع ما منحه الله من صفاء الفطرة ونكاء الفريحة ، كان مدمناً لتلاوة القرآن يتلوه بصوت رخيم وكان يحسن تفسيره كأنه الطبري أو القرطبي ، وله قدرة ملحوظة على فهم أصعب المعاني ثم عرضها على الجماهير بأسلوب سهل قريب .

وهو لم يحمل عنوان التصوف ، بل لقد أبعد من الطريقة الحسافية التي كانت تنتمي إليها بيئته ... ومع هذا فإن أسلوبه في التربية وتعهد الأتباع وإشعاع مشاعر الحب في الله كان ينكر بالحارث المحاسبي وأبي حامد الغزالي وقد درس السنة المطهرة على والده ، الذي أعاد ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل كما درس الفقه المذهبي باقتضاب ، فأفاده ذلك بصراً سديداً وفهماً عميقاً وربطاً وثيقاً بمنهج السلف والخلف . ووقف حسن البناء على منهج محمد عبده وتلميذه صاحب المنار الشيخ محمد رشيد رضا ووقع بينه وبين الأخير حوار مهنذب ، ومع إعجابهِ بالقدرة العلمية للشيخ رشيد وإفادته منها فقد أبى التورط فيما تورط فيه من معارك جدلية مع بعض الإتجاهات الفكرية التي عاصرها ولعله كان أقدر الناس على رفع المستوى الفكري للجماهير ، مع محاضرة لبققة من أسباب الخلاف ومظاهر التعصب .

وقد أحاط الأستاذ البناء بالتاريخ الإسلامي ، وتتبع عوامل المد والجزر في مراحلهِ المختلفة وتعمق تعمقاً شديداً في حاضر العالم الإسلامي ومؤثرات الاحتلال الأجنبي ضده .

ثم في صمت غريب أخذ الرجل الصالح ينقل من مدن مصر وقراها ، وأظنه دخل ثلاثة آلاف قرية من القرى الأربعة آلاف التي تكون القطر كله .

وخلال عشرين عاماً تقريباً صنع الجماعة التي صدعت الإستعمار الثقافي والعسكري ونفخت روح الحياة في الجسد الهامد .^(١)

وهذه طلائع المدرسة التجديدية وهي تمثل الشق الثاني من الحركة العلمية في عصر شيخنا .

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن ، القرضلوي ، ص ٢٦ - ٢٨ باختصار .

الشق الثاني :-

الحركة العلمية التجديدية وهي صورة حسنة للإجتهدات المتتابة من رجال الفكر في رحاب هذا الدين الحنيف .

بداية يمتدح شيخنا مدرسة التجديد الإسلامي الشهيرة التي قامت في القرنين السابع والثامن على يد شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته ويسميتها الشيخ (مدرسة الموازنة والترجيح) .

ويقول الغزالي عن مدرسة ابن تيمية : أنها استوعبت الأخبار المروية ، وأدركت وجوه للحكمة والمصالح التي تتبناها الشريعة أي أنها أفادت من الرأي والأثر معاً ، وإن كان انتصارها للأثر أظهر ، ودفاعها عنه أنكى وأقدر .

ويرى الغزالي أن آراء ابن تيمية في مسائل الطلاق - مثل عدم إيقاع الطلاق الثلاث بلفظة واحدة والطلاق البدعي ونحوه أحب إليه وأصح حجة من غيره وأحفظ لكيان الأسرة في عصرنا - والغريب أن أناساً من أتباع ابن تيمية كرهوا منه هذا المذهب واتهمه آخرون بأن الشيعة أنثروا في تكثيره والرجل أقوى شخصية من أن يتأثر بأحد.

وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر نشأت مدارس أخرى ، هناك مدرسة أشبه أن تكون امتداداً لمدرسة الأثر عرضت الفقه الإسلامي من الكتاب والسنة مباشرة وأفادت من الجهد العقلي لرجال المذاهب التقليدية وضمت إلى ذلك جهد الفقهاء الظاهرين وانتفعت من مدرسة ابن تيمية ، وأحييت أسماء كانت مغمورة في ميدان الأثر والرأي جميعاً والقاسم المشترك بين رجال هذه المدرسة عرض الفقه من أصوله الأولى .

يمثل هذه المدرسة الصنعاني في سبل السلام ، والشوكاني في نيل الأوطار ، والسيد سابق في فقه السنة وصديق خان في مؤلفاته ، والألباني في رسالته .

وعندي أن هذا الجهد يقوم على الإختيار الشخصي ، والتسويق أو التفتيق بين وجهات النظر المختلفة ، وأصحابه مقدرين فيما صنعوا ولعلمهم أحسن تصويراً للإسلام من بعض مؤلفي (المتون) المذهبية .

وهم أيضا يخطئون ويصيبون وانماؤهم لسنة لا يجعل التسليم بقولهم واجبا بل إن بعضهم قد يخالف بعضا في كثير من الأحكام .

وهناك مدرسة أخرى أقرب إلى مدرسة الرأي وإن كان عنوانها سلفيا ، هي مدرسة الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا ويتبعهم الشيخ محمود شلتوت ومحمد عبد الله دراز ومحمد البسيهي ومحمد المنني ، وقبلهم الشيخ المحقق محمد الخضري ، ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة .

هذه المدرسة لها ملامح بيّنة فهي - وإن قامت على النقل - إلا أنها تروج للعقل وتقدم دليله ، وتسرى العقل أصلا للنقل .

وهي تقدم الكتاب على السنة ، وتجعل إيماءات الكتاب أولى بالأخذ من أحاديث الآحاد . وهي ترفض مبدأ النسخ ، وتتكبر إنكارا حاسما أن يكون في القرآن نص انتهى أمدته ^(١) ، وترى المذهبية فكرا إسلاميا قد ينتفع به ولكنه غير ملزم ، ومن ثم فهي تنكر التقليد المذهبي وتحترم علم الأئمة ، وتعمل على أن يسود الإسلام العالم بعقائده وقيمه الأساسية ولا تلقى بالا إلى مقالات الفرق والمذاهب القديمة والحديثة.

وقد حاولت هذه المدرسة أن تقود الأزهر وتغرض وجهتها على المسلمين ولكن التيارات العاصفة كانت أقوى منها فأوقفنها أو جرفتھا .

ويديهي أن يكون في اجتهادات رجالها أخطاء شأن البشر أجمعين وأن مصادر الإسلام معصومة لأنها من عند الله ولكن التكفير فيها والاستنباط منها غير معصوم لأنه من عند الناس وأن الانتفاع بكل فقيه مخلص نكي بدعم مسيرتنا العلمية ولا يضيرها أبدا ويجب أن نتقني للحساسية والكرهية للأشخاص ^(٢) ، ومن ثم فإن شيخنا الغزالي لم يقبل تطاول الصغار على رموز الإصلاح وبخاصة من رجالات هذه المدرسة الحديثة .

يقول الشيخ :- " وقد نبت في عصرنا هذا نابتة سوء تغمز الأكابر بما تراه مأخذا عليها وتتعامى عن كل ما لهم من حسنات ... فمن من العباقرة رزق العصمة ؟ ذلك لو أن سلمنا بأن ما ذكرنا مأخذ ... أقول هذا بمناسبة ما قرأت من تهجم على الشيخ محمد عبده وهو أحد رواد الإصلاح الحديث ، وروح

(١) منعرض بالرد لهذه القضية إنشاء الله في الباب الثاني ، الفصل الثاني ، المبحث الخامس "موقفه من النسخ والرد عليه".

(٢) دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، للغزالي ص ٨٤-٨٧ ، دار الأضواء .

الفقه المتجدد في مدرسة المنار مركز أبحاث الرسائل الجامعية حيد " وهو عرض جيد لعلم الكلام ردم الفجوة بين السلف والحلف ، وسرح العقائد سرحاً يبرج بين العقل والنقل ، وتجاوز لتترف العقلي والجدل اللفظي ومنهج المتون والشروح ، وقدم أصول الإسلام تقنمة دقيقة جيدة ، ثم قرأت كتابه عن " الإسلام والعلم " الذي رد به على وزير خارجية فرنسا ، فرأيت رجلاً عليمًا بالإسلام وتاريخه وفضله على الحضارة الإنسانية ، عليمًا في الوقت نفسه بالنصرانية والهندوكية ، وتاريخهما وما يكتنفه من غيوم .

وقد ألف الكتاب في ليلة واحدة لشدة غضبه من الهجوم الفرنسي ، وملأه بالوثائق التي تشرف الحق وتخزي الباطل .

من من العلماء المسلمين في عهده تحرك بهذه العاطفة وردّ بهذا الرسوخ ؟

ثم قرأت تفسيره للقرآن الكريم ، ووجدت بواكير التفسير الموضوعي للسورة فيما كتب ، اهتدى إليها ذهن لمّاح مستوعب ، وبصر حديد في إدراك الخيوط التي تشد أجزاء السورة ، كما تشد الأعصاب أجزاء الكائن الحي ، ويمكن عند متابعة " المنار " أن يعرف فضل الرجل في تجلية المعنى والحكمة ودفع الشبهات ودعم اليقين .

ومدرسة المنار شديدة الاحترام للسنة ولكن للقرآن عندها هو الدليل المقدم ... ترى من يعترض هذا ؟^(١)

وبتلك القوة دافع عن علم هذه المدرسة التجديدية الحديثة السيد جمال الدين بقوله :-

" وانكر في سطور قلائل رأي في جمال الدين الأفغاني ، لوددت أن يكون علماء الدين على صفته في عزة النفس وشموخ الأنف والتوكل على الله ، عندما ذهب إلى الأستانة طلب منه السلطان عبد الحميد أن يدع مهاجمة شاه إيران ، وأنصت جمال الدين دون أن يرد فلما طال إلحاح السلطان عليه قال منهيًا الحديث : قد عفوت عنه !!

وشدّه السلطان وذعرت الحاشية من رده الجريء لأن العهد بعلماء الدين أن يكونوا مدفوعين بالباب ينتظرون للجدا ، ويشكرون الندى ، فما بال هذا الرجل ينصح الملوك ويحاكم أخطاءهم ؟

(١) حال ولدوية ، للغزالي ص ٧٩-٨٣ بتصرف ولختصار .

هل هذا السمو خلق عميل للماسونية كما يقال ؟ إنه خلق متوكل وثيق الصلة بربه ، راسخ للقدم في دينه ، وما سمعت قبله ولا في عصره من كشف أحقاد الصليبية العالمية ، وألب الجماهير ضدها وشن الغارات الشعواء على المستبدين والظلمة ونفخ من أنفته في الشعوب الراكدة المستعبدة يحضها على العمل لدينها وديناها ، إن الرجل وحده كان صاحب هذا الصوت ويظهر أن تلك كانت جريمته .

أجل ... إن تشويه الرموز الإسلامية وتحطيم الإعلام وتمير التعم عمل لا يستفيد منه غير أعداء الإسلام وخصوم المسلمين وهو مع الأسف ما أصبح هوية لبعض المنتمين للدين المنتسبين لمظاهره^(١).

ولقد كانت للشيخ الغزالي مشاركات واضحة ومحاولات بارزة في الحياة العلمية العامة نتجت عن الجدل الذي افتعله بعض أنصاف المتفقين تجاه حقائق الإسلام في فترة حرجة من تاريخ هذه الأمة . ومن أشهر كتبه في تلك المرحلة كتاب " من هنا نعلم " وهو كتاب رد به على كتاب " من هنا نبدأ " للشيخ خالد محمد خالد في رؤيته لاستئناف الحياة العامة في ظل المعطيات الأجنبية الحديثة بحلوها ومرها ، وخيرها وشرها وطيبها وخبيثها ، وصحيحها وسقيمها وسليمها وعوجها .

والعجيب أن الشيخ خالد كان صديقاً للشيخ الغزالي من قبل ، وكانا قد تعارفا وتعاوننا على العمل للإسلام وإن كان ذلك في الجمعية الشرعية وهذا في الإخوان وإبان الصحبة في تلك الفترة ارتضيا أن يكونا لجنة لنشر الثقافة الإسلامية الصحيحة تحت عنوان " الدين في خدمة الشعوب " رداً على الشيوعيين الذين يزعمون أن " الدين أفيون الشعوب " .

وكان الشيخ خالد قد وعد بنشر كتاب يدور في فلك هذه الثقافة ويسير في هذا الاتجاه بعنوان " يا أربعمائة مليون هبوا " يخاطب فيه المسلمين في أنحاء الأرض وكان هذا عددهم الذي يذكر في ذلك الحين ، وعندما فوجئ الجميع بأن الشيخ خالد قد بدأ في " من هنا نبدأ " بما لا ينبغي به أن يبدأ تصدى له الشيخ الغزالي رفيقه الحميم في سلسلة مقالات قوية ، نقد فيها شبهات خالد ورد على دعاويه ثم جمعت هذه المقالات في الكتاب السالف الذكر " من هنا نعلم " الذي كان أقوى ما رد به على الكتاب المذكور مع رفق وألب ورعاية لرابطة الود القديم دون أن يجور في بيان الحق .

(١) الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن ، للقرضوي ص ٢٦١-٢٦٣ باختصار .

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الجامعة الأردنية

مركز أبحاث الرسائل الجامعية

وكان الغزالي رغم خلافه لخالد بن برمك، عاد بصدق إلى ظلال الإسلام اللوارفة وينابيعه الصافية في أيامه الأخيرة بهدم بالحق ما بدأه بالباطل معلنا توبته على ما حاشد من كلماته المسطورة في بطون الكتب وألفاظه المسوغة عبر الأثير. (1)



(1) انظر المرجع السابق، ص ١٨، ص ٢٢٠ بتصرف ولختصار.

جهاده في نشر الدعوة

عرف عن الشيخ الغزالي أنه رجل دعوة قبل كل شيء ، الإسلام لحمته وسداه وشغل نهاره وحلم ليلته ومحور حياته كلها ، الإسلام ماضيه وحاضره ومستقبله ، فيه يفكر وعنه يتحدث وعليه يعول وإليه يدعو ومنه يستمد .

والدعوة إلى الإسلام لها كل جهده وجهاده ، أخلص دينه لله ، فأخلص الله لدينه كذلك نحسبه .

وللفكر الدعوى عند الغزالي مرتكزات أساسية :-

الأول :- وأعظمها القرآن الكريم الكلمة الخاتمة من قبل رب العالمين لبني البشر أجمعين .

الثاني :- السنة النبوية المطهرة البيان العملي للقرآن الكريم والمذكورة التفسيرية له .

الثالث :- التاريخ الإنساني العام والتاريخ الإسلامي وقيمتها السيرة النبوية فهي بداية التاريخ الإسلامي ونقطة انطلاقه .

والشيخ كما يعلم المقربون قارئ جيد للتاريخ ، مدرك لوقائعه وأحداثه ومراحلها ، وبخاصة التاريخ الإسلامي وأسرار انتصار أمته وتفوق حضارته ثم تراجعها وتخلف الأمة وغلبة أعدائها وأسباب ذلك كله .

المرتكز الرابع :- الثقافة العامة : الثقافة الدينية والثقافة الإنسانية فقد تخرج في كلية أصول الدين على ما سبق ذكره ، وهي كلية الثقافة الإسلامية المتنوعة : التفسير والحديث والعقيدة والملة والنحل والفلسفة والتصوف وعلم النفس والتاريخ وأصول الفقه ، وكان الشيخ لزهريا متمكنا متفوقا وأكد ذلك بدراسته في تخصص الدعوة والإرشاد ، ثم أضاف إلى ذلك قراءته الخاصة ، طوال حياته في مختلف حقول المعرفة .

المرتكز الخامس :- الواقع وفقهه عن طريق المعاشة والإطلاع من باب التجربة والممارسة للواقع المحلي والإقليمي والإسلامي والواقع الدولي .

كما أن للداعية - عند الغزالي - خصائص ينبغي أن يتميز بها أهمها :-

١-العقل العلمي البصير :- الذي يستطيع من خلاله أن يدعو بالحكمة فقد قال تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾^(١) ، ففي بواكير ما كتب الشيخ نقرأ في " الإسلام والأوضاع الاقتصادية" هذه الفقرات تحت عنوان (قيمة العقل في الدين) : " إن حدة الذكاء وبقظة الفكر واستتارة الرأي عناصر لا بد منها في تكوين الإيمان الصحيح فإن الإيمان معرفة بلغت حد اليقين وانتفت معها الريبة وحيث لا يوجد الإدراك للواضح والفهم الناضج يصبح اليقين غير ذي موضوع .

فالعقول الذكية وحدها هي التي تميز الحق من الباطل وتعرف الوحي من نزعات الهوى وتفتيق الضلال ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾^(٢)

ولا تكرون الحكمة في معالجة الأمور ، والنقطة في الحكم على الأشخاص والمسائل والبصر بالمقدمات والنتائج إلا لأصحاب العقول الواسعة والمواهب الرائعة : ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾^(٣)

وتربية العقول وإنكاء المواهب وتفتيق الملكات الإنسانية ، ليس أمراً هيناً فمرحل التعليم في المدرسة ومرحل للتجريب في الحياة ، واستيراد الأفكار البعيدة ، وضم ما لا نعرف إلى ما نعرف ، والنظر في الجديد نظرة تلتف وإيلاف ، لا نظرة جمود واعتساف ، والتطويف في آفاق العوامل المادية والأدبية ، هذه جميعاً وسائل لترقية العقل الإنساني ، ثم هي بعد وسائل العقل السليم لمعرفة الله وحسن الإيمان به والإفادة من دينه . " بهذه العقلية رد الشيخ على الأباطيل التي تصادم الفكر السليم من تثليث النصارى وإلحاد الشيعيين ومفتريات المستشرقين وتقولات العلمانيين والقوميين .

٢-النفس الشاعرة : لم يعرف عن الشيخ تعاطي الشعر غير أنه يحمل بين جنباته روح الشاعر ونفس الفنان وإحساس الروي ، فيرى في كل نبتة في الأرض أو نجمة في السماء روحاً توحد الله ولساناً يسبح بحمده .

(١) سورة النحل : ١٢٥

(٢) سورة الرعد : ١٩ .

(٣) سورة البقرة : ٢٦٩ .

وكم له في هذا الميدان من كلمات صورها صورة النور ، وروحها روح السعير ومن رأيه أنه لا يخدم الإسلام كما ينبغي أن يخدم إلا نو نفس شاعرة ، ومن قرأ للشيخ الغزالي أيقن أنه أديب عظيم متميز ، له مذاقه الخاص ، وأسلوبه الأصيل ، لا يقلد أحدا ، ولا يحاكي نفرا وهو لا يحب أن ينتمى في الفكر أو في العلم أو في الأدب إلا إلى مدرسة محمد بن عبد الله ﷺ .

أجل . . . إن موهبة الغزالي من طراز نادر في الأدب ، ولو قدر له أن يتفرغ للأدب لكان من أعظم الأدياء البارزين في العالم العربي ولسبق اسمه كثيرا من الأسماء المعروفة .

٣-الروحانية الدافقة :- وهذه من الخصائص أو المؤهلات البارزة عند شيخنا الغزالي ، والحق أن هذه الروحانية ضرورية لكل من يحدث الناس عن الله — جل جلاله — ويدعوهم إلى وصل حباليهم به وربطهم بهدي كتابه الكريم ، وهدي رسوله العظيم ﷺ .

وهذه الروحانية الدافقة الصادقة لها مصدر فذ أوحده ، هو حسن معرفة الله تعالى وصدق الإيمان به ، واليقين ببقائه وحسابه وجزائه واستحضار القيامة كأنها رأي العين .^(١)

يقول الغزالي :- " درجات المؤمنين في معرفة الله متفاوتة إلى حد بعيد ، لا تقبل هذه المعرفة — ابتداء — إلا إذا كانت صحيحة مطابقة للواقع ، فإذا شاب هذه المعرفة جهل فاضح — كالشرك أو التجسيد — ربت في وجه صاحبها ، ولم تغن عنه شيئا ، والمعرفة الصحيحة مراتب ، فالذي يعرف ربه معرفة واضحة غير الذي يعرفه معرفة غائمة . . . ووضوح الرؤية للغاية المنشودة شيء آخر غير الاندفاع بإحساس غامض ، ونظر مختلط ، وعاطفة مكنوبة ، ورغبة مثبتونة .

والمعرفة للعميقة غير المعرفة السطحية ، الأولى تبقى على اختلاف الظروف ، والأخرى قد تهتز مع الاختبارات العارضة .

والمعرفة الألفية المستمرة غير المعرفة العابرة المارة . . . فقد تعرف إنسانا معرفة جيدة ، وتتشغل عنه بأمور قليلة أو كثيرة ، وقد تعرف آخر معرفة صحيحة واستقرار . والذي يعرف ربه كلما شعر بحاجة إليه ، فإذا انتهت حاجته شغلته نفسه ، غير الذي أنشأ علاقة مع ربه يتعهدا بالتحبيب والتردد على ساحته ، فهو موال له معتز بصلته .

(١) نظر الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن ، ص ٧٩ - ٩٥ ، بتصرف ولختصار.

والمعرفة الموقنة الناشطة التي تجعل المؤمن يسارع في الخيرات ، وينهض بالتكاليف غير المعرفة الكسول الوانية التي يصحبها التفريط في الواجب أو استئثار أدائه .

والمعرفة العاصمة من الدنيا الكابحة للجماح غير المعرفة المنهزمة أمام النزوات ، و المعرفة المورثة للتوكل على الله في موطن القلق والفرع . . . غير المعرفة التي تجعل المرء ضارحاً للخلق نليلاً أمام أصحاب الحول والطول . . .

إن الإيمان يزيد وينقص وأثاره في النفس والحياة تمتد وتتكمش والزيادة والنقصان ليسا في أصل المفهوم العقلي ، وإنما في كنهه وكيفه . فالصوت من الفم العادي يتضاعف ألف مرة عندما يمر بمندياع ضخم البوق بعيد الصدى .

والإيمان في بعض الناس قد يتحول إلى حياة تصبغ الشعور والفكر ، وتهيمن على الحركات والسكنات ، وتجعل صاحبها في نهار دائم من الإلف بالله والأنس بعظمته ، من ثم لا يتفاضل المسلمون في أصل عقيدة التوحيد ، وإنما يتفاضلون فيما يبلغه التوحيد في نفوسهم من أبعاد وآماد .

ومن الجور أن نسوي بين العميق والضحل ، والمتين والضعيف . وأقدار المؤمنين عند الله وحظوظهم من مثوبته تتبع درجات إيمانهم كما تقدم ، واكتمال الإيمان يوصل إليه بعد جهاد طويل ورياضة متصلة (١) .

فشيخنا لا يجد دور (القلب) ، ومكانة (الروح) في الدين ، بل الدين الحق عنده : عقل رشيد ، وقلب سديد .

ومن ثم فإن الغزالي يرى أن الثقافة الدينية لا تتم إلا باسئكمال الجانب الإيماني في نفس المسلم من للخشية والرجاء والصبر والشكر والحب ونحوها من جملة الأخلاق التي يكون الإيمان بدونها صفراً .

وهو لهذا يرى أن تُنخل في علم العقيدة ولا تترك للمؤلفين في التصوف على أنها مراحل للطريق ، أو للمتحدثين في الوعظ على أنها من مرقات القلوب ومكانها الأول — في رأيه — في علم التوحيد ، إذ لا دين مع فقدائها .

(١) ركزت الإيمان بين العقل والقلب ، للشيخ محمد الغزالي ، ص ١٢٤ - ١٢٥ بتصرف واختصار.

يتحدث عن حب الله تعالى فيقول: "مرکز أبحاث الرسائل الجامعية بين :-"

"جمهور المسلمين بحسب هذا الحب صفة الكمال ، لو درجه عليا لبعض العابدين وهذا غلط شنيع ، فإن فقدان هذا الحب فسوق ويغلب أن ينتهي إلى الكفر البواح ويستدل بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَنْتَ مِنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (١) تلك هي المعرفة الحقة . (٢)

أجل . . . إن للشيخ الغزالي قُدماً رسخة في ميدان الدعوة والإصلاح ومجال الترشيد والتجديد ويعد في طليعة أولئك نفر الذين شغلوا بهموم المجتمع حولهم ، وما تعانیه أمتهم من اختلال في الأوضاع والأنظمة ومن فساد في الأخلاق والأفكار ، ومن عسوج شمل الماديات والمعنويات ، والأفراد والجماعات ، فلم يسلم منه الدين ولا السياسة ، ولا الثقافة ولا الاقتصاد ولا أي جانب من جوانب المجتمع .

والإصلاح الذي يؤمن به الغزالي ويدعو إليه في كتبه ومقالاته وفي خطبه ومحاضراته ، يقوم على جملة عناصر (٣) :-

١- تزكية الأنفس :-

العنصر الأول في الإصلاح هو الدعوة إلى تجديد الإيمان بالله ورسالاته وتعميق اليقين بالدار الآخرة ، وتزكية الأنفس وإصلاحها في ضوء هداية الوحي ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ (٣) وقانون القرآن أن التغيير يبدأ بالأنفس أولاً ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (٤)

ولشيخنا الجليل في هذا الفن قلم سيال ولسان فصيح يشهد بذلك كل من تتبعت كتاباته المتعددة مجموعة ومنشورة وتابع خطبه ودروسه وفي مقدمة كتابه " علل وأدوية " يقول :-

" نحن نتشد إقامة الشرائع التي تقينا السيئات وترهب المجرمين ولكنها — قبل ذلك — تقيم العقائد التي تربط للناس بالله عز وجل — وتجعل تعاملهم معه — وخوفهم منه وأملهم فيه " .

(١) سورة البقرة : ١٦٥ .

(٢) نظر الغزالي كما حرفته رحلة نصف قرن ، للقرضاوي ص ١٠٣-١٠٤ .

(٣) نظر فضل الغزالي مصلحاً ومجدداً من كتاب " الغزالي كما حرفته " للقرضاوي ص ١٩١ . وانظر — أيضاً — مقالة " نظرات في تراث

الغزالي " من مجلة إسلامية المعرفة التي يصدرها المعهد المالي للتفكير الإسلامي العدد السابع ط الثتية .

(٤) الشمس : ٩ ، ١٠ .

(٥) للرحم : ١١ .

لجل ... إن كثرة الحديث عن مركز أبحاث الرسائل الجامعية وكثرة الحديث عن التقوى وما تورثه في القلب من استقرار ، وما تلقى في الطريق من نور ، ليس من قبيل الخيال .

لقد استيقنت أنه لا يقتل الغرور والشر ، وحب النفس وحب الظهور ، والمكاثرة بالمال والجاه ... إلا الإيمان الحي والتعلق الشديد بما عند الله تبارك وتعالى .

لقد رأيت من طغى عندما حكم ، ومن غش عندما تعامل ، ومن استكبر عندما استغنى ومن أفسد نفسه وأسرته وأمتة عندما نسى .

وتأملت الدوافع إلى هذا كله ، فلم أرى إلا قلوبا خالية من الله — عز وجل — بعيدة عن الشعور بعظمته ورقابته ، وإن هممت بكلمات محفوظة عن الدين والوحي .

ولقد أقام نبينا ﷺ حضارة حققت الغاية من الوجود الإنساني ، وكانت عنده فسي ذلك ما تلقى من وحي ، وما ألهم من هدى .

وكان أقدر المستنمين والمستأخرين في موكب الرسل الكرام من لدن آدم عليه السلام على تصحيح المسار الإنساني بحشد ملكاته المتعددة ومواهبه المتفاوتة تجاه الرقابة الربانية باستشعار الكشف الإلهي لحال الإنسان حركة وسكونا ، بقظة ومناما عن طريق ضبط الأجهزة الرئيسية في الكيان الإنساني الذي وهبه الله تعالى من المدركات المتباينة والمعارف المتعددة ما لم يهبه أحدا من مخلوقاته وإن كانت الملائكة الكرام .

٢- العدل الاجتماعي :-

كان للظلم الاجتماعي أول ما لفت نظر الشيخ الغزالي ، وشغل قلبه وفكره وعمل على تغييره وإصلاحه ، إذ كان من أولويات خطته في الدعوة ، بل وأولويات جهاده فيها .

فقد نشأ في بيئة رأى فيها آثار هذا للظلم صارخة — على ما سبق نكره — حيث الإقطاعيات وتفتيش للخاصة الملكية ، تتحكم في الفلاحين للكاثرين ، تحكم السادة في العبيد ، وشاهد الكروش المنتفخة والبطون المنتخمة من أكلة اللحم الحرام وهي تسمن على تقيمت المهزولين والمحرومين .

أجل ... لقد كان الغزالي بقلبه و... مركز أبحاث الرسائل الجامعية الطبقات إلى الله ، وأحقها بالحياة الكريمة ، وأجبرها بالمستقبل الباسم احتفى بها الإسلام وعمل على توسيع دائرتها ، حتى تشمل الناس قاطبة ، فلا يبقى فيهم عاطل ، واعتبر الأنبياء عمالاً يأكلون من كسب أيديهم ، وجعل شرار الناس أولئك للقاعدين من غير عمل ، والطاعمين من غير جهد ، الناعمين من غير حق ، المشتغلين بالثرثرة لتضييع الفراغ .

لا عجب — إن — أن كان أول ما خط شيخنا الغزالي ببراعة البليغ وقلمه الفصيح عن " الإسلام والأوضاع الاقتصادية " وأيضاً عن " الإسلام والمناهج الاشتراكية " وكذلك عن " الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين " .

ويؤرخ شيخنا نقداً لنفسه و لمن حوله في تلك المرحلة المبكرة في حياته فيقول :-
" في مواجهة التيارات الفكرية للهاجمة علينا أصدرت عدة مؤلفات تتحدث عن النظام الاقتصادي الإسلامي ، كما تصورته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وتطبيقات الخلافة الراشدة وكان يغلب علي وأنا أقدم هذا التصور أمران :-

أ — اطلاع المثقفين المعاصرين من خريجي المعاهد المدنية على الجوانب المضيئة من تراثنا والمغنية عما سواها ، حتى يكون تعلقهم بدينهم لا بغيره .

ب- ثم الازدراء على الأوضاع المعوجة السائدة ، ورفض الفساد الديني الذي تنتحلها لنفسها واعترف بأنني تجاوزت في التعبير أحياناً ، وقبلت بعض العناوين الشائعة " كالديمقراطية " في ميدان الحكم و " الاشتراكية " في ميدان الاقتصاد ، لا لإعجابي بهذه العناوين ولكن لأجعل منها جسراً يعبر عليه الكثيرون إلى الإسلام نفسه أي إنني أريد نقل " الديمقراطيين " و " الاشتراكيين " إلى الإسلام بعدما لوضحته وأبرزت معالمه ، لا أنني أريد صبغ الإسلام بصبغة أجنبية ، أو نقله إلى مذاهب مستوردة .

وقد جاء من بعدي الأستاذان " سيد قطب " و " مصطفى السباعي " — عليهما رحمة الله — فألف الأول " العدالة الاجتماعية في الإسلام " وألف الأخير " اشتراكية الإسلام " وهما يقصدان ما قصدت إليه من رد المفتونين بالمبادئ الجديدة إلى مورث أسامي وأغنى . وربما كان ما كتبه أفضل مما كتبتنه لنا وأكثر تنظيماً .

وعزري أنني كنت رائدا تلمي أظافر مركز أبحاث الرسائل الجامعية في وجود حقائق ممهدة
كان على تسيقها أقدر وعلى صوغها لائقاً.

وجاء في كتاب " الإسلام والمناهج الاشتراكية " تحت عنوان " منهج الدين " يعنى الإسلام
(٢) :-

" الإسلام — كدين — له تعبيرات وتوجيهات خاصة ، تمتاز بطابعها الذي يقرن للتجارة بالخلق
والأعمال بالعقيدة ، والعقوبات الزاجرة في الدنيا بالأجزية المعدة في الآخرة ، ولا يستغرب منه أن يلجأ
إلى وسائل التربية النفسية أولاً ، ثم إلى الأحكام التشريعية ، ليصل إلى أغراضه للوضحة ، فإن كان
في أحكامه إجمال ، فعلى الحاكم أن يضع لها من التفاصيل ما يصل بها إلى الأغراض المرسومة
المعلومة ، ومنهج الدين في محاربة الربا والاحتكار والاستغلال بين ، فإذا لجأ إلى مكافحة هذه الآفات
بالوعيد واللعن فليست هذه وسائله الأولى والأخيرة .

إن الإسلام يعني أن ينقى المجتمع من هذه الشوائب ، وقد ظهر أن الإملاق إلى جانب الترف يولدان
الربا ، وأن موارد الإنتاج المهمة إلى جانب الطبقات المستهلكة المضيفة تلد حتماً شركات الاحتكار
المستغلة وضنك المعايير المنزلة .

من رعى غنماً في أرض مسبعة ونام عنها تولى رعيها الأسد

وهذه وتلك لا تعيش إلا في ظلال الاقتصاد الرأسمالي ، والنقسيم الإقطاعي والاستعمار الداخلي
والخارجي ، وهل تشب الحروب في العالم إلا لهذه الأسباب وما ينشأ عنها من أطماع ؟ وهل يشيع
الاضطراب والاحتراب إلا من تقاتل الرأسماليين على استغلال الضعفاء وانتهاج ما بأيديهم من
خيرات ؟ أفبقى الدوافع إلى الحروب بهذه الشدة لو قر في الأذهان أن كل إنسان على ظهر الأرض
يجب أن تكفل حقوقه المادية والمعنوية ؟ ثم ينتهي من تاريخ البشرية إلى غير رجعة طور الربا
والاحتكار والاستغلال .

إن الإسلام من هذه الناحية قد قال كلمته ، وأعلن دعوته ، وبين خطته وأنصف للناس من أنفسهم ،
ومن البرامج التي توضع لهم ، ونكر تاريخ الأولين لما ارتكبوا هذه المظالم لتكون منه عظة
للآخرين .

(١) ذات الحق ، للتشيخ محمد الغزالي ، ص ١٥٧ ط الثانية.

(٢) في الصفحتين ١٧٣-١٧٤.

﴿ فَبِظَنِّمْ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُجِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدْقِهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ، وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(١)

وتحت عنوان " حق الإنسان في المال " كتب شيخنا يقول :-

" لا يجوز أن يبقى رجل من غير دخل - قليل أو كثير - يكفل له المستوى الواجب لمعيشته ، وعلى المجتمع الدين أن ينظم أموره تنظيمًا يؤدي إلى هذه النتيجة المحتومة وإلا كان مجتمعًا لا دين له وفي ذلك يقول الرسول ﷺ :- " أيما أهل عرصة^(٢) أصبح فيهم امرؤ جائعًا فقد برئت منه ذمة^(٣) الله تبارك وتعالى " ^(٤)

وقد أفتى ابن حزم وغيره من العلماء بأنه إذا مات رجل جوعًا في بلد اعتبر أهله قتله وأخذت منهم دية القتل .^(٥)

٣- الحرية ومقاومة الاستبداد السياسي :-

الشيخ الغزالي من عشاق الحرية ودعاتها وهي من العناصر الأساسية في برنامجه الإصلاحية ومن الخطوط الرئيسية في منهجه الدعوى . . . وهو عدو الاستبداد أيا كانت صورته .

وقد عرفنا أن من أوائل كتبه " الإسلام والاستبداد السياسي " وهو مجموعة محاضرات ألقاها وهو في معتقل الطور سنة تسع وأربعين وتسعمائة وألف . . . يقاسي مرارة الحرمان من وراء القضبان مع إخوان كرام .

لكنه تناول للموضوع في كتب متعددة وبأساليب متنوعة ، لأنه يمثل دعامة أساسية في فكره الإصلاحية والدعوى ، وفي فقهه السياسي .

(١) سورة النساء : ١٦٠-١٦١ .

(٢) عرصة : البقعة الواسعة بغير بناء من دار وغيرها .

(٣) الذمة : العهد والحرمة

(٤) أخرجه أحمد - مسند عبد الله بن عمر - ١١٦/٢ - حديث ٤٨٦٥ .

(٥) الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، للشوخ محمد الغزالي ، ص ١٥٦ ، ط السابعة .

ولذا تراه يقرر بيقين ما لطمأن إليهما مركز أبحاث الدراسات الجامعية من بسالشموري وأزدرى الاستبداد السياسى من أعماق قلبى ، ولرد إليه أغلب هزائم امتنا خلال تاريخنا . وأرمق الديمقراطية الغربية فأحسد أصحابها على مناقشة الآراء بحرية وعلى استكانة الحكام للحق ، وعلى اعتزاز الأفراد بكرامتهم ، وكنت أهمس إلى نفسى : أما يجيء يوم يظفر فيه المسلمون بمثل هذه النعمة ؟

بيد أننى مسلم لا يتقدم شيء أبداً على ولائى لله ، وقد تابعت مناقشات مجلس العموم البريطانى فى مسألة إلغاء عقوبة الإعدام ، ورأيت كيف حاولت رئيسة الوزراء الاقتصاف من القنلة وكيف خذلها أغلب أعضاء المجلس وأصروا على إلغاء عقوبة الإعدام !!

قلت هذا هو الفرق بين الشمورى عندنا وبين الشمورى عندهم ، نحن نرى أنه لا اجتهاد مع النص ، ولا شورى مع كلام الله ورسوله ، وهؤلاء ساء ظنهم بالدين كله ، وقرروا البحث بعقولهم المجردة عن مصالحهم المتباينة ، وإنكار الغربيين للدين جملة أو تفصيلاً يرجع إلى أسباب نابغة من البيئة لديهم لا نشرحها هنا .^(١)

ومن آراء الشيخ الغزالى المستمدة من روح الشريعة والمنفقة مع واقع الحياة أن امرأة تحكم — ومعها جهاز شورى دقيق — أقرب إلى الله وأحنى على الناس من مستبد ظالم يقف الغرب على شواربه الخارجة عن محيط الوجه ، ويزعم أنه قد أحاط بكل شيء علماً ، ووضع لكل مشكل حلاً ، وهو لا يدري شيئاً عن نفسه فضلاً عن غيره .^(٢)

٤- تحرير المرأة والأسرة :-

بصر شيخنا وضعا مزرباً للمرأة المسلمة وغير المسلمة على حد سواء فعمل على تغييره ، وجاهد فى تقويمه ، ولم يعرف عن غيره من دعاة عصره الاهتمام بمثل ما اهتم به الشيخ . . . وهو يريد أن يحرر المرأة من نوعين من التقاليد الدخيلة على الإسلام :-

أ- التقاليد الموروثة من عهود الاحتطاف فى الحضارة الإسلامية ، حيث اختفت التعاليم الصحيحة التى جاءت بها النبوة الهادية ، لتحل محلها تقاليد صنعتها أوهام البشر وأهواءهم ﴿ ومن أفضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾^(٣)

(١) الغزو للتقاليد يمد فى فراخنا ، للشيخ محمد الغزالى من ٦٢ - ٦٣ بتصرف واختصار.

(٢) نظر عال ولعوبة ، للشيخ محمد الغزالى ، من ١٧٨ بتصرف.

(٣) سورة القصص : ٥٠ .

ب- التقاليد الوافدة مع الغزو الفكري من الغرب والتي تتعارض مع تلك التقاليد البالية ، تلك تريد أن تسجنها وهذه تريد أن تعريبها وكلاهما ضد الفطرة الإنسانية والوحي الإلهي .

أجل ... لقد استغل — كما يقول شيخنا — الاستعمار العالمي في غارته الأخيرة علينا الاعوجاج القائم على المرأة المسلمة ، وشن على تعاليم الإسلام الحنيف حرباً ضارية لا ينتهي لبيبها ولا يخدم ناراها كان الإسلام المظلوم هو المستول عن القوضى الضارية بين أتباعه الجهلة .

والذي يثير الدهشة ويدعو إلى العجب أن مدافعين أوفياء عن الإسلام أو متحدثين صادقين باسمه ، وقفوا محامين عن هذه القوضى الموروثة لأنهم — بغياوة رائعة — ظنوا أن الإسلام هو هذه القوضى والجنون فنون والجهالة فنون .^(١)

إنني أكره من أعماق فؤادي علاقة المرأة بالرجل في الحضارة المادية التي أقامها الغرب — الصليبي والشيوعي — بيد أن هذه الحضارة سوف تبقى بأرجاسها وأرلنها ما بقي المتحدثون عن الإسلام يقدمونه بهذا اللون من الجهل والعمى .^(٢)

تري ... عندما يفرض على المرأة التي هي نصف الأمة الجهل والعمى فكيف تتشأ الأجيال المقبلة بعد ؟!

٥- تصحيح الدين المغلوط :-

كان من أهم مظاهر التجديد والإصلاح التي وجه إليها شيخنا جهاده من فكره وقلمه وبيانه وبنائه تصحيح المفاهيم الإسلامية التي غلط للناس في تصورها وأسأوا في تصويرها . ومن ثم اعتبر الاجتهاد في أمور الدنيا ضرباً من ضروب الجهاد الديني ... ومن المستحيل في نظر شيخنا إقامة مجتمع ناجح الرسالة إذا كان أصحابه جهالاً بالدنيا عجزة في الحياة ، والصالحات المطلوبة تصنعها فأس الفلاح ، وإبرة الخياط ، وقلم الكاتب ، ومشرب الطيب ، وقارورة الصيدلي ، وتصنعها الغواص في بحره ولطيار في جوه ، والباحث في معمله ، والمحاسب في نقتره ، يصنعها المسلم صاحب الرسالة وهو يباشر كل شيء ، ويجعل منه أداة لنصرة ربه ، وإعلاء كلمته ، وتمكين دينه .

(١) السنة النبوية بين أهل اللغة وأهل الحديث ، للشيخ محمد القزالي ، ص ٥٢ - ٥٥ بتصرف ولختصار . ط الماثرة . دار الشروق

(٢) الحق المر ، للشيخ محمد القزالي ج ٢ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ بختصار . ط . دار الشروق

أجل ... إنه لفشل دفعنا ثمنه باهظا
كلمات تقال ومظاهر تقام .

وكان الشيخ الغزالي يرى أن الإسلام مصدر قوة للشعوب ، وليس قيّدا في رجلها ولا غلا في عنقها ، بل هو العامل الأول على تحريرها من الطواغيت الذين يغزوننا من الخارج ، أو يستبدون بها من الداخل ، وقد غاظه أن يساء فهم الإسلام حتى يسحب مع الأبيان المحرفة والمخرقة ، التي تثبّط الشعوب عن المطالبة بحقوقها ، والجهاد في سبيلها ، طلبا لإحدى الحسنين .

وانتصارا لهذا المبدأ و جهادا في تحقيق أهدافه كون — كما سبق الإشارة إليه في ص ٤٥ — مع بعض إخوانه من العلماء الأحرار المستيرين لجنة تكتب وتشر تحت عنوان اختارته شعارا لها هو " الدين في خدمة الشعوب " .

ولقد ... ضاق الشيخ بالتصوير الجزئي للإسلام تصورا يحمل المرء على الإعراض عن شمولية الإسلام ... ورأي أن الدعوة الإسلامية تحصد الشوك من أناس قليلي الفقه كثري النشاط ينطلقون بعقولهم الكليّة فيسينون ولا يحسنون .

٦ - تحرير الأمة وتوحيدها :-

من ألوان الجهاد التي تميز بها شيخنا وصور الكفاح التي ناضل لتحقيقها ، تحرير الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها من كل سلطان أجنبي يعمل على شل فكرها وتثبيط إرادتها وغل قدرتها .

ومن ثم قاوم الشيخ الاستعمار الغاشم سواء تمثل في احتلال عسكري أم في تسلط سياسي ، أم في تحكم اقتصادي ، أم في غزو فكري أو تعليمي أو إعلامي أو اجتماعي .

وبين الشيخ بيانا شافيا أن الاستعمار لا تدفعه (الأطماع) وحدها في خيرات المسلمين وبلادهم بل هناك دوافع أخرى كامنة هي (الأحقاد) الموروثة من الحروب الصليبية والأدلة كثيرة من ثوابت التاريخ ولأحدث للواقع .

كما وضع الشيخ وضوحا لا لبس فيه أن الاستعمار ليس هو فقط الاستعمار الغربي الذي احتل أوطان المسلمين من إندونيسيا إلى المغرب الأقصى ... بل يشمل الاستعمار الشرقي الذي هو أشد بأسا

وأكثر لبعاً المتمثل في الشيوعية مركز أبحاث الرسائل الجامعية " الإسلام في وجه الزحف الأحمر " وقد خرج الكتاب إلى النور في منتصف الستينات من القرن العشرين وقت عم كثيراً من البلدان الإسلامية وغير الإسلامية ظلام الشيوعية الدامس .

ونتيجة لهذا احتلت قضية تحرير فلسطين مكاناً كبيراً لدى شيخنا واهتمامه بها يأخذ وجهتين :-

الأولى :- تحريك الأمة الإسلامية ، لنتهض بواجبها في الدفاع عن أرض المقدسات ، ونسيان ما بينها من خلاف لتقف صفاً واحداً ضد العدوان اليهودي المغتصب لأرضها المنهك عرضها .

الثانية :- المقارنة بين ما تصنعه إسرائيل ويهود العالم من تخطيط وتنظيم وبذل وتعاون ، وكيف استخدموا علوم العصر وتكنولوجياته المتطورة في خدمة دولتهم لتكون هذه المقارنة ذريعة لنا عسى أن نغير ما بأنفسنا ملتزمين للعبارة من عدونا .

من ناقلة القول وقوف الشيخ بقلمه ولسانه وجنانه وبيانه مع قضايا المسلمين في العالم كله شرقه وغربه شماله وجنوبه .

ولا يقف جهاد الشيخ عند قضية التحرير ، بل لا بد من العمل على (توحيد الأمة) كما أمر الله سبحانه فهي (لمة واحدة) وليست أمماً متفرقة ، وعندها من عوامل التقريب ما يوحد بينها ، العقبة الكأداء في سبيل وحنيتها هو ما صنعه الاستعمار من أنظمة وثقافات ومناهج وأفكار باعدت بين شعوب الأمة وبخاصة بين حكامها وقادتها . ويرى الشيخ أن إعادة الخلافة الإسلامية فرض عين على الأمة ، وهي لازمة شرعاً وواقعاً لتبليغ الدعوة إلى العالم وحمايتها ، والدفاع عن المستضعفين من المسلمين ، وعن قضايا الإسلام في أنحاء الأرض .

وعليه فينبغي التجاوز عن الخلافات التي تدور بين المذاهب الإسلامية الكبرى تحقيقاً لمبدأ طلال تنتظره .

٧- الدعوة إلى التقدم وال...

تلك هي طبيعة هذا الدين ومن ذا الذي يجحد ما قنمه لمثال ابن حيان في الكيمياء وابن الهيثم في الفيزياء والخوارزمي في الجبر ، والبيروني في الرياضيات ، والرازي وابن سينا والزهرراوي وابن النفيس في الطب وابن رشد في الطب والفلسفة ؟

ومن ينكر ما قنمه المسلمون للعالم بإقرار المنهج الاستقرائي التجريبي ، إقراره عمليا في شتى العلوم الطبيعية والكونية ، والدفاع عنه نظريا بنقد المنهج الصوري للقياسي ، الذي قام على أساس المنطق الأرسطي .

ومن هنا اقتبست أوروبا من الحضارة الإسلامية المنهج التجريبي ، وأسست عليه نهضتها ، كما شهد بذلك شهود منصفون من أهلها ، أمثال بريفولت وغوستاف لوبون ، وجورج سارتون .

فالتخلف - إذن طارئ على الأمة ، وعلّة عارضة لها ، وليست من طبيعتها ولا طبيعة دينها الذي جعل منها من قبل خير أمة أخرجت للناس ، وبوأها مكان الأستاذية للبشرية كلها .

وحرام على الأمة الإسلامية أن تظل في مؤخرة القافلة البشرية في مجال العلم وال عمران والتكنولوجيا ، ومكانها الطبيعي أن تقود هذا الركب .

لأسباب شتى أخذت أمتنا تتراجع أمام خصومها ، وتترنح تحت ضربات موجعة ، وظهر عجزها عن تبليغ رسالتها بعد عجزها عن العمل بها بدهاء ، وعجزها عن حماية نفسها لأنه لم تعد تصنع السلاح الذي يحميها ، وتبع ذلك عجز أنكى وهو عجزها عن غزل لباسها الذي تستتر به وتبع ذلك - أيضا - عجز أشد نكاية وأخزى وهو عجزها عن صنع رغيفها الذي تأكله .

يقول شيخنا : " إن المتخلفين صناعيا وحضاريا ليس لهم أن يغالوا بعقائدهم وشرائعهم وليس لهم أن يحتفظوا بمعالم شخصيتهم ، يجب أن يفتحوا أبوابهم لكل ما هو أجنبي وأن يتولوا خجلا بكل ما هو قومي ووطني فلا كرامة في ضعف ولا عزة في تخلف " (١) .

(١) الخزو الثقلي يمتد في فراخنا ، للشيخ محمد الغزالي، ص ١٤٨ - ١٥١ ، بتصريف واختصار .

يرى شيخنا أن ثقافتنا في طورها القائم تحمل لخلطا لا حصر لها من أفكار ومذاهب تفتقر إلى التمحيص وتفرض علينا أن نميز الخبيث والطيب . أجل . . . إن بقاء الثقافة الإسلامية حية نابضة نقية ، قادر على أن يعيد الحياة والعافية إلى الجسم الهامد العليل .

لقد مرت بالمسلمين قرون أربعة عشرة ، فيها قرون حية وأخرى هامة ، فيها أيام مزهرة بالعالم وأخرى مظلمة بالجهل . وامتدنا حتى ألبنا الجبابرة ، وانكمشنا حتى استسمر بأرضنا البغاث ، ليكس فتلك طبيعة الحياة الدنيا .

والدرس الذي يجب أن لا يغيب عنا أننا ما فقدنا الصدارة قط ونحن أوفياء لربنا ونبينا ﴿ ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾^(١).

ومن قدرنا نحن مسلمي القرن الرابع عشر أن تسقط الخلافة الإسلامية في أوائل هذا القرن ، وما هذه أول مرة تسقط فيها الخلافة ، لقد ديس في بغداد على أيدي الهمج في القرن السابع . . . وسقوط الخلافة الإسلامية حدث شنيع ، ولكنه مهما قبح دون سقوط الثقافة الإسلامية . . . II

لقد ظلت علوم المسلمين تصنع في العقول النور ، وتضع في القلوب اليقين ، وكافح العلماء حتى صنعوا أجيالا أشرف وأزكى ، وعادت الخلافة مرة أخرى ترفع علم التوحيد في المشارق والمغرب .

وخصوص الإسلام في هذا العصر مستميتون أن يسقطوا معادل الثقافة الإسلامية وأن يرموا منابعها أو يلوثوها ما استطاعوا ، وذلك حتى لا تعود للإسلام وحدته الكبرى ودولته الجامعة ، ومن ثم فإن الجهاد العلمي الآن فريضة محكمة .

أجل . . . إن الثقافة الحارسة لثراثنا كفاح أدبي هائل النتائج ، بل إنه لكفاح الذي يوزن فيه مداد العلماء بدماء الشهداء .

(١) سورة الأعراف : ١٢٦ .

نعم ... إن الهزائم العسكرية التي تبني الإنسان المسلم وعبقرية البناء الصحيح المتين هي التي استبقت صرح الإسلام إلى يوم الناس هذا .

إنه أمام التمزيق المتعمد للرقعة الإسلامية الكبرى ، لابد من ثقافة تؤكد وحدتنا العاطفية والفكرية ، وأمام المغالاة بالقشور والرسوم ، والمخاتلة بالصور الشائثة ، نريد ثقافة تنشئ العقل المسلم ، والضمير المسلم ، والسلوك المسلم ، وأمام العجز الشائن في شئون الدنيا نريد ثقافة تجعل عبادة الله سواء في المسجد والمصنع .

لقد ضاقت نفسى بلغيف من الناس يدعون الإسلام ، ولا لهم إلا استقزاز الأقوياء وتلقي الضربات ، أما العمل الصامت الذكي لخدمة الإسلام وأمته فقلما يُحسنون . وما كان ذلك دأب سلفنا الذين امتكروا أمانات وكفريات من أخصص القدم إلى نؤابة الرأس ، اقتحمتهم الغيوم أول ما خرجوا من الصحراء فلما اشتبكوا مع أبناء الحضارات المُنيرة في فارس والروم جثا التاريخ بين أيديهم يسجل ويروي .

ومهما تكن الهزائم التي أصابتنا خلال هذا القرن ، فإن يوم الإسلام قادم لا ريب فيه ، وإن شمسهِ مشرقة لا غيبش يومئذ فيها .

كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ (٢) ، ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (٣) . (٤)

٩- ترشيد الصحوة :-

الصحوة الإسلامية المعاصرة اتخذت طريقها في شتى مناحي الحياة لتجديد ما اندس من معالم الدين ، وإحياء ما مات من تعاليم الحق ، وكان شيخنا الغزالي أحد رموز هذه الصحوة نشأ فيها طالباً وانتسب إليها معلماً ، كتب وخطب خشية أن تهدم وعلم وحاضر خوف أن تضرب ... رأى أن يحميها من عدوين اثنين ، أحدهما هذا الصديق الجاهل ، والثاني ذلك العدو المقاتل .

(١) التوبة : ٣٣

(٢) الفتح : ٢٨

(٣) الصف : ٩

(٤) انظر الدعوة الإسلامية ، للشيخ محمد الغزالي ، ص ٢٢٠ - ٢٢٢ ، بتصريف واختصار .

عامّة تحمى كيانهم
رة طبق الأصل لما كان

يقول الشيخ : " إن المسلمين اليوم
وتستبقي إسلامهم ، وهم كارهون

عليه المسلمون قبل الهجوم الصليبي في العصور الوسطى .

أطلب من عباد الله الصالحين أن يصيغوا السمع للنذير العريان قبل أن يأخذنا الطوفان ، فإن الأقدار
تقتص من المستضعفين المفرطين ، كما تقتص من المجرمين المعتدين .

وينبغي أن نزيد الأمور وضوحاً فيما يفعله اليهود ، وفيما يراد منا فعله ، فإن مسافة الخلف واسعة بين
الموقنين ، لقد تأملت في الأحداث المثيرة التي وقعت فوجدت أن الذي أضرم النار في المسجد الأقصى
من بضع سنين يهودي أسترالي ، وأن الذي أطلق الرصاص على المصلين فقتل وجرح عشرات
وصوب طلقاته على قبة الصخرة فكاد يهدمها يهودي أمريكي !

أجل . . . إن الأخوة الدينية جمعت بين الأستراليين والأمريكيين لدعم " إسرائيل " وكذلك جمعت هذه
الأخوة بين شرق أوروبا وغربها ، وبين اليهود العرب في أفريقيا وآسيا ، وعد أولئك كلهم أولاد الأنبياء
ونسبل يعقوب المبارك !!!

والعالم المتحضر لا يرى في هذا الرباط شيئاً ينكر . . . الشيء الذي ينكر حقا هو الإخاء الديني بين
المسلمين وحدهم ، وتحول هذا الإخاء إلى سياج يحمي عرب فلسطين من المنتهيين لأرضهم المغتصبين
لأعراضهم .

ومن ثم كانت قضية فلسطين عنصرية لا دينية كما يصورها لنا الخادعون المخدوعون ، إن المأساة
المقلقة وقوع الغارة اليهودية ، ومن قبلها الغارة للصليبية في أيام نحسات من تاريخنا المديد ، فالعلم
بالدين سيء والعمل به أسوأ ، وقد استطاع الاستعمار الثقافي خلق جيل مهزوز الإيمان والفقّه ، ضعيف
الثقة بنفسه وأمته ، فهو يعطي النذية في دينه ودينه ، غير شاعر بأولاه وعقباه .

إننا بحاجة إلى بقطة عامة تتناول أوضاعنا كلها ، حتى نحسن الدفاع عن وجودنا ورسالتنا في عالم لا
تسمع فيه إلا عواء الأقوياء ^(١) .

(١) هموم داعية للغزالي ، ص ١٠٨ - ١١٢ ، بتصريف واختصار .

١٠- إحياء اللغة العربية

اللغة العربية هي لغة القرآن ، وسنن الإسلام ووصايا نبيك وسين حركت . وقد وسعت اللغة العربية علوم الحضارة الإسلامية وفنونها في زمن ازدهارها ، ولم تضق بعلم ولا فن ، بالإضافة إلى علوم العربية نفسها التي نبع فيها عباقرة أفذاذ من شتى الأجناس ، لا من العرب وحدهم ، ولارتقى الأديب العربي شعرا ونثرا حتى بلغ الذروة في أدب العالم .

وفي عصور الهزيمة والتخلف وأندبار الحضارة الإسلامية ، ذبلت اللغة العربية وآدابها ، وطغت على شعرها ونثرها المحسنات اللفظية ، وغابت الأصالة والإبداع ، وأضحى التكرار والتقليد هو الطابع العام للإنتاج الأدبي ، وأصبح المثل السائر هو : ما ترك الأول للأخر شيئا !!

وعندما بدأت اليقظة الإسلامية الحديثة ، كان التوجه لإصلاح اللغة وآدابها وإحيائها وتحريرها من العوائق اللفظية التي تنوء بها في مقامة بولكير التجديد والإصلاح .

وظل شيخنا يهاجم الذين يروجون اللهجات العامية ويريدون تخليدها وتعميقها كما يهاجم دعاة الشعر الحديث الذي لا يراه شعرا ولا نثرا حتى إنه ذكر في كتابه " علل وأدوية " أن الجراءة على اللغة العربية وصلت إلى حد الفحش والسكوت على هذا الوضع طريق إلى الارتداد — معاذ الله — عن دين الله^(١).

ويرجع اهتمام الشيخ بإحياء اللغة وإصلاح الأدب إلى نشأته الأولى في المعاهد الأزهرية حيث الدراسة العميقة والأمانة للغة وفروعها والرعاية الوثيقة للهجاتها وآدابها . . . وتظل هذه العلاقة القوية بين الطالب ولغته في جميع سني الدراسة ومختلف مراحل التعليم ، وتستمر — كذلك — علاقته هذه بعد التخرج حيث يجب عليه أن يقيم لسانه وفق تلك المقررات اللغوية فيما أسند إليه من عمل متعدد الجوانب ومتشعب المناحي .

وأصل — أيضا — هذه الصلة في نفس للشيخ عناية شيخه الإمام اللبنا باللغة حيث جعل من وصاياها العشر لأتباعه وتلاميذه التكلم بالعربية الفصحى .



(١) علل وأدوية ، ص ١٩٠ بتصرف .

عطاؤه الفكري

الشيخ محمد الغزالي يعد من طليعة المفكرين الإسلاميين المعاصرين ، ولعله أحد الرموز الثقافية الهامة التي شاركت في إعادة سريان الروح في جسد الأمة الهامد، بعد أن ظل عطائه الفكري يتواصل مسدده ويتتابع رفده طيلة حياته .

وله من التأليف - كما سيأتي بمشينة الله بالتفصيل - قرابة الستين من محاور متعددة ، منها محور الفكر والثقافة الإسلامية ، ومحور التجديد وحوار الحضارات ، ومحور الإهتمام بقضايا الأمة المعاصرة ، ومحور علوم القرآن والتفسير ، ومحور التصوف والروحانيات.

وعن قصة التأليف في الموضوعات والقضايا الدينية يقول :

" بدأت الكتابة منذ الشباب الباكر ، وكانت هواية عندي ورغبة أجد راحة في تحقيقها ، ولم أتوجه إلى الكتابة الدينية إلا بعد أن اشتغلت بالدعوة الإسلامية ... وقد سلكت في الكتابة الدينية منهاجاً يجمع بين العلم و الأدب مع عرض الثقافة الإسلامية عرضاً ممزوجاً بقضايا العصر الحاضر ويمكن القول بأن هناك عدة محاور أساسية دارت حولها ككتبي : (الإيمان والعقل والقلب) ، و (الإسلام والطاقت المعطلة) " (١)

وعن الأوقات المناسبة للكتابة يقول:

" أحب أوقات الكتابة إلى بعد صلاة الفجر ، عند هذا الوقت أشعر باجتماع فكري ويقظة أعصابي وقدرتي على إفراغ ما في نفسي فوق الصفحات ويغلب أن تكون الكتابة الأولى هي الأخيرة ، وقلما أمحو منها أو أزيد عليها إلا القليل ... بل قلما أعود إلى قراءة كتاب أصدرته إلا إذا كانت هناك حاجة ملحة في ذلك كمناقشة له أو حوار حوله " (٢)

(١) الداعية الشهيد الشيخ محمد الغزالي ، ص ٢٣ باختصار يسير.

(٢) المرجع السابق بنفس الموضوع.

ولعلنا بعد هذه المقدمة نقدم تعريف

١- "الإسلام والأوضاع الاقتصادية" - ١٩٤٧م وجاء في الطبعة السابعة التي صدرت من دار الصحوة سنة ١٩٨٧م ما يؤكد أن في الكتاب لمحت وجب إعادة النظر فيها ، وأن كثيرا من مواطني الأقدام تحتاج إلى تبيين ، وأن بعض الآراء والاجتهادات ربما تحتاج إلى تمحيص مع ظهور حقائق جديدة مع ما أفاده المؤلف من تجربة العقود الماضية .

ومن عناوين الكتاب : الطبقات المترفة والطبقات البائسة ، الصراع بين الخير والشر ، هل للردائل أسباب اقتصادية ؟ هل للفضائل أسباب اقتصادية ؟ ، الإستعمار الداخلي يمهد للإستعمار الخارجي ، سوء استغلال الدين في حل المشاكل العامة ، ضوابط الملكية الخاصة في الإسلام ، هل تغني ضريبة الأرض عن زكاتها ؟ المجتمعات المنحطة لا يزدهر فيها دين ، قيمة العقل والدين . ويقع الكتاب في ٢١٤ صفحة.

٢- "الإسلام والمناهج الاشتراكية" : يقع الكتاب في ٢٧٠ صفحة وهو من منشورات دار الكتب الحديثة (القاهرة) سنة ١٩٦٠م وهذا الكتاب صيحة تنبيه ضد ما يحيق بالإسلام من تأمر وتهديد لشرف الدعاة إليه ، وهو دعوة مملوءة بالتفاؤل للعودة إلى منابع الإسلام الأصيلة ، وتحديد موقفه من العلم والنظام السياسي والنظام الاقتصادي ، والنظام الاجتماعي وموقفه من المذاهب الحديثة.

ومن أبرز عناوينه : الإسلام في أوطانه ، شرف الدعاة إلى الإسلام مهده ، التأمين الاجتماعي ، مجتمع مثالي ، عمل الدولة فلسفة للثروة والفقير ، القعود عن الدنيا هدم للدين ، الفساد السياسي أخبث علل المسلمين ، توزيع الملكيات ، موضع الفرد من الحياة العامة ، نظام ملكية الأرض في الإسلام ، الدين والربا ، الاحتكار ، الصراع بين الشيوعية والإسلام .

٣- "الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين" : يقع الكتاب في ١٧٨ صفحة وكانت الطبعة الأولى من الكتاب قد صدرت عن دار الكتاب العربي في القاهرة سنة ١٩٥٠م وقد نشر أغلب الكتاب من قبل فصولا متفرقة على نحو ثلاثين عددا من إحدى المجلات الدينية ، ويؤكد المؤلف في مقدمة الطبعة الثالثة أن للكتاب وأخويه السابقين أول ما خط في اللغة العربية من كلام في هذا الموضوع ، وأن هذا الكلام كان مستغربا في ميادين الدين والسياسة والأدب ، وأنه أي الشيخ الغزالي

(١) نظر الطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي ، ص ٢٢٩ - ٢٦٠ بتصرف ، ومجلة إسلامية لمعرفة العدد السابع صد خاص عن الشيخ محمد الغزالي ص ٢٣١ - ٢٤٧ بتصرف .

بدأ السير وحده في هذا الميدان ثم للمظالم الاقتصادية المؤلمة ، التي والأحمر على سواء . . . وقد جاءت مقالات هذا الكتاب قصيرة مختصرة ولكنها مجمعة في فصول عامه بالعناوين هذه :

الحضارة بين الإيمان والإلحاد ، دعائم الأخوة للامة ، نماذج للعدالة في الإسلام ، الفقه الإسلامي يسائر التطور الاقتصادي ، المتحدث الرسمي باسم الإسلام ، دروس من السماء .

٤- " الإسلام و الإستبداد السياسي " : يقع الكتاب في ٢٢٧ صفحة وهو من منشورات دار الكتب الإسلامية (القاهرة) الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٤ م . وأصل الكتاب محاضرات ألقاها الغزالي في معتقل الطور سنة ١٩٥١م ونشر بعضها فيما بعد في بعض المجلات ولم تجمع في كتاب إلا بعد بضع عشرة سنة ، وكان لها نوي بعيد المدى في إقلاق الظلمة وكانت استجابة القدر لها أسرع مما يتصور للكثيرون ، وقد هتك المؤلف بهذا الكتاب أستار الإقطاع المدبر ، وحذر الشعوب من مغبة الإستسلام له ويتضمن الكتاب : الشورى ، الجهاد ، الرق في الجاهلية ، قضايا معاصرة ، قضايا إسلامية .

٥- " من هنا نعلم " : يقع الكتاب في ٢٤٣ صفحة من الطبعة السادسة سنة ١٩٦٥ وهو من منشورات دار الكتب الحديثة (القاهرة) .

وفي هذا الكتاب يرد الشيخ الغزالي على كتاب " من هنا نبدأ " للأستاذ خالد محمد خالد لما فيه من شطط للمفاهيم الإسلامية . . . ولم يكن الكتاب مجرد رد لشبهات أثارها الشيخ خالد بقدر ما كان دفاعا عن تعاليم الإسلام وبيانا لقيمه ومع أن الشيخ الغزالي كان شديدا في هجومه غير أنه كان رفيقا مع صاحبه الشيخ خالد ، بل استمر في علاقته به بعد للكتاب ورفض فتوى الأزهر بتجريدته من شهادته وقد رجع الشيخ خالد عما كتب كما سبق بيانه .

ويتضمن الكتاب ردود للشيخ حول الحدود وضرورة إقامتها ، وبدعة فصل الدين عن الدولة وعن دور المرأة الاجتماعي ، وعن الكهانة والإسلام ، وعن الديمقراطية ، وتحديد النسل ، والقومية العربية والإسلام .

٦- "تأملات في الدين والحياة" م وهو مجموعة من المقالات والبحوث واللغات عن مركز أبحاث الرسائل الجامعية أنها عرضت الدين على الناس نابضا بالحياة والحركة ، وكتب كثير منها عندما كان الغزالي يحرر مجلة الأخوان المسلمين ، وبعض مقالات الكتب ظهرت فيما بعد على شكل كتب مستقلة . ومن عناوين الكتاب : سياسة الحرية والكفاح ، نكريات من الريف ، في صميم السيرة ، نقد وتوجيه ، صور من الماضي .

٧- "عقيدة المسلم" : يقع هذا الكتاب في ٢٦٢ صفحة ، صدر عن دار القلم (دمشق) سنة ١٩٨٧م وأصدرت الطبعة الثالثة دار الدعوة (الإسكندرية) سنة ١٩٩٠م ويحوي بحثا ميسرة في العقيدة الإسلامية ، معززة بأصولها العلمية وهو يمتاز عن كتب الفلاسفة والمتكلمين في أنه يخاطب العقل والقلب ويثير العاطفة والفكر .

ومن عناوين الكتاب : الحقيقة الأولى ، الوحدة المطلقة ، كمال الأعلى ، القضاء والقدر ، العمل أساس الإيمان ، الخطيئة والمتاب ، النبوات ، الخلود .

٨- "خلق المسلم" : يقع الكتاب في ٢٤٨ صفحة من طبعة دار القلم السادسة (دمشق) سنة ١٩٨٧ وهذا الكتاب عبارة عن نقول من الكتاب والسنة توجه المسلم إلى الفضائل التي يتم بها دينه ، وتصلح بها دنياه وأخراه جميعا ، ويعد الكتاب حلقة ثانية بعد كتاب "عقيدة المسلم" ليكون جزءا من منهج تربية المسلم على العقيدة الصحيحة والسلوك القويم .

ومن عناوين الكتاب : أركان الإسلام ومبادئ الأخلاق ، نحو عالم أفضل ، الإنسان بين الخير والشر ، الحدود على الجرائم الخلقية ، دائرة الأخلاق تشمل الجميع ، الصدق ، الأمانة .. الخ .

٩- "التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام : نحض شبهات ورد مفتريات" : يقع الكتاب في ٣٦٦ صفحة من الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣م وهو من منشورات دار التوزيع والنشر الإسلامية (القاهرة) وفيه تصدى الغزالي لأحد المسئولين المسيحيين بعد طعنه في الإسلام ، وقد تعهد الشيخ أن لا يذكر اسم الطاعن حتى يموت في مهده ...

وأهم موضوعات الكتاب المسلمون وأهل النمة ، دخول المسيحية في مصر ، الإسلام بين التعصب والتسامح ، لفتراءات المستشرقين على الإسلام ، تسامح الإسلام مع الديانات الأخرى .

١٠- "فقه السيرة" : يقع الكتاب
كما أصدرته دار الريان للتراث
جيش المشاعر ، وقد كتب معظمه في الروضة الشريفة من المسجد النبوي وبعضه في مكة أمام
الحرم واعتمد المؤلف فيه على الكتاب والصحيح من السنة والعقل الراشد ، وقد سمح الغزالي
للأباني أن يحقق أحاديثه وإن خالفه في بعضها .

وقد جاء الكتاب في تسعة فصول هي : رسالة وإمام ، من الميلاد إلى البعث ، جهاد الدعوة ، الهجرة
العلماء ، أسس البناء للمجتمع الجديد ، الكفاح الدامي ، طور جديد ، أمهات المؤمنين ، الرفيق الأعلى .

١١- "في موكب الدعوة" : يقع الكتاب في ٢٦٢ صفحة الطبعة الثانية سنة ١٩٥٧م لدار الكتاب
(القاهرة) وفي هذا الكتاب يستثير الشيخ مشاعر الدعاة ، ويستنهض هممهم ، ويستصلح أوضاعهم
ويحارب الوهن ، ولم يكتب الشيخ هذا الكتاب ليعبر عن مذهب خاص به في الحياة ، وإنما ليبرز
رأي الإسلام فيما اعترضه من شئون .

ومن أهم عناوينه : موت الأبطال في الطريق ، من صور القوة في القرآن ، الوطنية الضيقة والوطنية
الواسعة ، من أخلاق النبوة ، هل الحكم الشرعي كلام فارغ ؟ نعم ... دين الدولة الإسلام ، الإسلام
جامعة ، جهاد وتربية ، استغلال ، فتنة لا تعليم ، تحريف الكلم عن مواضعه ، ذكرى .

١٢- "ظلام من الغرب" : يقع الكتاب في ٣٤٣ صفحة من الطبعة الثانية عن دار الكتب الحديثة ()
للقاهرة) سنة ١٩٦٥م ، وأصدرته دار الاعتصام (القاهرة) سنة ١٩٧٩م .. والكتاب رد على
المستشرقين المصريين الذين ولدوا في بلادنا لكن عقولهم تربت في الغرب فهم كفسار بالعروبة
والإسلام سفراء أوفياء للغرب المختل .

ومن أهم عناوينه : بين العقل والعاطفة ، عروبة وإسلام ، تيارات متدافعة ، في ميدان التشريع ، جاهلية
حديثة ، كيف تصان الأخلاق ، الأمم بين للنماء والنفاء نحو وحدة إسلامية كريمة ، الإسلام والمدينة
الحديثة .

١٣- "جدد حياتك" : يقع الكتاب في مركز أبحاث الرسائل الجامعية (الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩م.. وهذا الكتاب مولّنة بين تعاليم الإسلام الحنيف وبين أصدق ما وصلت إليه حضارة الغرب في أدب النفس والسلوك ، وهو محاولة لرد كتاب " دع القلق و ابدأ الحياة " للعلامة " دايل كارينجي " إلى أصوله الإسلامية .

ومن عناوينه : عش في حدود يومك ، كيف نزيل أسباب القلق وآفات الفراغ ، لا تبك على ما فاتك ، لا تنتظر الشكر من أحد ، روحانية الرسول ، بقدر قيمتك يكون النقد الموجه إليك ، حاسب نفسك .

١٤- " ليس من الإسلام" : يقع الكتاب في ٢٦٢ صفحة من الطبعة السادسة عن مكتبة وهبة (القاهرة) سنة ١٩٩١م... وفي هذا الكتاب رغبة أصيلة لدى المؤلف في تمكين المسلم من أن يحيط علماً بأصول لا بد منها ، وفروع لا غنى عنها تتصل بالإسلام ، ويرى أن هذا الكتاب سوف يغضب بعض الجامدين الذين لا قم لهم في علوم الدين وسوف يرون الكتاب امتداداً لجهد أئمة طال كفاحهم في إيقاظ العقل الإسلامي.

ومن أبرز عناوين الكتاب : الشريعة الإسلامية أهداف ومناهج ، اختراع فني الدين، في الفكر الإسلامي، من بدع العقائد : وحدة الوجود ، النزعة القومية ، بدع العبادات ، بدع العادات .

١٥- " الثقافة الإسلامية " : كتب بالاشتراك مع الأستاذ عبد الرحمن حسن حينكه الميداني نشرته جامعة الملك عبد العزيز (جدة) سنة ١٩٨٠م ، ورد الكتاب ضمن سلسلة الكتاب الجامعي ، ويعتبر أحد الكتب الدراسية لمادة الثقافة الإسلامية ، وشملت الدراسة العقيدة ، والعبادة ، والأخلاق ، والقرآن والسنة والحديث والإجماع والاجتهاد .

١٦- " من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث " : يقع الكتاب في ٢٠٠ صفحة عن دار الاعتصام (القاهرة) الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤م ، وفيه يرى المؤلف أن ما أصاب الإسلام في عصرنا وفي العصور التي سبقته لا يسأل عنه أعداؤه قدر ما يسأل عنه أبنائه ، لأن حال المسلمين يحجب عنهم نصر الله .

ومن عناوين الكتاب : من مضطردة (حقائق العلاقة مع بني إسرائيل) ضد الإسلام (أقلام تحارب الإسلام تحت شعار محاربة التعصب) دروس (الإسلام مقياس الحكم والتقويم) السلام المسلح ، العلم يدعو إلى الإيمان ، بين الغيبة والنقد ، طبيعة الإسلام .

١٧- "كيف نفهم الإسلام" : يقع الكتاب الإسلامي (القاهرة) سنة ١٩٨٣م ثم أصدرته دار الدعوة سنة ١٩٩١م .. وفي هذا الكتاب إجلال لمعارف إسلامية صحيحة طويت عن الأمة أو عرفها القليل دون العامة ، كما أنه يعد محاولة لتغيير وتحض خرافات علمية وخرافية وعقدية فشت في كل البقاع وتوطننت . كما أنه-أيضا- يعد إحياء لتقاليد إسلامية عريقة لو سمع بها الجمهور لفقر فمه في دهشة ...

ومن أهم عناوينه : حول التعريف بالإسلام ، مساوئ التعليم الديني ، علوم الحياة ونشاطها ، الجهل بالدنيا والسقوط فيها ، الانفصال التاريخي بين العلم والحكم ، العقيدة صلة إلهية ومنهج إنساني ، التجديد والإجتهد ، في دائرة السنة ، لماذا أنا مسلم ؟

١٨- "الإستعمار أحقاد وأطماع" : يقع الكتاب في ٢٦٨ صفحة ، أصدرته دار الكتب الإسلامية (القاهرة) الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٣م .. يعرض الكتاب حركة الإرتداد الخلقى والتقاضي والتشريمي التي أحدثها الغزو التقاضي في بلادنا لحساب الصليبية الغازية .

ومن عناوين الكتاب : كيف يتكون بنا ؟ تهويد وتصير ، القتل أو الاستغلال ، سلام مسلح .

١٩- "نظرات في القرآن" : يقع الكتاب في ٢٥٤ صفحة الطبعة السادسة ، دار الكتب الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٨٦م ... فيه جملة معارف حسنة عن القرآن المجيد .

ومن عناوين الكتاب : هذا القرآن : كيف نزل ولماذا خلد وكيف جمع ؟ نماذج وصور في القرآن . الإنسان ، الحياة ، الثروة ، والألوهية ، والنبوة ، والقصص ، الإعجاز القرآني النفسي والعلمي والبياني ، القرآن وأهل الكتاب ، ودراسة حول النسخ .

٢٠- "مع الله دراسات في الدعوة والدعاة" : صدر سنة ١٩٨٩ عن دار القلم (دمشق) ، ثم أصدرته أخبار اليوم (القاهرة) سنة ١٩٩٢م ، وهذا الكتاب ألفه للدعاة حين كلفته مشيخة الأزهر بأن يحاضر لطلبة الدعوة والإرشاد ، ويحتوي للكتاب على فصول عديدة .

من عناوين فصوله : التعريف بالدعوة ، السنن العامة في دعوة الرسل إلى الدين ، حملة الدعوة ، وسائل الدعوة ، مقاومة الهدلمين ، نماذج حية ، زاد للدعاة.

٢١- " معركة المصحف في التاريخ الحديث الطبعة الثانية (القاهرة) ، مركز أبحاث الرسائل الجامعية ، من منشورات دار الكتب الحديثة الطبعة الثانية (القاهرة) ، دراسة الاحتلال الأجنبي بجميع أشكاله عن طريق ثورة الشعوب وخلق الأمل في النجاح ، وتأسيس الحياة الاجتماعية والسياسية على أصول الإسلام .

ومن أهم عناوينه : المصحف للنفس والمجتمع والدولة ، العبادات وسلطان الدولة ، الإسلام يصيغ الحياة العامة في أغلب تاريخه ، حراسة الحق معيار الإيمان ، التجديد الإسلامي في ميدان السياسة .

٢٢- " كفاح دين " : يقع الكتاب في ٣١٢ صفحة صدر عن مكتبة وهبه (القاهرة) الطبعة الخامسة سنة ١٩٩١م .. أظهر المؤلف في الكتاب ما يقع للإسلام وأهله من أذى ، حيث تتجس سياسة الإستعمار فسي إقامة حكومات موالية له وتوسع في إيراد الأمثلة لذلك .

ومن عناوينه : التعاون بين الإسلام والمسيحية ، اتجاه الصليبية الحديثة ، ثقافة مهجورة ، فسي عالم المذات .

٢٣- " الإسلام والطاقت المعطلة " : يقع الكتاب ٢١٤ صفحة من منشورات دار الكتب الإسلامية (القاهرة) الطبعة الرابعة ١٩٨٣م في هذا الكتاب موازنة بين طبيعة دين وواقع أمة اعتمد فيها المؤلف على مبادئ الإسلام والمألوف من حياة المنتميين إليه .

من أهم عناوينه : تجبير الطاقة الإنسانية ، فساد عاطفة التدين ، الكفر بالإنسان ، الإستبداد بشل القوى ، أثر الثقافات الرديئة ، للمرأة في المجتمع الإسلامي ، تحرير الأراضي الإسلامية .

٢٤- " حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة " : يقع الكتاب في ٢٥٣ صفحة صدر عن دار الكتب الإسلامية (القاهرة) الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٤م كما أصدرته دار الدعوة (الإسكندرية) سنة ١٩٩٣ ، يتناول هذا الكتاب الذي كتب في الستينات مبادئ حقوق الإنسان باعتبارها أمراً ثابتاً فسي الدين لعموم الإنسان في حين أن الدول الكبرى لا تلتزم بها إلا في إطار منفعتها .

ومن أبرز عناوينه : المساواة العامة ، الحقوق للقضائية ، الحريات ، الرجل والمرأة في المجتمع ، كيان الأسرة ، الهجرة واللجوء ، للكرامة الاقتصادية ، المستوى الثقافي ، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الإسلام ، وحقوق الإنسان في الإسلام .

٢٥- * خطب الشيخ محمد الغزالي درتها دار الاعتصام (القاهرة) سنة ١٩٨٠م .

٢٦- * هذا ديننا * : يقع الكتاب في ٢١٣ صفحة ، أصدرته دار الكتب الإسلامية (القاهرة) سنة ١٩٧٥م يأتي الكتاب جامعا لتعاليم الإسلام لتقديم صورة وسيمة الملامح عنه .

وأبرز عناوين الكتاب : العقائد ، التوحيد ، القضاء والقدر ، حرية العقل لا حرية للشهوة ، حرية الاعتقاد ، ضروب العبادات وصورها ، الأسرة — الأخوة ، الإجتهد ، الإجماع ، فقه العبادات ، شرائع المعاملات .

٢٧- * الخديعة : حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي * : يقع الكتاب في ٢٨٣ صفحة عن دار الكتب الحديثة (القاهرة) ١٩٧٧ كما أصدرته دار الروضة للنشر والتوزيع (القاهرة) ١٩٩٣م .

ويتناول الكتاب خصائص العروبة ودعائم المجتمع وعصور الازدهار ، وعصور الإهيار ، وقضية البعث العربية ، وقضية الشعوبية في العصر الجديد الحديث .

٢٨- * الجانب العاطفي في الإسلام * : يقع الكتاب في ٢٩٩ صفحة طبعة دار الدعوة الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م ويعد هذا الكتاب إحياء لجانب هام من جوانب موارثنا العلمية الثمينة تفتقر له الحياة المعاصرة وهو الجانب العاطفي والنفسي والخلقي وتكامله مع الجانب العلمي والفكري .

ومن عناوين الكتاب : في باب الإيمان الإسلام والإحسان ، الإلحاد خرافة علمية ، قوانين الإحسان وأخطاره وفي باب دعائم الكمال النفسي : إشارات الطريق : التوبة ، السورع ، الخوف ، الرجاء ، الحب .

٢٩- * عالمية الرسالة بين النظرية والتطبيق * : من إصدارات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٩٨٠م وهذا الكتاب كان ضمن بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة ، ركز فيه الشيخ الجليل على أن عالمية الإسلام تفرض على أتباعه أن يقدموا من سلوكهم الخاص والعام نماذج جديدة بالإبتكار .

٣٠- "دفاع عن العقيدة والشريعة" الطبعة الخامسة لدار الكتب الإسلامية
 من ٢٥٩ صفحة من شرق المجري "جولد
 تسبير" في كتابه "العقيدة والشريعة" المملوء بالأحقاد والضغائن ضد الإسلام وقد أخرجه بعد أن مكث
 بضع عشرة سنة يدرس الإسلام دراسة مشوهة .

من عناوينه الرئيسية : الإنقياد لله طبيعة الأديان كلها ، لا تفاوت بين الإسلام في مكة والمدينة ، الهجوم
 على السنة ، تطور الفقه الإسلامي ، عموم الرسالة وخلودها ، بين الشريعة والقانون الروماني ، التشابه
 في القرآن ، طبيعة الخلافات بين المسلمين ، حول الوحدة الإسلامية ..

٣١- "ركائز الإيمان بين العقل والقلب" : يقع الكتاب في ٢٨٨ صفحة صدر عن دار الإعتصام سنة
 ١٩٧٩م ، جاء للكتاب مستهدفاً خدمة الثقافة الإسلامية في أمرين أولهما : إثارة للعقل والضمير بأشعة
 الوحي ومعالم النبوة ، وثانيهما : تبديد الغيوم التي تراكمت خلال قرون الضعف وهو استكمال لما جاء
 في كتاب "الجانب العاطفي في الإسلام" .

ومن عناوينه : للتفاوت بين التقدم الروحي والتقدم العقلي ، العلم ظهير الإيمان ، الإيمان بالغيب ليس
 إيماناً بالوهم ، صدق المعرفة ووحدة الوجود ، وحدة الوجود خرافة ، نبوة وكتاب وأمة وراثه .

٣٢- "حصار الغرور" : يقع الكتاب في ٢٠٧ صفحة ، صدر عن المختار الإسلامي (القاهرة) سنة
 ١٩٧٩م ودار القلم (نمشق) سنة ١٩٨٨م وعن مكتبة وهبة (القاهرة) سنة ١٩٩٦م .. والكتاب رصد
 لأحوال الأمة قبل الهزيمة من اليهود سنة ١٩٦٧م وبعدها واستشعار لمدى قربها أو بعدها من دينها .

ومن أهم عناوينه : صراع بين رسالتين ، يهودية وصهيونية ، من أين تهب رياح التغيير ، هل عن
 الإسلام غنى ؟ متى تنتهي هذه الأحقاد ؟ ، جنور المعركة للقائمة (للقيم الروحية) ، أجيال النصر
 وأجيال الهزيمة ، بواعث الحقد على لغتنا ، تزوير التاريخ ، إسلام واحد وإن اختلف الفقهاء .

٣٣- "الإسلام في وجه الزحف الأحمر" : يقع الكتاب في ٢٠٦ صفحة ، صدر عن مكتبة (القاهرة)
 بدون تاريخ ، وصدر عن المختار الإسلامي (القاهرة) سنة ١٩٧٦م-كتب الغزالي هذا الكتاب في
 ظروف صعبة شديدة حيث كان عند من الحكومات العربية قد تبنت الشيوعية وتحالفت مع السوفييت .

ومن عناوينه : بداية الصراع ، للشيوعية والدين والحريات ، الأحوال الإقتصادية في ظل الشيوعية ،
 المسلمون في الاتحاد السوفيتي ، الإسلام بين الحياة والموت ، فلسطين و الشيوعية وواجبنا العام .

٣٤- "قذائف الحق" : يقع الكتاب تاريخ ، ولكن المؤلف أعد مقدمة للكتاب وهو في الرباط عاصمة المغرب يستمع إلى أخبار القتال بين العرب و اليهود سنة ١٩٦٧م وأصدرته ذات السلاسل (الكويت) ١٩٨٠م .

وأهم ما جاء في الكتاب : العقل أولاً .. ، العهد القديم و افتراءاته على المرسلين ، تحرك ضد عقيدة التوحيد ، ماذا يريد الأقباط ؟ الإسلام وجماعة الإخوان ، صفحات من مذكرات معتقل ، نحن نريد الحفاظ على وحدة مصر الوطنية ، الدعوة الإسلامية وسياسة بعض الحكام ، لا دين حيث لا حرية ، محنة الضمير الديني هناك .

٣٥- "الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر" : ويقع الكتاب في ٢١٠ صفحات طبعة مكتبة وهبة الثالثة سنة ١٩٩٠م .. ألف الغزالي هذا الكتاب إستجابة لطلب جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض بمناسبة انتهاء القرن الرابع عشر ، وقد ضمنه وصف العلل التي تكتنف الدعوة والدعاة في شتى الآثار و الأمصار .

من أهم عناوينه : شبهة مردودة ، الدعوة وأحوال الدولة الداخلية ، الأتراك والعرب والدعوة الإسلامية ، أسباب انهيار الحضارة الإسلامية ، نبول الأدب العربي ، الفساد السياسي ، كيف تصدى الدعاة لهذه الغارة ، ولاؤنا لمن ؟ ، الأبعاد الجديدة ، بعدما صعّدوا هبطنا .

٣٦- " أزمة الشورى في المجتمعات العربية والإسلامية " : صدر عن دار الشروق (القاهرة) سنة ١٩٩٠م .. يتحدث الكتاب عن افتقار عالمنا العربي والإسلامي في ممارسة الشورى ، الأمر الذي يعتبر من أهم الركائز التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي والقانون الدستوري الإسلامي .

٣٧- " فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء " : يقع الكتاب في ١٧٩ صفحة للطبعة الثانية سنة ١٩٨٠م من منشورات المكتبة العصرية (بيروت) ودار الإعتصام (القاهرة) .. في هذا الكتاب سباحة محدودة في جانب شريف من جوانب المسيرة هو جانب الذكر والدعاء .

من أهم عناوينه : كيف عرفنا محمد بالله ، الحب لأسسه والشوق مركبه ، أربع وعشرون ساعة من حياة عريضة ، مجالس النبوة ، بناء البيت المسلم ، هل الدعاء من الأسباب العادية ، ذكر وتذكير .

الطبعة الأولى لدار

لهم هذا الكتاب وصاحب

٣٨ - " دستور الوحدة الثقافية

للقلم سنة ١٩٨٧ م ، كما أصدر

موضوعه الأستاذ الإمام حسن البنا الذي يصفه الغزالي بأنه مجدد القرن الرابع عشر الهجري.

من أهم عناوين الكتاب : هيمنة الإسلام على الحياة كلها ، للكتاب و السنة معا ، بين النص والمصلحة ، أخبار الأحاد ووزنها العلمي ، الاجتهاد الفقهي علامة صحة ، نحو سلفية واعية ، التوسل ما يجوز منه وما لا يجوز ، الحب والبغض في الله ، الانحرافات النفسية والبدنية .

٣٩ - " واقع العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر " : يقع هذا الكتاب في ثمانين صفحة صدر في القاهرة عن دار ثابت سنة ١٩٨٣ م .. يتناول الكتاب قضية المؤامرات التي تدبر لهذا الدين ولأتباعه ، ويتحدث عن واقع العالم الإسلامي وانهياره أمام هذه القوى ، ويشير بوجه خاص إلى قضايا الاستبداد السياسي والفساد الإداري ، وامتهان حرية الرأي ، والفرق الكبير بين تعاليم الإسلام وأحوال المسلمين .

٤٠ - " مشكلات في طريق الحياة الإسلامية " : يقع للكتاب في ١٤٣ صفحة صدر أولاً عن دار البشير (القاهرة) ١٩٨٩م ثم عن دار نهضة مصر للطباعة والنشر (القاهرة) سنة ١٩٩٦م .. وهو متابعة للنشاط الإسلامي المعاصر ، ودراسة شاملة لأسباب تقهقر المسلمين المدني والعسكري .

ومن عناوينه الرئيسية : صور جديدة وعديدة لأعمال الصالحة ، في الثقافة والتربية والأخلاق ، كلام في الإسلام ، محنة اللغة العربية والأخطار التي تكتنفها ، بين الاعتدال والتطرف ، المتاجرة بالخلاف خيانة عظمى ، فقه الدعوة الإسلامية ومشكلة الدعاة .

٤١ - " هموم داعية " : يقع الكتاب في ١٧٣ صفحة من منشورات دار البشير (القاهرة) الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م في هذا الكتاب نماذج محددة لمثار الشكوى ومصدر هموم الداعية ، حيث تنقية الثقافة ، وغربة الدعاة .

من أبرز عناوين الكتاب : السلفية التي نعرف ونحب ، لاسنة من غير فقه ، هم بنو إسرائيل فبنوا من نحن ؟ عنوان من البشر أم عقاب من القدر ، عوائق مزعومة أمام الإسلام ، حقائق خفية وراء حروب تعيسة ، على مسار الدعوة .

رات دار ثابت للنشر
تسعين إلى الإسلام في

٤٢- "مائة سؤال عن الإسلام"
والتوزيع سنة ١٩٨٤م.. وهذا الكتاب
هذا العصر .

٤٣- "علل و أنوية" : يقع الكتاب في ٢٨٣ صفحة أصدرته دار القلم (دمشق) سنة ١٩٨٨ ، كما
صدر عن منشورات دار الدعوة (القاهرة) سنة ١٩٩١م يتناول الكتاب دراسات في أمراض أمتنا
ووسائل الإستشفاء منها مع تصحيح لما وجه للتاريخ الإسلامي من أخطاء.

من أهم عناوينه : الإنسان في القرآن ، كيف غير الإسلام مسار العالم ، أولو الألباب في كتاب الله ،
وجهة نظر في أقدار الرجال ، عندما يكون الإلحاد أنكى شائعات في ميدان العلم ، رحلة من العلم إلى
الأيمان ، أسرار وراء تخلفنا ، الثقافة الإسلامية في محنة ، الأمانة في نقل التراث .

٤٤- "مستقبل الإسلام خارج أرضه ، كيف نفكر فيه ؟" : يقع الكتاب في ٢٠٢ صفحة صدر عن دار
الشروق سنة ١٩٨٤م ، .. يحاول الكتاب أن يجيب عن أسئلة مهمة تمس واقع الناس من عناوين الكتاب
: غربلة المعارف قبل تقديمها للناس ، شخصية المسلم المعاصر هل تفيد الدعوة ؟ لكي تتجح دعايتنا .
أهل القرآن وأهل الحديث .

٤٥- "قصة حياة" : مقتطفات من مذكرات الشيخ .. مخطوطة بخط اليد ، وقد نشرتها مجلة إسلامية
المعرفة التي يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي في عندها الخاص عن الشيخ محمد الغزالي العبد
السابع . السنة الثانية تقدم نبذة مختصرة عن حياة الشيخ محمد الغزالي ، ومن عناوين الكتاب ويتناول
نكريات الطفولة ، التعليم الديني والمدني ، من السجن إلى المعتقل ، الانتفاع بالحريات الديمقراطية ،
الأصول السياسية ، جماعة الإخوان المسلمين .

٤٦- "سر تأخر العرب والمسلمين" : يقع الكتاب في ١٨٧ صفحة عن طبعة دار الريان للتراث
١٩٨٧م .. ويعد الكتاب محاولة لاستجلاء الأسباب الكامنة وراء تخلف المسلمين.

من عناوين الكتاب : أين الخلل؟ ، بعض سنن الله الكونية من القرآن ، أثر الأهواء والعصبيات على
الدعوة الإسلامية ، للعلم المغشوش ، حد أدنى لثقافة المسلم ، مرتبة أخرى من المعرفة الدينية ، جيل
يذهب ضحية العجز والفقر . أحوال اليوم وآمال الغد .

٤٧- " الطريق من هنا " : يقع مركز أبحاث الرسائل الجامعية (القاهرة) سنة ١٩٨٥م
ثم صدر عن دار الشروق (القاهرة) سنة ١٩٨٦م . في هذا الكتاب تصور شروعة بين واقعنا وديننا في
الماضي والحاضر .

من أهم العناوين : دعوات تائهة في أمة مهددة بالضياع ، لماذا جفت ينابيع هذا العلم ، قضية الأخلاق
عندنا ، في عالم المرويات ، حملة صليبية على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، الحكم الإسلامي لا
ينطلق من فراغ ، الأبعاد الإنسانية لخطاب الرسول في حجة الوداع .

٤٨- " جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج " : يقع الكتاب في ١٩٢ صفحة صدر عن دار
الصحوة بدون تاريخ ، كما صدر من دار للقلم (دمشق) سنة ١٩٩١م مجمل الكتاب أن الجهاد الإسلامي
دفاع عن العرض والأرض والحاضر والمستقبل والتاريخ والشخصية والدين والدنيا .

من أهم عناوينه : واقع لا نتجاوزه ، لوهام سيئة ، تأويلات الجاهلين ، الإسلام هو الأساس الشرعي
للحكم في أي بلد إسلامي ، الجيش الذي لا يقهر ، أكتوبة لها تاريخ .

٤٩- " الحق المر " : صدر للمؤلف بهذا العنوان خمسة أجزاء مختلفة وبطبعات عديدة منها طبعة دار
الشروق (القاهرة) سنة ١٩٩٣ وهي حصاد ثمرات قلم الشيخ ومع أنها كلمات قصيرة لكنها فواتح
لمعان جمة وهي في الأصل مقالات متعددة ذات موضوعات مختلفة .

٥٠- " الغزو الثقافي يمتد في فراغنا " : يقع الكتاب في ٤٢٤ صفحة صدر عن مؤسسة الشرق
للعلاقات العامة (عمان) سنة ١٩٨٢م وعن دار الشروق (القاهرة) سنة ١٩٨٥ .. وينطلق الكتاب من
فرضية أن هناك فراغاً حقيقياً في النفس الإسلامية المعاصرة لان تصورها للإسلام طفولي وسطحي .

من موضوعات الكتاب : الإسلام دين المفكرين ، للتحدي الثقافي ، دين يكره الحضارة وحضارة تكره
الدين ، غزو مزدوج وأمة تافهة ، نباتات سامة في حقول الإصلاح ، متناقضات قاتلة .

٥١- " المحاور الخمسة للقرآن الكريم " : يقع الكتاب في ٢٤٤ صفحة صدر عن دار الصحوة القاهرة
سنة ١٩٨٩م ، ودار للقلم (دمشق) .. يعالج الكتاب المحاور الخمسة التي أفاض القرآن بذكرها ، وانتهى
للمؤلف إلى أنها أمهات لمسائل أخرى تتدرج تحتها وهي : الأول الله الواحد ، الثاني الكون للدال على
خالقه ، الثالث القصص القرآني ، الرابع للعلوم الإنسانية ، الخامس التربية .

٥٢- " السنة النبوية بين أهل العصر ومن الحديث " . يقع الكتاب في ١٠٠ صفحة الطبعة الأولى لدار الشروق سنة ١٩٨٩م وهو من الكتب التي كلف الشيخ محمد الغزالي بتأليفها من المعهد العالمي للفكر الإسلامي وذلك إنصافاً للسنة ونوداً عنها .

وهذا الكتاب قد أثار زوبعة كبيرة بين صفوف العلماء بين ناقد ومؤيد له فقد هاج عليه خصومات الكثيرين . ولستأثر أقلاماً عدة لتردد عليه بقسوة وجدة . ومن موضوعات الكتاب : في عالم النساء ، الغناء ، الدين بين العادات والعبادات ، لمس الشيطاني حقيقته وعلاجه ، فقه للكتاب لولا ، أحاديث الفتن وسائل وغايات ، القدر والجبر .

٥٣- " قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوafدة " : يقع الكتاب في ٢١٨ صفحة صدر عن دار الشروق الطبعة الخامسة سنة ١٩٩٤ .. وهذا الكتاب خواطر منثورة جمعت بين العلم والأدب والنقد والتاريخ والفتوى الغابرة والمعاصرة ذات الصلة بقضايا المرأة والأسرة .

من عناوين الكتاب : حسنوا صورة المرأة المسلمة ، الدور الغائب للمرأة ، المرأة في العلم والأدب ، في باب مفاهيم يجب أن تصحح : العديد من المفاهيم المتعلقة بموضوع المرأة وليس لها أصل في الإسلام .

٥٤- " تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل " : يقع الكتاب في ٢٢٤ صفحة من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٦ .. والكتاب حديث حول العلوم النقلية الإسلامية ، وطرائق تدريسها ووجوب النظر في إعادة بناء برامجها . يقع الكتاب في عشرة فصول تنور كلها في هذا الفلك .

٥٥- " كيف نتعامل مع القرآن الكريم " : يقع الكتاب في ٢٣٦ صفحة الطبعة الثالثة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي سنة ١٩٩٢م كما أصدرته دار الوفاء (المنصورة) سنة ١٩٩٣م في مدارسها لجرأها الأستاذ عمر عبيد حسنة حول مناهج فهم القرآن وعلاقته بعلوم المسلمين قديماً وحديثاً .

من عناوين الكتاب : من آثار هجر القرآن ، من تجربتي الذاتية ، أبعاد المنهج المطلوب ، الحاجة إلى فهم السنن القرآنية ، انفصال العلم عن الحكم ، لفقته للحضاري وسيلة للشهود الحضاري والشهود التاريخي .

٥٦- "صحة تحذير من دعاة التفرقة بين الصحوة (القاهرة) سنة ١٩٩١م .. ألف الغزالي هذا الكتاب بعد ان وضع على كتاب تفسيره الذي تمخض عن أحد المؤتمرات التبشيرية الأمريكية الذي تخصص في قضية تنصير المسلمين في العالم وجمع لهذه الغاية ألف مليون دولار .

من عناوين الكتاب : مبادئ قبل النقاش ، ليس عيسى إلهاً ، المسلمون أتباع الأنبياء جميعاً ، نماذج للتصوير الرسمي ، قضية المرأة عندنا وعندهم .

٥٧- " نحو تفسير موضوعي لسور القرآن " : يقع الكتاب في ٥٦٠ صفحة عن دار الشروق الطبعة الثانية ١٩٩٦ .. وتعد هذه دراسة جديدة للقرآن الكريم تهدف إلى تقديم تفسير موضوعي لكل سورة على حدة وهو غير التفسير الموضوعي .

وعناوين الكتاب تشمل كل سور القرآن الكريم حيث قنم الشيخ الجليل تفسيراً موضوعياً مختصراً لكل سورة من سور القرآن الكريم .

٥٨- من كنوز السنة : يقع هذا الكتاب في ٢٠٥ صفحة صدر عن دار نهضة مصر (القاهرة) أكتوبر ١٩٩٨م . وهذا الكتاب هو آخر ما كتبه للشيخ من تراثه الكبير ، كتب هذا الكتاب ليبرز للناس قيمة السنة النبوية المطهرة . . . وقد كتب هذا الكتاب على منوال مقالات وخواطر من السنة جمعها - رحمه الله - من الكتب الستة وغيرها ، وكان حريصاً على الإلتقاء لهذه الأحاديث من الروايات الصحيحة طبقاً لموازين قواعد الحديث .

ومنهج في شرحها أنه رحمه الله خرج عن الإطار المعروف من شرح المفردات وبيان الإعراب ، وموطن البلاغة ، والمستفاد من الأحاديث شرعاً إنما حرص على ربط الحديث النبوي بمناحي الحياة كلها بأسلوبه الأنبي الرشيقي مدعماً هذا للشرح بالقرآن الكريم والآثار الولودة عن الصحابة - رضي الله عنهم .

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الجامعة الأردنية

مركز أبحاث الرسائل الجامعية

والحقيقة أن هذه المقالات وتلك
سأل عن الاسم الذي سيطلق عليها .
على الصعيد الخارجي ومما ينبغي التنبيه له أن الشيخ — رحمه الله — لم يعنون هذه المقالات ولا تلك
للموضوعات المطروحة في هذا الكتاب ، إنما ذلك من عمل المحقق على ما صرح به هو أي المحقق
في مقنمة الكتاب .



"الشيخ والقرآن الكريم"

الفصل الأول : منهج الشيخ في فهم القرآن الكريم :-

- المبحث الأول : التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي .
- المبحث الثاني : التفسير الباطني والتفسير الإشاري .
- المبحث الثالث : منهج الشيخ في تفسير القرآن الكريم "الوحدة الموضوعية" .
- المبحث الرابع : نماذج من تفسيره الموضوعي لسور القرآن .
- المبحث الخامس : نماذج من تفسيره الموضوعي لآيات القرآن .
- المبحث السادس : الأحكام الفقهية في تفسيره ومناقشتها .

الفصل الثاني: جهوده في علوم القرآن :-

- المبحث الأول : كيف نزل ولماذا خلد ؟
 - المبحث الثاني : تاريخ نزول القرآن الكريم وسببه .
 - المبحث الثالث : ثبوت القرآن الكريم .
 - المبحث الرابع : جمع القرآن الكريم .
 - المبحث الخامس : موقفه من النسخ والرد عليه .
 - المبحث السادس : إعجاز القرآن الكريم .
- ٥٤٥٠٦٦

الفصل الثالث: دفاعه عن القرآن الكريم :-

- المبحث الأول : القرآن والعلم .
- المبحث الثاني : القرآن والكسب العلمي .
- المبحث الثالث : حملة صليبية على الإعجاز العلمي .
- المبحث الرابع : فقه سيدنا عمر في تطبيق النص القرآني .

منهج الشيخ في فهم القرآن الكريم

قال الدكتور القرضاوي: "الشيخ الغزالي رجل قرآني، فهو مع القرآن أبداً، يديم القراءة له، والتأمل فيه والتدبر لآياته. حفظ الشيخ القرآن حفظاً جيداً منذ صباه — كما تقدم ذكره — فقلما تند منه آية أو كلمة، أو تلتبس عليه آية بأخرى، وهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، ويقرأ ما تيسر منه في صلواته — إماماً أو مأموماً أو منفرداً — من حيث وقف ورده، ولم أره احتاج إلى المصحف الشريف للقراءة أو للمراجعة، وإنما مصحفه صدره.

وهو دائم التدبر لكتاب الله، إيماناً منه أن ثمرة التلاوة التدبر والتذكر كما قال الله تعالى في وصف القرآن ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾^(١)

وهو لا يتعامل مع القرآن بعقله وحده بل بعقله وقلبه معاً، وحين كنا نستمع إليه في صلاة التراويح، ونحن في معتقل الطور كنا نحس أن للرجل حالاً مع القرآن يستبشر بوعدته، ويرتعش من وعيده ويتجارب مع قصصه، ويحيا في عبره وأيام الله فيه، فتلاوته ليست تلاوة محترف ولا غافل، بل تلاوة عقل يقظ، وقلب مشرق، ووجدان حي.

وهذه المعاشية الدائمة للقرآن جعلت معانيه ومعارفه بين يديه، وكأنها جنة دانية القطوف، يقطف من ثمارها ما شاء الله.

ومن قرأ كتب الشيخ — منذ المراحل الأولى — وجده يُحسن الاستشهاد بآيات القرآن ويستنبط منها معاني جديدة يتخذ منها حجة في معركته ضد الظلم والجهل والفساد والإستبداد ساعده على ذلك حسه الأدبي الفياض، وتعبيره البياني النابض بالحياة.^(٢)

ويقول الدكتور القرضاوي — أيضاً — عن شيخه الغزالي: "كان يحفظ القرآن كما قال أخونا الدكتور علي جمعة كان القرآن أمامه سطر واحد، أنا عايشة الشيخ ورأيت هذا فيه، كان القرآن فعلاً أمامه

(١) سورة ص: ٢٩.

(٢) الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن، للدكتور يوسف القرضاوي، ص ١٠٧، ط الأولى، دار الوفا، وإسلامية المعرفة عدد خاص عن الشيخ الغزالي، السنة الثانية، العدد السابع، ص ٢٠.

يلتقط منه المعاني كأنه صفحة مركز أبحاث الرسائل الجامعية وهو المصدر الأعلى في الإسلام ، هو عمدة الملة واصل العقيدة والشريعة فالشيخ الغزالي رجل قرآني بكل المعاني يستنبط من القرآن ما لا يستنبطه غيره ^(١).

فإن القرآن الكريم - كما يقول شيخنا الغزالي- خلاصة ما أنزل الله من وحي في القرون الأولى ، وقد توافر له من الحفظ ما ضمن له من الخلود ، ولا يوجد في الأولين والآخرين كتاب وعنه القرائح وسجلته الصحائف ، وحفه التواتر حرفا حرفا إلا هذا القرآن للذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فلو سألت سائل : أين وحي الله في هذا العصر ؟

لما كانت الإشارة إلا إلى القرآن ، ولا الإشادة إلا بكلماته التي غلبت الفناء ، فيها وحدها الحق المعصوم والهدى المستقيم ^(٢).

ويقول - كذلك - شيخنا الغزالي : " أرى أنه لا بد أن نعود لدراسة القرآن ... وتلاوة القرآن عندنا مطلوبة ... والتعبد بتلاوة القرآن كان لاستبقاء الوحي الذي صانه الله في الإسلام بينما ضاع الوحي القديم بالإهمال ، والتداخل مع التراجم ، وبأشياء كثيرة ... نحن أمرنا أن نتلو القرآن ، لكن يستحيل فصل المعنى عن المبنى ، وهذا تجده في آيات التلاوة الواردة في القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ﴾ ^(٣) .

ويتحدث القرآن مرة أخرى عن أن التلاوة هنا هي أساس التوكل ، وأساس التوجه ، وأساس صنع النفس البشرية ... وربما تطلعت الشعوب إلى معجزة أخرى غير هذا القرآن من مثل معجزة تكليم الموتى ، تسيير الجبال ، تحريك الناس بطريقة أخرى ، عندما قالوا : ﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ﴾ ^(٤) .

لكن ، لا ... فهذا قرآن يكلم الرجال ليعيد صياغتهم ، ويكلم الأحياء ، ليحقق استجابتهم ويكلم العقلاء ليوجه وعيهم ، فيجعل منهم أمة تحمل رسالتها ... وفعلا حملت الأمة رسالتها لأنها فهمت المقصود

(١) العطاء الفكري للشيخ الغزالي ، ص ٢١١.

(٢) فنظر نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، محمد الغزالي ، ص ٦ ، ط الثانية ، دار الشروق.

(٣) سورة الرعد : ٣٠.

(٤) سورة الرعد : ٣١.

من إرسال المعجزة الأخيرة ، وأدرك مركز أبحاث الرسائل الجامعية الإنسانية وتفجير الطاقة البشرية لهذا العصر ، وبعبارة أخرى ، فإن الرسالة هي (١) .

ويكمل شيخنا حديثه بقوله :-

"لجل . . . إن القرآن الكريم هو ما بقي من وحي في هذه الدنيا ، هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ (٢)

ما شأنه نقص ولا شأبته زيادة منذ نزل إلى يوم الناس هذا ، فهو بحفظ الله مصون من أهواء الناس ، ووساوس الجن والإتس !!..

وبقاء هذا القرآن هو العزاء الوحيد عن ضياع موارث النبوت الأولى ، لأنه استوعب زينتها ، وقسم في هداياته خلاصة كافية لها ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ، صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (٣) .

فإذا لطلعت الأجيال المستأخرة على هذا القرآن فكانها وعت ما قاله المرسلون السابقون ، وانتظمت مع الركب السماوي في الإيمان بالله والعمل له .

لكن موقف المسلمين من القرآن الذي شرفوا به يثير الدهشة ومن عدة قرون ودعوة القرآن مجمدة ، ورسالة الإسلام كنه جف مجراه أو بريق ضمد سناه..!!

والأمة التي لجتباها الله تتعامل مع القرآن تعاملاً لا يجوز السكوت عليه كان الجاهليون الأتزمون يصمون آذانهم عن سماعه ، ويتواصلون بالشغب على مجالسه ، ويعالنون تكذيب صاحبه ، حتى شكها صاحب الرسالة إلى ربه هذا الكنود ، قائلًا: ﴿ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (٤) .

أما المسلمون المتأخرون فهم يسمعون وقد يتأوهون أو يسكنون ، ولكن العقول مختررة والحواس مبعثرة وممالك الأفراد والجماعات في واد آخر ، وكأنها تتادي من مكان بعيد !!

(١) كيف نتعامل مع القرآن ، للشيخ الغزالي في مدرسة لجراما الأستاذ عمر صيد حسنة ، ص ٣١ - ٣٢ ، ط الأولى ، دار الوفا المنصورة.

(٢) سورة البقرة : ٢ .

(٣) سورة الأمل : ١٨ - ١٩ .

(٤) سورة الفرقان : ٣٠ .

والأمة المنتمية إلى القرآن مجهولاً ، ولا من يعبد طريقها بنكاح ، من يصور معالمها بإتقان ، وما تساوي شيئاً ، لو مذهب باطله بالتعبير الصريح . أهكذا يتصرف أصحاب الحقيقة مع الحقيقة التي شرفوا بها ولتتموا إليها ؟^(١)

حقاً .. إن حال المسلمين مع القرآن تستدعي الدراسة المتعمقة ذلك أن المسلمين بعد القرون الأولى ، انصرف اهتمامهم بكتابهم إلى ناحية للتلاوة ، وضبط مخارج الحروف وإتقان الغنن والمدود ، وما إلى ذلك مما يتصل بلفظ القرآن و الحفاظ على تولته ، كما جاعنا ، أداء واحكاماً — أقصد أحكام التلاوة — لكنهم بالنسبة لتعاملهم مع كتابهم ، صنعوا شيئاً ربما لم تصنعه الأمم الأخرى ...

فإن كلمة " قرأت " عندما يسمعا الإنسان العادي أو يقولها ، تعني : أن رسالة جاعته أو كتابا وقع بين يديه فنظر فيه ، وفهم المقصود منه ... فمن حيث الدلالة لا أجد فكاً بين الفهم والقراءة ، أو بين السماع والوعي .

لما الأمة الإسلامية فلا أندري بأية طريقة فصلت بين التلاوة ، وبين التدبر ، فأصبح المسلم اليوم يقرأ القرآن لمجرد البركة ، كما يقولون ، وكان ترديد الألفاظ نون حس بمعانيها ، ووعي لمغازيها ، يفيد أو هو المقصود .

وعندما أحاول أن أبين للموقف في هذا التصرف ، أجد أنه موقف مرفوض من الناحية الشرعية ، ذلك أن قوله تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾^(٢) يعني : الوعي والإدراك والتذكر والتدبر ...

فأين التدبر ؟ وأين التذكر مع تلك التلاوة السطحية التي ليس فيها أي إحساس بالمعنى ، أو إدراك للمقصد ، أو غوص فيما وراء المعنى القريب ، لاستنتاج ما هو مطلوب لأمتنا من مقومات نفسية واجتماعية ، تستعيد بها الدور المفقود في الشهادة على الإنسانية وقيادتها إلى الخير ؟ ... بل أجد غياب بعض صفات عباد الرحمن التي وردت في القرآن الكريم ، ومن انهم قوم يقبلون على القراءة بحواسهم فهم ، يسمعون ويبصرون ومن ثم يتحركون .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) سورة ص : ٢٩ .

نعم ، قد يغيب عن الإنسان معنى إدراك جملة من الجمل ، لأن التعبير القرآني في درجة من البلاغة لم يتوقفها هو ...

وما من شك في أن القرآن كتاب العربية الأكبر ، ومنهل الأدب الخالد .. ولا يقبل إطلاقاً أن ينتهي المسلم إلى ذلك النوع الذي ذكره الله - تعالى - حين وصف عباد الرحمن بقوله ﴿ والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ (١)

وأجد اليوم أن الذين يخرون صمًا وعمياناً ، كثيرون فالأمم الأخرى أدركت حال المسلمين مع كتابهم ، لذلك وجدنا إذاعات عالمية تحدد فترات لإذاعة القرآن ، بإذاعة لندن تقدم تلاوة يومية للقرآن تفتح بها برامجها ، وربما تذيع إسرائيل قرآناً في فترات ومناسبات متعددة ، وكأنها اطمأنت إلى أن الأمة الإسلامية اليوم تسمع ولا تعي ...

لا بد من قراءة القرآن الكريم قراءة متبصرة واعية تفهم الجملة فهما دقيقاً ، ويبذل كل امرئ ما يستطيع لوعى معناها وإدراك مقاصدها ، فإن عزّ عليه سأل أهل الذكر ... والمدارس للقرآن مطلوبة باستمرار ... ومعنى مدرسة القرآن : القراءة والفهم والتدبر والتبَيّن لسنن الله في الأنفس والآفاق ، ومقومات الشهود الحضاري ، ومعرفة الوصايا والأحكام ، وأنواع الترغيب والترهيب ، والوعود والوعيد ، وما إلى ذلك مما يحتاج المسلمون إليه لاستئناف دورهم المفقود.

أجل ... كان الأولون يقرءون القرآن فيرتفعون إلى مستواه ، أما نحن نقرأ القرآن فنشده إلى مستوانا ... وهذا ظلم للكتاب ... هذه ناحية .

ومن للناحية الأخرى فإن أثر القرآن في نفس من نزل عليه القرآن ، يجب أن يُعرف ، فالنبي عليه الصلاة والسلام " كان خلقه القرآن " (٢) ، كما روت السيدة عائشة - رضي الله عنها - ومعروف أن معنى الكلمة : أنه كان يعيش في جو قرآني ، ويصدر في سلوكه عن قيم القرآن ، وأن عقله للظاهر والباطن مع الله عندما يكون الحديث عن الله ، ومع الكون سباحة عريضة وتأمل وتدبر لألاء الله عندما يكون الحديث عن الكون وقواه وأسراره ، ومع الماضين في الإعتاظ والإعتبار بمصارعهم ومصائرهم ومساالكهم عندما يكون الحديث في قصص القرآن ، ومع الآخرة والنعيم والجحيم عندما يكون القرآن

(١) سورة الفرقان : ٧٣ .

(٢) للحديث رواه أحمد في مسنده - مسند السيدة عائشة - ٢٣٤/٧ حديث ٢٤٧٧٤ .

وصفا للجزء الأخرى وما أعاد مركز أبحاث الرسائل الجامعية صلاة والسلام - كان يحيا في جو القرآن ، وهذا ما جعل الإمام الشافعي - رحمه الله - يقول: إن السنة هي فهم النبي ﷺ للقرآن أو نضج فهمه للقرآن ، فهو مرتبط به ارتباطا تاما في حياته ، في ظاهره وباطنه .

والأمة التي نزل عليها القرآن الكريم فأعاد صياغتها ، هي المعجزة التي تشهد للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه أحسن بناء الأجيال ، وأحسن تربية الأمم ، وأحسن صياغة جيل قدم الحضارة القرآنية للخلق ، فنحن نرى أن العرب عندما قرأوا القرآن تحولوا تلقائياً إلى أمة تعرف للشورى وتكره الاستبداد ، إلى أمة يسودها العدل الاجتماعي ، ولا يُعرف فيها نظام الطبقات ، إلى أمة تكره التفرقة العنصرية ، وتكره أخلاق الكبرياء والترفع على الشعوب .

ووجدنا بدياً كالمصباحي الجليل ربي بن عامر رضي الله عنه يقول لقائد الفرس : " جننا لنخرج للناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " . . . إنهم فتح جديداً للعالم أُنعمت الإنسانية ورفعت مكانها ، لأن الأمة الإسلامية كانت في مستوى القرآن الكريم ، والحضارة الإسلامية إنما جاءت ثمرة لبناء القرآن للإنسان .. لذلك بدأت تختفي الآثار الفكرية والنفسية لأدب الفرس ، وفلسفة الروم لأن القرآن الكريم جاء بجديد حول الكلام والتوجيه من تجريدات ذهنية نظرية جدلية - كما يفعل الفرس واليونان والرومان - إلى منطق ملاحظة واستقراء ومنطق وعي للكون واحترامه ، والتعرف على سننه ومشروعيتها التعامل معه لعمارة الأرض وبناء الحضارة .

فالفكر الإغريقي فكر تجريدي ، يرى أن المادة خسيصة ، وأن المعنويات هي في الاستعلاء على المادة . . . أما الفكر المأخوذ من القرآن الكريم فهو فكر علمي وعملي ، يحترم المادة ويعلي شأنها ، بل يرى أن خالق المادة يقسم بها ، وما أقسم بها إلا لأنه أودع في الكون أسراراً : أسرار عظمتها . . . وتترك في الكون ما يدل على صفاته العلا ، فمن حقه جل جلاله أن يقسم بالكواكب وهي تملأ الكون ، وأن يقسم بالنفس البشرية ، والوالد وما ولد ، وأن يقسم بالرياح ، والشفق ، والليل وما وسق والقمر إذا تسق فالإعجاز في الكون ظاهرة في القرآن الكريم .

والتقريب بين الدراسة القرآنية وبين ما وصلت إليه الإنسانية وحضارتها ، يحتاج منا إلى أن ننخلع قليلاً عن بعضي مولريثنا القديمة التي ليست من ثوابت الدين وقيمة الأصولية ، والإفادة من الحضارة الحديثة ،

وما وصلت إليه من ناحية وسائل مركز أبحاث الرسائل الجامعية الإنسانية واعتماد كثير منها بعد ضبطها بمبادئ الإسلام ومبادئها.

وهذا هو العطاء للموصول بلا نفاذ ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾^(١)، وفي مقام آخر يؤكد شيخنا الجليل ضرورة العناية بكتاب الله، وتقديمه على ما سواه بقوله: " الذي أراني مضطرا إلى التنبيه إليه هو ضرورة العناية القصوى بالقرآن نفسه، فإن ناسا أئمنوا النظر في كتب الحديث واتخذوا القرآن مهجورا، فنمت أفكارهم معوجة، وطالت حيث يجب أن تقصر، وقصرت حيث يجب أن تطول، وتحمسوا حيث لا مكان للحماس وبردوا حيث تجب الثورة!!

إن الوعي بمعاني القرآن وأهدافه يعطي الإطار للرسالة الإسلامية ويبين الأهم فالمهم من التعاليم الواردة، ويعين على تثبيت السنن في مواضعها للصحيحة.

والإنسان الموصول بالقرآن دقيق النظر إلى الكون خبير بازدهار الحضارات وانهارها، نير الذهن بالأسماء الحسنى والصفات العلا، حاضر الحس بمشاهد القيامة وما وراءها، مشدود إلى أركان الأخلاق والسلوك ومعاهد الإيمان، وذلك كله وفق نسب لا يطغي بعضها على بعض، وعندما يضم إلى ذلك السنن الصحاح مفسرة للقرآن ومتممة لهدياته فقد أوتي رشده^(٢).

ولشيخنا الغزالي في الدراسات القرآنية جملة كتب تستوعب هداياته المتنوعة وفيوضاته المتتابعة سنتعرض لها - بمشيئة الله تعالى وعونه - في حينها.



(١) كيف تتعلم مع القرآن، ص ٢٧ - ٣١، ص ٤١ باختصار.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

(٣) مجلة إسلامية المعرفة، عدد خاص عن الشيخ محمد الغزالي، ص ٢١، العدد السابع، السنة الثانية.

التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي

جاء في مدروسة مع شيخنا حول مشكلة النهي عن التفسير بالرأي ...
هذا النهي أورث لونا من التخوف وأوجد حاجزا نفسيا يحول دون النظر في القرآن ومحاولة ارتياد آفاق حضارية تؤكد معنى الخلود للقرآن الكريم من خلال استمرار القراءة للقرآنية لقضايا العصر ...
وحرص بعضهم في ضوء ذلك ، على التوقف عند حدود التفسير بالمأثور وعدم إتاحة الفرصة للعقل في التدبر والنظر ... كما أدى هذا إلى لون من التجمد عند حدود الرؤية في عصر التنزيل ... وهذا إن صح في العبادات التوقيفية ، التي لا تتطور ، فلا يمكن أن يقبل في شئون الحياة الأخرى المتطورة والتي لا بد لها من الإنطلاق والامتداد على هدى القرآن الكريم ، والإعتراف منه على مدى الزمن بكل إنجازاته ، لأن ذلك من مقتضى الخلود ... فقد تكون عملية تحريم الرأي بإطلاق ، للنتيجة عن النظر والتفكير في القرآن ، لونا من المحاصرة لامتداد القرآن وخلوده ، فالناس أصبحوا يتلون القرآن للتبرك ، وأصبحت هناك حواجز بينهم وبين التدبر ، كلون من الألوان السلبية للنهي عن التفسير بالرأي وعدم القدرة على استنباط الرأي الصحيح ... ويبقى التفسير بالمأثور مطلوبا ليكون من عواصم الزلل التي يمكن أن يقع بها التفسير بالرأي ، من وجه آخر .

حقا ... إن للرأي الذي نهينا عن تفسير القرآن به هو الهوى ، وهو أن يكون الإنسان سيء النية أو متجها إلى مآرب من المآرب فيتلو القرآن ويلوي عنقه كي يخدم هذا المآرب أو هذا الرأي ... وهذا هو المحرم شرعا لا لأن يكون للإنسان رأي في تفسير القرآن للكريم مع ضوابط للغة التي لا يمكن اختراقها ، لأننا لا نحب أن ندخل في شطحات المتصوفين التي ليس لها ضوابط ، بل هي خطررات قلوب أنت بهم إلى أن يجعلوا للكلمات معاني أخرى لا ضوابط لها ، فمثلا :
فسروا قوله تعالى : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾^(١) : اذهب إلى القلب وهذا كلام لا يقال

لكن للمهم ، أنه يمكن أن نفهم القرآن فهماً اجتماعياً وسياسياً في حدود ضوابط اللغة ... نعم ... قد يكون من المفيد أن نتحدث أولاً عن : أهمية التفسير بالرأي ... وثانياً عن : ضوابط التفسير بالرأي
وبالك - ليها القارئ - سياقها :

(١) سورة النازعات : ١٧

أولاً : التفسير بالرأي

التفسير بالرأي نوع من التفاسير ، كالتفسير الأثري ، والفقهى ، والكلامى ، والبيئاني ، والصوفسي ، والعلمي ... ولعل التفسير الذي بدأ به الشيخ رشيد رضا نوع من التفسير الذي يجمع أنواعاً من الآراء ... فهو مدرسة متعددة المناهج في فهم القرآن .

وهكذا يرى شيخنا أن التفسير بالرأي لم يتوقف بل بالعكس فقد طغى التفسير بالرأي على التفسير الأثري ، وهناك عدد كبير من الناس يرى أن الإقتصار على التفسير الأثري يقيد الآيات .

التفسير الأثري لا يعرض للمشكلات البلاغية ، والمشاكل الكلامية ، وهناك أمور كثيرة لا يتوقف عندها ... بينما للتفاسير الأخرى هي التي دخلت بالقرآن إلى الحياة ومشكلاتها ... بل كاد التفسير الأثري أن يخضع الآيات للأحاديث .

وهذا قد يكون طبيعياً في الأسانيد الصحيحة ، لأن الرسول ﷺ هو المبين عن ربه لكن المشكلة أن بعض الأحاديث التي جاءت في التفسير بالمأثور تكون ضعيفة السند ... وهذا أيضاً في تفسير ابن كثير الذي نجد فيه بعضاً من المتضادات .

فعندما يفسر قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ ^(١) يأتي بمناقضات ... يأتي بحديث ضعيف وخفيف الوزن ... ويأتي بأحاديث أخرى تدل على أن الكحل في العين وللحمر في الخد ، لا بأس بهما ولا مانع منهما ... فهو تفسير غير محقق ، أو تفسير يحتاج إلى ضوابط وإلى تحقيق في صحة الآثار وتقنيدها .

ومما يؤسف له أن بعض التفاسير بالأثر ، بلغ أحياناً درجة من الإسفاف فمثلاً نكر قصة الغرانيق ، ونكر قصة زينب بنت جحش على النحو الذي نكر ... التفسير الأثري يحتاج رقابة دقيقة عليه ...

لما التفسير بالرأي حيث يكون الرأي بيانياً أو علمياً أو لغوياً أو ما إلى ذلك فإنه يأتي ثمرة للنظر والتدبر في القرآن ... وللتدبر يعني : رلياً ويعني : فكراً ولستتاجا .

(١) سورة النور : ٣٠

والقرآن كتاب عربي يخضع للأحكام... لا بد أن تبقى
الكلمة هي للكلمة... لا بد أن يفهم عربياً... ، ومن دلالات الألفاظ
كما عند العرب . فكما تشرح أي قصيدة شعرية الكلمات ، والمجاز ، والاستعارة ، والتشبيه ، والكناية ،
كل هذا يبقى في نطاق الاصطلاحات العربية لا نخرج عليها ، فمعنى أن القرآن عربي هو أنه يخضع
للفهم بالأسلوب العربي .

ثانياً: من ضوابط التفسير بالرأي :-

هنا مجموعة من الضوابط التي رأيناها للتفسير بالرأي :

الضابط الأول : الإلتزام بفهم القرآن من خلال معهود العرب في الخطاب .

الضابط الثاني : استصحاب الصحيح من المأثور ليكون وسيلة معينة على الفهم ، وضابطاً من خطرات
القلوب ومجازفات الهوى ... لئلا تكون الآراء زيفاً .

الضابط الثالث : التعرف على أسباب النزول لتكون وسائل إيضاح معينة لتعدد الرؤية وتسهيل النص
على الواقع الموجود .

الضابط الرابع : عدم الخروج على قواعد المنطق والعقل السليم ، أو ما تقضيه الفطر الصحيحة ،
ودلالة الألفاظ ، والصيغ .

الضابط الخامس : عدم الخروج بالتكثير أو بالرأي عن المقاصد العامة التي حددت في القرآن على أنها
مسلمات .

الضابط السادس : الاستفادة من الكسب العلمي والحقائق المعرفية في ميادين الحياة الاجتماعية وغيرها
- والتي أصبحت حقائق - أثناء النظر للآيات ، وفي الوقت نفسه جعل الآية قيمة عامة موجهة لحركة
النظر والفكر فالعملية هنا مزدوجة ، إذ ليس الكسب البشري والمعارف هي التي تتحكم بالآية
... إنها تساعد على فهم الآية ، في الوقت الذي تبقى فيه للآية قيمة التوجيه ، وتحديد الهدف
والمقصد من العلم .^(١)

حقاً ... بهذه الضوابط المترابطة ، وتلك القواعد المتعاضدة ، يمكن أن يستفاد في هذا الميدان بنتائج
الأذهان المتعددة ، ومعطيات العقول المتتابعة ، التي تمنع للنظر في كتاب الله المقروء مسع كون الله
المنظور ، فتجمع المنهج الإلهي المتمثل في كلامه الخالد من خلال كونه البديع .
ومن ثم تفتح باباً جديداً من أبواب الفهم عن الله عز وجل ... دون تكثير وبلا حرج .



(١) انظر كيف تعمل مع القرآن ، ص ١٩٥ - ١٩٧ بتصرف

التفسير الباطني والتفسير الإشاري

اعلم - أيها القارئ الكريم - أن الباطنية قوم رفضوا الأخذ بظاهر القرآن وقالوا للقرآن ظاهر وباطن ، والمراد منه باطنه دون ظاهره ، ويستدلون - زعما بقوله تعالى : ﴿ ف ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾^(١)

وهم فرق متعددة ... ومذهبهم على عمومه وباء انتقل إليهم بطريق العنوى من المجوس ، ومن تأويلاتهم الفاسدة في القرآن أنهم يقولون في تفسير قوله تعالى : ﴿ وورث سليمان داوود ﴾^(٢) إن الإمام عليا ورث النبي في علمه .

وأن (الكعبة) هي النبي ﷺ و (الباب) علي و (الصفا) هو النبي ، و (العروة) علي ، و (نار إبراهيم) هي غضب النمرود عليه ، و (عصا موسى) هي حجته إلى غير ذلك من الخرافات التي لا يقبلها عقل ولا يؤيدها نقل وهذه التأويلات الفاسدة من أشد وأنكى ما يصاب به الإسلام والمسلمون لأنها تؤدي إلى نقص بناء الشريعة حجرا حجرا ، وإلى الخروج من ربة الإسلام ، وحل عراه عروة عروة ، ولأنها تجعل القرآن والسنة فوضى فاحشة يقال فيها ما شاء الهوى أن يقال ، كأنهما لغو من الكلام أو كلاً مباح للبهائم والأتعام وأخيراً ينفرد عقد المسلمين ويكون بأسهم بينهم من جراء هذا العبث بتلك الضوابط الدينية الكبرى^(٣). وهذا ينبغي التفريق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية للملاحدة فالصوفية لا يمنعون إيراد الظاهر بل يحضون عليه ويقولون لا بد منه أولاً ، إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم بالظاهر كما ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يتجاوز الباب . فالتفسير الإشاري : هو تأويل للقرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا .

وأما الباطنية فإنهم يقولون : إن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن وقصدهم الخبيث نفسي الشريعة الغراء^(٤).

(١) للحديد : ١٣

(٢) للنمل : ١٦

(٣) مناقب العرفان في علوم القرآن ، للشوخ الأزرقلي ج ٢ ، ص ٥٤٢ - ٥٤٣ بتصرف ولختصار

(٤) نظر للمرجع السابق ، ص ٥٤٧ بتصرف

وشيخنا الغزالي - كما سبق - ليس لها ضابط بل هي
خطرات قلوب أدت بهم إلى أن يجعلوا للكلمات معاني أخرى لا ضوابط لها ، وضرب مثلا على ذلك
بأنهم فسروا قوله تعالى : ﴿ اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴾^(١) . بد : اذهب إلى القلب ، وقال :
هذا كلام لا يقال ...^(٢)

ويقول عن أولئك للنفر : " وقد يفسرون القرآن فتسمع منهم الغرائب معاني لا صلة لها بدلالات الألفاظ
ولا بتركيب اللغة ، ولا بالمأثور عن رسول الله ﷺ ولا بالمروى عن أصحابه الذين تعلموا منه ،
ومشوا في أثره ثم ذكر شيخنا ما اعتبره تفسيراً خرافياً لسورة النصر وعلق عليه بقوله : " ونحن نعد
هذا الشرود العلمي أخطر الآفات على الإسلام نفسه "^(٣).



(١) سورة النازعات : ١٧

(٢) كيف تتعامل مع القرآن ، ص ١٩٥ بتصرف

(٣) الجانب الملغى من الإسلام ، محمد الغزالي ، ص ١٤ - ١٥ باختصار

منهج الشيخ في تفسير القرآن الكريم "الوحدة الموضوعية"

اهتم شيخنا الجليل اهتماما بالغا بالمناسبة بين الآيات للكريمات وسلك في طريقته هذه عمق النظر فيها مع دقة الربط بينهما ...

كما عني - أيضا - عناية شديدة بوحدة الموضوع في السورة ، وإن كثرت قضاياها متأسيا في ذلك بالشيخ محمد عبد الله دراز عندما تناول سورة البقرة - وهي أطول سورة في القرآن الكريم - فجعل منها باقة واحدة ملونة نضيدة ، ويعتقد أنه أول تفسير موضوعي لسورة كاملة^(١).

جاء في النبأ العظيم للشيخ محمد دراز: " والوحدة في منهج السورة القرآنية لا تتقيد بمبدأ الوحدة الفنية في التأليف الأدبي أو الفني ، فالتقصة الأنبيئية مثلا لها قواعدها الفنية التي يجب مراعاتها مثل العقدة ، والمأزق ، والصراع ، والحل .. ولكن القرآن الكريم كتاب هداية ، كان يذكر من القصة أو الحادثة ما يحقق هذه الهداية وأحيانا يبسط الموضوع ، وأحيانا يوجزه حسب مقتضى الحال ، وأحيانا يترك الموضوع ويتكلم عن شيء مناسب أو مجانس ، ثم يرجع إلى الموضوع الأول أو ينتقل إلى غيره ، وهذا طريق لو اتبعه بشر لكان تأليفه تافها أو ساقطا !!

ولكن القرآن كتاب الله وهو على كل شيء قدير ، ومن قدرته أنه يولف بين الأجناس المختلفة فترى بينها نهاية التضام والالتحام ، وكل امرئ يستطيع أن يجرب نفسه حين يطول به الوقوف أمام منظر واحد جميل ، هل يجد لديه من لذة الاستحسان في هذا الإستمرار ما يجده لو اعترض سلسلة من المناظر الرائعة قد صفت فيها ضروب الفوائد والمتع ثم جعلت تمر به في أبداع تنسيق وأحسن تقويم ؟ اللهم لا ، فذلك كذلك " (٢).

(١) نظروا تفسير موضوعي للقرآن الكريم ، للشيخ محمد الغزالي ، ص ٥ بتصرف ، ط الثانية - دار الشروق.

(٢) النبأ العظيم ، محمد دراز ، ص ١٦١ ، دار القلم . الكويت.

وهذا المنهج الذي اتبعه شيخنا الميرزا السيد محمد المصطفى المراغي ، والشيخ محمود شلتوت ، وإن تميز كل واحد منهم بميزة خاصة بعد أن أرسى دعائمه وبيّن علامته شيخ هؤلاء وأولئك الأستاذ الإمام محمد عبده عليه - رحمه الله - وظاهره على ذلك صاحب المنار .

ومن ثم فقد تتابعت دراسات شيخنا الجليل بيانا لهذا المنهج ، ترسيخا لدعاماته ، وتثبيتا لرايائه في مجال التفسير الموضوعي .

وللتفسير الموضوعي معنيان :-

الأول :- يتناول السورة كلها يحاول رسم " صورة شمسية " لها تتناول أولها وآخرها ، وتتعرف على الروابط الخفية التي تشدها كلها ، وتجعل أولها تمهيدا لآخرها ، وآخرها تصديقا لأولها .
وقدم في هذا الباب دراسته الشاملة الكاملة " نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم " .

الثاني :- هو تتبع المعنى الواحد في طول القرآن وعرضه ، وحشده في سياق قريب ، ومعالجة كثير من القضايا على هذا الأساس ...
وقد قدم الشيخ نماذج لهذا اللون من التفسير في كتابيه " المحاور الخمسة للقرآن الكريم " و " نظرت في القرآن " .

ومن نافلة القول البيان بأن التفسير الموضوعي بشقيه يغير التفسير الموضوعي الذي يتناول الآية أو الطائفة من الآيات فيشرح الألفاظ والتركيب والأحكام^(١).

وقد ذكر الشيخ أنه استفاد في نظراته في التفسير من الإمام حسن البنا - رحمه الله - ففي مجلة " الدعوة " . غرة ربيع الأول سنة ١٤١٥هـ يقول : " حسن البنا أستاذي الأول في ميادين كثيرة ، وكنت - وأنا طالب - استمع إلى محاضراته في القرآن الكريم ، وأتأمل معه في النظرات التي كان يرسلها وكنت أعود إلى بيتي فألخص ما استطعت فهمه من هذه المحاضرات ، حتى تجمع لدي كتاب في هذا الصدد ، لكنه للأسف ضاع مني ، ولكن معانيه بقيت في ذاكرتي ، ولستفنت من الإمام الشهيد في

(١) انظر - نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم للشيخ محمد القرظي ، ص ٥ - ٦ بتصرف ، ونظر - كذلك - للشيخ القرظي كما مررت به للشيخ القرظي ، ص ١١٠ - ١١١ بتصرف .

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية

طريقة التفسير التي تعتمد على المركز أيداع الرسائل الجامعية ، تنبره في كتاب الله ،
وشدة ارتباطه به ، فقد كانت قدرته خارقة على فتح القلوب لأسرار الوحي " ... (١)



(١) الشيخ القرطبي كما عرفته للقرطبي ، ص ١١٠.

نماذج من تفسيره الموضوعي لسور القرآن

١- سورة "الفاتحة" :-

يفتح شيخنا افتتاحية تفسيره الموضوعي بفاتحة الكتاب العزيز فيقول (١):-

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحمد من قصار السور ولكنها أم الكتاب وأعظم سورة

تضمنت خلاصة وجيزة لعقائد الإسلام ، وعهدا وثيقا بين الناس وربهم ، يحقق رسالتهم في الوجود ، ورجاء في الله أن يهدي الطريق ويمنح التوفيق وينعم بالرضا

ولننظر في الآية الأولى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

﴿ الحمد لله ﴾ لفظ تلتقي فيه معان ثلاثة ، فهو ثناء يكشف عن أمجاد الذات العليا من جلال وجمال وكمال ، وهو مديح على ما تتال من عطاء ونعماء ، جاد بها ولي النعم ، وهو شكر يقابل الخير النازل ، والفضل المسدى .

وعندما تصبح فنقول مثلا " الحمد لله الذي أحيانا من مماتنا وإليه النشور " فنحن نشكر ونمدح .

و ﴿ رب العالمين ﴾ سيد العوالم كلها من العرش إلى القرش ، من السماء إلى الأرض ، من الحيوان إلى النبات ، من الملائكة إلى البشر .

والعالم ما عدا الله من خلق ، وما عدا الله مريبوب له فقير إليه .

نعم كل ما عدا الله عبد له ، صنيعه نعمته ﴿ فله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين ، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ (٢)

﴿ الرحمن الرحيم ﴾ نحن في رحمته نعيش ، والرحمة والعلم يسعان كل شيء ، ولو لا أن الله غفور رحيم لفتكت بنا معاصينا وقضى علينا جحودنا وطغياننا .

﴿ مالك يوم الدين ﴾ المقصود بالدين الجزاء ، وهو بداية العالم الآخر ، والعالم الآخر هو المقابل لعالمنا المعاصر .

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، ص ٧ - ٩ .

(٢) سورة الجاثية : ٣٦ ، ٣٧ .

وللحضارة المادية المسيطرة على الحياة الآن كما نكره ، بل نعلمها نرى من الهزل نكره . وهي تعتمد نسيانه في ميادين التربية والتشريع والسياسة الدولية والمحلية مع أنه الحقيقة العظمى ، والأجدر بالرعاية والحساب .

﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ نعبدك وحدك يا الله ، ونستعين بك لا بغيرك ، فكل غير محتاج إليه ، كما جاء في السنة " اللهم أعني على نكرك وشكرك وحسن عبادتك " (1) ، " وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " (2) .

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ... ﴾ الخط المستقيم أقصر طريق بين نقطتين ، ولذلك لا يتعدد ، ومن استقام اهتدى إلى الله ﴿ ... إن ربي على صراط مستقيم ﴾ (3) ودين الله واحد ، بلغه الأنبياء على اختلاف الأعصار والأمصار ، أساسه إله واحد له الولاء وله الثناء يفتر إليه أهل الأرض وأهل السماء .

ولعل هذه النقطة مثار خلاف بين أتباع الأديان المعاصرة ، فالمسلمون يوقنون بأن ما عدا الله عبد له خاضع لحكمه عان لأمره في الدنيا والآخرة .

ويستحيل أن يتجاوز هذه الحقيقة بشر لو ملك ... فمن لزمه نجا ومن زاغ عنها هلك ... وكل من أحسن طاعة الله ورسله بلغ هذه الغاية ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ (4) لما من أشرك بالله شيئا ، لو رفض الانقياد لأمره ، فهو بين الضلال والغضب لا أمل له ولا خير فيه .

﴿ غير المقضوب عليهم ولا الضالين ﴾ على الإنسان أن يكون صائب الفكر صادق النظر ، فإذا اهتدى إلى الحق فعليه أن يعمل به ويتواضع لربه ، ويرفق بعباده

وهذه السورة فرض الله قراءتها في جميع الصلوات لتكون مناجاة متجددة مقبولة ييسر للناس ورب العالمين ، فهي حقائق علمية ، وهي في الوقت نفسه ضراعة عبد ينشد رضا مولاه ، وقد جاء في السنة

(1) أخرجه أبو داود - كتاب الصلاة - باب في الاستغفار - ٨٦/٢ - حديث ١٥٢٢ وهو صحيح كما قاله ابن أبي عمير - صحيح ابن داود - ٢٨٢/١٦ - حديث ١٢٤٧

(2) أخرجه الترمذي - كتاب صفة الصلاة والرفق والورع - باب ٥٩ - ٥٧٦/٤ - حديث ٢٥١٦ . وقال أبو عيسى : حديث حسن صحيح .

(3) سورة هود : ٥٦ .

(4) سورة النساء : ٦٩ .

" قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله : لئن علي عبدي ... فإذا قال ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال الله : مجنني عبدي ، أو فوض إلي عبدي .
فإذا قال : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال الله : هذا بيني وبين عبدي ، ولعبي ما سألت . فإذا قال : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قال الله : هذا لعبي ولعبي ما سألت ... !! " (١)

ونحن نكرر الدعاء لأنفسنا ، كما نكرر غسل أعضائنا لأن أسباب هذا التكرار قائمة ، فالجسم الإنساني لا يكفي في تطهيره أن يغسل مرة أو مرتين ، لابد من تكرار الغسل مدى الحياة !! والطبع البشري لا تصقله دعوة أو دعوتان لا بد من تكرار الوقوف بين يدي الله ، لأن رجونات النفس ووساوس الشيطان لا تنتهي ، فلا بد من تكرار الدعاء ، ولستدامة التضرع ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ (٢)

وهكذا في سطور قلائل تم تصوير العلاقة الوحيدة الممكنة بين الناس ورب الناس ، الإعتراف به ، والشاء عليه ، والإستعداد للقاءه والتعهد بعبوديته ثم الرجاء إليه أن يجعلنا كما يحب ...

نعم ... لقد استطاع شيخنا الجليل أن يقتبس من أشعة الوحي الإلهي ضوئا هاديا ، ينير به أول هذه السورة للكرامة كما ينير آخرها ، سواء بسواء ، فظهر من هذه وتلك سلسلة متكاملة من الحلقات تحدد موضوعا واحدا تتجه إليه رغبات الناس كلهم حين يبحثون عن علاقة مشروعة مع ربهم في هذه الحياة الدنيا فلا يجدون غير هذه .

٢- سورة البقرة :-

يبدأ شيخنا الغزالي تفسيره الموضوعي لهذه السورة بقوله (٣) :-

" لتجبت الجهود بعد الهجرة إلى تكوين المجتمع الإسلامي الأول في المدينة المنورة ، لقد نجح المسلمون أفرادا في مقاومة فتن الوثنية ، وهام أولاء قد خلصوا بدينهم ووجدوا دارا تجمع أمتهم وتقيم دولتهم .

(١) لفرجه مسلم في كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة - ١٠١/٤ - حديث ٣٩٥ ، ط دار الحديث القاهرة .

(٢) سورة النساء : ١٠٣ .

(٣) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، ص ١١ وما بعدها .

لكنهم فوجئوا بعداوة من نوع آخر مركز أبحاث الرسائل الجامعية في جنسهم ، فتجهوا للمناقسين الجدد ، وشرعوا يستعملون معادرتهم ، ويتمرون سرا وعلنا على الكيد لهم ...

والقبائل لليهودية التي استوطنت البقاع الخصبة في الحجاز ، بدأت حياتها فارة بعقائدها من بطش الرومان ، وقد عاشت بين العرب الأميين مترفعة عليهم فما حاولت محاربة الأصنام ولا أنشأت دعوة إلى الله ، ولا عرضت تعاليم السماء لتغني عن تعاليم الأرض ...

كلا ... لقد نأت بنفسها ، واسترأحت إلى موارثها ، وظنت أن الدين امتياز لها ، ما ينبغي أن يشاركهم فيه أحد !

فهل بقيت على هذا الشعور عندما ظهر الإسلام ؟ لا ، لقد رفضته وقلبت له الأمور وحاول النبي الخاتم أن يستلين جانبهم ، ويتعاون على الخير معهم ، بيد أن حقدهم غلب وبدأ شرهم ينمو ، فكان المسلمون في مهجرهم الذي ظفروا به يبنون بيد ، ويقاومون بأخرى ! يؤسسون مجتمعهم وفق إشارات الوحي ، ويدفعون عنه أعداء لا يخفى لهم ضغن !!

وفي هذا الجو نزلت سورة البقرة أطول سور القرآن الكريم وأحفظها بالتعاليم المنوعة ... وبطريق التلميح إشارات إلى زيف ما بأيدي اليهود ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ (١) كأن الكتب الأخرى موضع ريبة ، وكان ما فيها من خليط لا يصنع تقوى ، ولا يزكي سيرة !!

وخلال المتقين التي أحصتها سورة البقرة كثيرة ، فقد تكررت مادة التقوى خلال السورة بضعا وثلاثين مرة ، لا تشبهها في ذلك سورة أخرى ، والتقوى هنا الصفة الجامعة التي طلبت من سائر الأمم في شتى الرسالات ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ (٢).

وتمتاز سورة البقرة بأنها تحدثت عن أركان الإسلام الخمسة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ (٣) ، ﴿ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ (٤) ،

(١) سورة البقرة : ٢.

(٢) سورة النساء : ١٣١.

(٣) سورة البقرة : ٢١.

(٤) سورة البقرة : ٢٣٨.

﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من ثورتكم مما رزقناكم ولا تخفوا ولا تحزنوا فمهما أنفقتم من ثورتكم مما رزقناكم فلذلك اتقوا ولا تاتوا الله والرسول بالباطل ﴾ (١) ،
 ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم من أجل الله ولعلهم يتقون ﴾ (٢) ، ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ﴾ (٣) .

وقد ظلت السورة مفتوحة يضم إليها النبي الكريم ما شاء الله أن يضيف إليها من وحى يتصل بموضوعها .

ومعروف أن آخر آية نزلت من القرآن الكريم كله هو قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٤) وأمر النبي ﷺ بضمها إلى الآيات التي تتحدث عن الربا في خواتيم سورة البقرة ...

وننظر إلى الصفحات الأولى من السورة ، فنجدها وصفت الأتقياء في ثلاث آيات ووصفت الكافرين في آيتين ، ووصفت المنافقين في ثلاث عشرة آية . وذلك يدل على استطراد شرهم وخطورة أثرهم على الجماعة كلها ...

وبعد دعوة عامة إلى الإيمان بالله واليوم الآخر ، وحديث وجيز عن إعجاز القرآن الكريم وصدق صاحبه ، وخسارة عدوه ، عاد الحديث إلى صنوف الناس بإزاء الرسالة ، وتباين مواقفهم بين مؤمن وكافر أو بين ناقض للعهد وموفٍ ...

أكان رب العالمين جديراً بهذا الموقف الخسيس ؟ هل جزاء النعمة المسداة نعمة الإيجاد والإمداد أن تكفر صاحبها ؟ بهذا الكنود ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٥) .

وكان طبيعياً بعنذ نكر بدء الخلق ، وتكليف البشر ، والصراع الدائم بين آدم وبنيه مع إبليس وذريته ... إن هذا الصراع ظهر في صورة عدلوة مرة بين خاتم الدعاة وبنو إسرائيل ، اللذين آثروا أن يكونوا جند إبليس في معركته الخالدة ضد الحق

(١) سورة البقرة : ٢٥٤ .

(٢) سورة البقرة : ١٨٣ .

(٣) سورة البقرة : ١٩٦ .

(٤) سورة البقرة : ٢٨١ .

(٥) سورة البقرة : ٢٨ .

كان لابد - وسورة البقرة أول ما نزل بالمدينة - أن تتصدى السورة لبني إسرائيل ، مفندة موقفهم من الرسالة الخاتمة ، ومسالكم المعيبة في القديم والحديث !!

وبدأ ذلك من قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِي ، وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ الْكٰفِرِ بِهِ... ﴾ (١) وتصديق القرآن لما مع اليهود إنما هو تصديق على الإجمال ، فأهل الكتاب ليسوا كعبدة الأوثان في الكفر بالله وإنكار الوحي الذي أنزل على المرسلين . وإن القرآن يصدقهم فيما ينكرون من إيمان بالله ، وإثبات للوحي ، وتكليف الناس ، وحساب على الأعمال ! لكنه لا يصدقهم حين ينكرون أن الله مثلاً ندم على إغراق الأرض بالطوفان ، ثم ندم على ما صنع واحتاج إلى من ينكره حتى لا يفعلها مرة أخرى !!

إنه لا يصدق العهد القديم حين يذكر أن الله نزل يتمشى على الأرض ثم مال إلى نبيه إبراهيم حيث تناول معه الغداء ... !! ولا يصدق حين يذكر أن الله صارع يعقوب ليلاً طويلاً ، ثم لم يفتسه حتى منحه لقب إسرائيل !!

إن تصديقه لما مع بني إسرائيل هو - على الإجمال لا على التفصيل - والمجمل الذي سلمه لهم ، أو وافقهم عليه إنما نكره ليحاسبهم على ضوئه حساباً عادلاً .

وقد أحصت سورة البقرة أكثر من ست عشرة مرة شتوياً وقضايا عرضت للقوم في تاريخهم الطويل ، ونكرت لديهم في التوراة ، ومع ذلك لم يكونوا عند حسن الظن في الاعتبار بها وشكر الله عليها .

ويبدأ هذا الإحصاء من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾ (٢) هل قدرنا نعمة هذه النجاة ؟ ثم عاقب الله عدوهم فأغرقهم أمام عيونهم ، فهل شعروا بعدالة هذا القصاص ، وحمدوا ربهم على هلاك الظلمة ؟

واتصل السرد القرآني في صفحات طول ينكر ويتساءل ! فهل استيقظ للضمير اليهودي بعد هذه القائمة من الحساب للطويل لم بقي لكفر من عبدة الأوثان بنبي القرآن ؟

(١) سورة البقرة : ٤٠ ، ٤١ .

(٢) سورة البقرة : ٤٩ .

هذا ما سجلته سورة البقرة من تاريخها القرآن الكريم في هذه السورة.^(١)

ويظل شيخنا الغزالي يدور موضوعياً مع السورة الكريمة حيث دارت حتى يقول^(٢):-
 "استأنف المسلمون بعد الهجرة تلقي القرآن الكريم ، كما كانوا يتلقونه خلال ثلاث عشرة سنة مضت قبلها ، وإن كان الجو قد اختلف ، فقد كان الحديث عن اليهود تاريخاً تؤخذ منه العبرة ، أما الآن فالحديث عن اشتباك قائم ، وعراك يمس الحاضر والمستقبل ... وقد كانت الصلوات تقام على نحو فردي منعزل ، أما الآن فالمسجد ينبعث منه الأذان مهيباً بالمؤمنين أن يحضروا ، فالجماعة من شعائر الإسلام ، وقد يجئ المريض محمولاً بين لثتين فيقيمانه في الصف ، ما يتخلف عن الصلاة إلا منافق كسول أو معذور محصور ...!!

لقد بدأت معالم الدولة تبرز ، وصفة المجتمع الجديد تظهر ، وولّى السلوك الفردي ليحل محله السواء المشترك لذين شرع يضع طابعه على كل شيء ، فالأسرة كلها تذهب إلى المسجد ، الرجال والنساء والأولاد .

وبدأت مطاردة المحرمات في البيت والشارع على السواء ، إعمالاً لقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...

كما بدأت السرايا تتكون لحماية الإيمان في موطنه الجديد ، وقمع من تحدّثه نفسه بالعنوان !! والقرآن كتاب متشابه المعاني والأهداف ، يشرح بعضه بعضاً ، ويؤكد بعضه بعضاً .

ومعروف أن التوحيد بدأ غرسه في مكة ، وقد حوى القرآن المكي من الآيات ما أخذ أنفاس الشرك ، وجعله شبهات داحضة .

فإذا تكرر الكلام في العصر المدني فلمزيد من الإيضاح والتفصيل والتلليل ، تلحظ ذلك وأنت تتلو قوله تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾^(٣) فإن الآية التي تلتها مباشرة حفلت بدلائل الوحدانية منتزعة من فجاج الأرض وآفاق السماء ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ... ﴾^(٤).

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، ص ٢٢ - ٢٥.

(٢) سورة البقرة : ١٦٣.

(٣) سورة البقرة : ١٦٤.

والآيات التي تلتها تشرح توحيد المركز أيداع الرسائل الجامعية هو أشد حبا لله من غيره ، وثمرت هذا الحب الغالب تظهر في عمله ووجهته .

والله سبحانه أهل لهذا الحب ، لأن المجد كله والعظمة كلها له وحده ، وهنا نسوق أعظم أي القرآن الكريم ، آية الكرسي ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ... ﴾ (١).

وقد يحتاج الإيمان إلى جدال الطواغيت وكتبهم . لا بأس ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ... ﴾ (٢) إن إبراهيم الذي أتاه الله رشده أخرس الفرعون الصغير ، فبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ...

وهكذا ترى في سورة البقرة وهي أول ما نزل بالمدينة المنورة لونا آخر من العرض القرآني لأهم قضايا العقيدة ، والهدف ولحد في العهدين وإن تلوّنت الأساليب ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (٣) إن كانت هناك كتب اكتتفها الرب وساعت فيها الظنون !!...

ونجح أصحاب محمد في الإستجابة لما نزل إليهم في هذه السورة وفيما تبعها ، كان القرآن ينزل وهم يعملون ، ويأمر وهم بطيعون ، ويخطط للفرد والمجتمع والدولة وهم ينفذون .

فأمست المدينة برجالها الجدد ونظامها الجديد عاصمة فذة لأخطر الرسائل . وقاعدة لحركات الأمة الوسط التي هي خير أمة أخرجت للناس .

الله يعلم رسوله بالوحي ، والمسلمون يتعلمون من رسولهم ما ينفعهم وينفع الناس ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٤).

وقد بين الله سبحانه وتعالى في الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة أن النبي ومن معه صدقوا الله فصدقهم الله ، وأن ما نزل إليهم من أحكام في هذه السورة - وما تلاها - قد صدعوا به وأحسنوا القيام

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٨ .

(٣) سورة البقرة : ٢ .

(٤) سورة البقرة : ١٤٣ .

عليه وبتلوا جهدهم في أدائه علم مركز أبحاث الرسائل الجامعية سبقوهم جاءهم الوحي فقالوا سمعنا وعصينا ...

لقد كان العرب أميين ولم يكن لهم في موازين الحضارة العالمية ثقل معروف ، حتى نزل بينهم القرآن ، فأخذ يزكي سيرتهم ، ويرفع مستواهم ، ومازالوا يصعدون في مدارج الترقى حتى سبقوا غيرهم من الأمم ، وصاروا في صلاح المجتمع وزكاة النفوس ، وإقامة العدالة أقدر من غيرهم وأشرف ...

والحضارة التي أقاموها لا تقوم على نكرة جنسية ، أو نزعة مادية ، أو غايات أرضية ، بل على الربانية الخالصة ، وجعل الدنيا مهاداً للأخرة ، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى في نهاية هذه السورة ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَاتِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (١).

ليس لأهل الإسلام عنصر يتعصبون له ، أو وطن ينتمون إليه ، إن ولاءهم لله رب السموات والأرضين ، وخالق الناس أجمعين ، لا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى ، ولا فضل لهم على الناس إلا بما يقمنون لهم من دين ...

وإذا كانت المدينة المنورة قد شهدت البناء الأول للأمة الإسلامية فقد كان ذلك بما عرفته مسن وحي وصلها بالله ، وربطها بهداه ، فكان البيت المسلم والسوق المسلمة ، والنشاط العام في دواوين الحكم ومدارس العلم ، وعرصات الإجازة والزرع ، وشئون الأخلاق والتشريع ، كان ذلك كله يسير وفق الوحي النازل في الكتاب ، والقيادة الهادية من صاحب الرسالة الخاتمة ...

وصح أن النبي ﷺ - قتم شاباً - هو أحدث من معه سناً - فؤلاه القيادة ، لأنه كان يحفظ سورة البقرة !!! إنه لا يحفظها أحرفاً وأنغاماً ، وإنما يحفظها إلهاماً وأحكاماً ، ونوراً وفرقاناً ، وهكذا تبنى الأمم ...

ونف أخيراً أمام آخر آية في سورة البقرة ، فنلفت الأنظار إلى خاصة في الأمم التي تولتها حظوظ الرفة والصدارة ، إنها تمتاز بالصلف ، وتنتظر إلى سواها من أعلى ...

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

والجنس الأبيض الذي يحكم الع
الأجناس الأخرى !!..

أليس صاحب الحضارة التي غزت الفضاء وفجرت الذرة ؟ إن أشباه الرجال فيه يتعالون تحت هذه المنقبة التي حققها نفر من العباقرة .

أما المسلمون - إيان صدارتهم ، وأيام اختصاصهم بالوحي الأعلى - فهم يشعرون بالخضوع لله ، والفقر في ساحته ، والحاجة الماسة إليه .

ودينهم الاستغفار ، وطلب العفو ، والتأمل في الفضل الأعلى ... ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ... ﴾^(١)

١- سورة المائدة :-

سورة المائدة وتسمى كذلك سورة العقود ، والتسمية الأخيرة أدل على موضوع السورة الواسع ! أما الأولى فهي تشير إلى اقتراح الحواريين على عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم مائدة من السماء يأكلون منها ويستبشرون بها . وهو اقتراح مثير للدهشة ، ولكن الله سبحانه وتعالى قبله تأييدا لنبيه وتصديقا لرسالته !!...

وقصة المائدة لا تستغرق من السورة سوى أربع آيات أما قضايا العقود فتشمل أغلب السورة

وقد لوحظت في السورة كثرة النداءات فهناك أول ستة عشر نداء للذين آمنوا :-

- (١) ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾ الآية الأولى
- (٢) ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ﴾ الآية الثانية
- (٣) ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ﴾ الآية السادسة
- (٤) ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ﴾ الآية الثامنة
- (٥) ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ الآية الحادية عشرة
- (٦) ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ الآية الخامسة والثلاثون
- (٧) ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ الآية الواحدة والخمسون

(١) سورة البقرة : ٢٨٦

(٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الرَّابِعَةِ وَالْخَمْسُونَ﴾

- (٩) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا... ﴾ الآية السابعة والخمسون
- (١٠) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ الآية السابعة والثمانون
- (١١) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْزَاقُ رِجْسٌ ﴾ الآية التسعون
- (١٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْئُوتَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ ﴾ الآية الرابعة والتسعون
- (١٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ ﴾ الآية الخامسة والتسعون
- (١٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ ﴾ الآية الواحدة بعد المائة
- (١٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ الآية الخامسة بعد المائة
- (١٦) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ ﴾ الآية السادسة بعد المائة

وهناك نداءان للنبي ﷺ خاصة بوصف الرسالة :-

- (١) ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ الآية الواحدة والأربعون
- (٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الآية السابعة والستون

وهناك خمسة نداءات لأهل الكتاب :-

- (١) ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ ﴾ الآية الخامسة عشر
- (٢) ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ الآية التاسعة عشر
- (٣) ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ نَنْقُصُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا وَلَا نُمِدُّكُمْ فِيهَا ﴾ الآية التاسعة والخمسون
- (٤) ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ الآية السابعة والسبعون
- (٥) ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ الآية الثامنة والستون

وهذه النداءات تعقبها إفاذات وإضاءات وتعليمات وتوجيهات تحتاج إليها الجماعات حتى تقوم بأمر الله وتستقيم على منهاجه وقد عدها للشارع عقودا حقيقة بالوفاء .

ألا ترى أن الجهاد عقد بين مركز أيداع الرسائل الجامعية أنفسهم وأموالهم بأن لهم
الجنة (١)

وفي هذه السورة نداء للمؤمنين بالوضوء قبل الصلاة والصلاة نفسها هي أول بنود الميثاق
المأخوذ على بني إسرائيل كما جاء .

وبعد عدد من التعليمات التي شرعها الله لبناء المجتمع الإسلامي قال سبحانه : ﴿ واذكروا نعمة الله
عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور ﴾ (٢).

والعلاقات المؤكدة تتطلب مسالك صارمة ، وعملا محكما ، وتأمل في قول الشاعر لنفسه :-
لا لا أبوح بحب بثنة إنها أخذت على موثقا وعهودا !!

إن العلاقة بين حبيبين أصبحت ميثاقا معقودا ، فكيف بالعلاقة بين العبد وسيدته والمرء وخالقه القائم على
كل نفس بما كسبت ؟

إن إعظام أمر الله من دلائل الإيمان ، وذلك كله من وراء تسمية السورة بسورة العقود . وقد أخذ الله
الميثاق على الأمة الإسلامية أن تؤمن به وحده ، وتعمل له وحده ، وأن تدعو إلى دينه ، وأن تكون
نموذجا تؤخذ منه الأسوة الحسنة ويتعلم الناس منه خير الدنيا والآخرة ...!!

وليس المسلمون في ذلك بدعا ، فقد أخذ الله الموائيق على من قبلهم أن يلتزموا هدايه ويحيوا كما أمر
...! قال الله تعالى : ﴿ ولقد أخذ الله ميثق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني
معكم لنن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتكم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لا تكفرن
عنكم سيناتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء
السبيل ﴾ (٣).

ولم يوف بنو إسرائيل بهذا الموثق بل نقضوه وتوارثوا نقضه فلعنهم الله وجعل قلوبهم قاسية ، والقلب
القاسي أبعد شيء عن الله وقد رأيت في تجاربي أن الفرق بين تدين الشكل وتدين الموضوع هو قسوة
القلب لورقته ...!!

(١) سورة التوبة : ١١١.

(٢) سورة المائدة : ٧.

(٣) سورة المائدة : ١٢.

وبعض الناس في طباعهم جلافة وقساوة لا تخفيها صور العبادات التي يستسهلون أداءها . ارتكب
لحدهم خطأ معي ، ثم عرف الحق فكره الاعتذار وتمنى لو لم يعرف هذا الحق !! هذه طباع بعض
الخوارج قد يكرهون أهل الإيمان ويتساهلون مع أهل الكفر !!

وما تقول في امرئ يرى أن صلاح الدين والدنيا لا يتم إلا بقتل علي بن أبي طالب فيقتله مستبيحا دمسه
ومتقربا إلى الله به ...!!

لقد فهمت لماذا ادعى واصل بن عطاء الشرك هو ومن معه عندما قابلوا ثلة من الخوارج فسألوهم عن
دينهم !! لو عرفوا من هم لقتلوهم !!

قالوا نحن مشركون مستجبرون حتى يعاملوا بمقتضى الآية الكريمة ﴿ وإن أحد من المشركين
استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾ (١) إن قسوة القلب لعنة من الله نستعيز به منها
سبحانه ...

واليهود من أقسى الناس قلوباً ، وسيرتهم مع شتى الأمم دليل على ما طبعوا عليه من جلافة وتحجر ،
ونحن نحذر من خلاتهم ، وننبه المسلمين إلى وخامة التشبه بهم ... إن تدينهم لا خير فيه ﴿ وَلَا تَزَالُ
تَطَّلُعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾ (٢) .

والغريب أن الله يختم هذه النصيحة بقوله ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) وكما
أخذ الله الميثاق على اليهود أخذه على النصارى وإن كان التعبير الوارد في ذلك يدفع إلى التأمل لأنه
يشير إلى بعد الشقة بين نصارى العصور الآخرة وبين عيسى والحوليين وأصحاب الدين الحق .

لذلك قال : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصرى أخذنا ميثقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم
العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴾ (٤) .

(١) سورة التوبة : ٦

(٢) سورة المائدة : ١٣

(٣) سورة المائدة : ١٣

(٤) سورة المائدة : ١٤

وتاريخ المسيحية شاهد صدق على مركز أبحاث الرسائل الجامعية تتسى أوروبا الحروب الدينية الكثيرة التي ملأت ساحاتها بالدماء ، وقد وضعت هذه الحروب أوزارها ، إلا أن الكراهية ناشبة في أعماق الصدور يخفيها انشغال الكل بالعلمانية التي أقصت الدين وسيطرت على الدولة .

ونرى أن هذه الهدنة عارضة وأن الخصام عائد إلى الظهور حتماً لأن أسبابه قائمة ، وهو ما تؤكد الآية .

والواقع أنه لا سلام إلا في الإسلام ، ولن تطهر الأيدي من الدماء ، إلا إذا عمرت الأفتدة بالاعتقاد الحق في الإله الواحد .

وهذا معنى قوله - تعالى - موقظا القوم إلى ما يجب عليهم ﴿ ... قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾^(١) إذا فرق الأمم الباطل فلن يجمعها إلا الحق .

وهكذا يظل شيخنا الجليل يحكم بيمينه هذا التصوير البديع لهذه السورة الكريمة حتى ينظم عقداً فريداً متناسب الحلقات متسق اللبنة في الخاتمة : أما الأمر الذي ختمت به السورة فهو تذكير القارئ بكل ما حوت من عقود وعهود هل حفظوها ووفوا بها وقاموا عليها ؟

ليست بين بشر ما وبين الله علاقة خاصة ، وسيجيء يوم يحشر الناس فيه إلى حساب دقيق . ويقال : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^(٢).

هل لأحد مع الله ملك ؟ كلا ﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير ﴾^(٣) هذه سورة المائدة أو العقود ، وهي من أول ما نزل من القرآن الكريم متصلاً بالشريعة.^(٤)

(١) سورة المائدة : ١٥ ، ١٦

(٢) سورة المائدة : ١١٩

(٣) سورة المائدة : ١٢٠

(٤) نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم ، ص ٨٩.

للنور من أسماء الله الحسنى ، وسميت سورة النور بهذا الاسم لأنها تضمنت الآية الكريمة ﴿ الله نور السموات والأرض ﴾ ^(١) والنور - مادية ومعنوية - صادر عن الله بل كل شيء يستند في وجوده إلى البريء الأعلى فما لا وجود له من ذاته فحقيقته صفر.

إن الكون كالظل لا وجود له إلا من الجسم الذي يلقى ، فإذا ذهب الجسم تقلص الظل أو زال ... والعالم أجمع يوجد ويبقى بإيجاد الله له وتبويره لأمره ، ونور النهار عند مطلع الشمس ، أو نور الليل عند بزوغ القمر مصدره من الله . فإذا ذهب النوران فكل ذرة تتحرك دليل على خالقها ، لأنها بها تقوم ، وعليه تنك .

وفي دعاء الرسول ﷺ يوم آذاه المشركون في الطائف : " أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل بي غضبك ، أو أن ينزل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله " ^(٢).

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام وهو يقوم الليل : " اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن " ^(٣).

وعن ابن مسعود : " إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه " .

قوله عز وجل : ﴿ سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٤) ، في هذا النظم تنويه للسورة وما احتوته من توجيهات ، لأنه ما بدلت سورة في القرآن بهذا الابتداء ، وقد تكرر لفت النظر إلى ما أتت به السورة من أحكام مرتين :

الأولى في قوله تعالى : ﴿ ولقد أنزلنا إليكم آياتٍ مبيناتٍ ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين ﴾ ^(٥).

^(١) سورة النور : ٣٥

^(٢) رواه الطبراني في الكبير ، وقال الهيثمي (٣٥/٦) وفيه ابن سحاق وهو منسوخ وبقي رجاله ثقات ، فالحديث ضعيف كما قال الألباني

^(٣) أخرجه البخاري - كتاب الدعوات - باب الدعاء إذا اتبه من الليل - ج ١٢٠/١١ - حديث ٦٣١٧ بلفظ " أنت قيم السموات "

^(٤) سورة النور : ١

^(٥) سورة النور : ٣٤

والأخرى قوله : ﴿ لقد أنزلنا آيت مبيّنة والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (١) .

ذلك أن السورة تحدثت عن العلاقة الخاصة بين الرجال والنساء ، ونكرت عقوبات بعض الجرائم الجنسية ، وشرحت آداب نظر كل جنس إلى الآخر ، وحددت الزينات المباحة والمحظورة ، كما أوجبت الإستئذان قبل دخول البيوت ، ودخل كل بيت وبينت البيوت التي يجوز الأكل فيها ومع من ؟

هذه تنظيمات لبناء المجتمع الإسلامي على العفة والطهر ، وإقامة سياج متين حول المحارم التي يخاف وقوعها ...

وقد كان لهذه التعليمات أثر في صون الأمة من الآثام وتحسينها من الرذائل ، ومن المشاهد أن الحضارة المعاصرة تجرأت على المناكر ، ومهدت لها الطرق ولم تزل تواقعها حتى استباحتها ، والزنا الآن لا يسمى زنا ، بل يسمى في أغلب الأحيان حباً أو صداقة .

وقد حرجت الأديان عن مكانتها في التربية ، وفسح الطريق أمام مذاهب لا إيمان لها ولا شرف ، والجهود الاستعمارية مبذولة كي ينتهي الإسلام إلى هذا المصير !!

وقد بدأت سورة النور بتقرير عقوبة الزنا ، وتحريم الزواج من البغايا ، كما غلظت جريمة قذف المحصنات ، وشرحت شريعة للملاعنة ، مبيّنة أن ذلك كله من فضل الله وحكمته وتوبته على عبادة ...

وناسب في هذا المقام ذكر حديث الإفك ، وهو حديث كشف عما في صدور أعداء الإسلام من ضغن ، ولا عجب فقد نبه القرآن إلى ذلك من قبل ﴿ وَلْتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَى كَثِيرًا ﴾ (٢) .

والحق لني أحتقر الرجل الذي يتولّى عن الأنظار ثم يطلق مقالة للسوء عن سيدة شريفة ، ويترك للمستغفلين والأغرار أن يشبعوها .

(١) سورة النور : ٤٦

(٢) سورة آل عمران : ١٨٦

ذلك ما فعله كبير المناقنين عبد الله مركز أبحاث الرسائل الجامعية لمؤمنين وطعنناها في أغلى ما تملك وتركها تقول : " ظننت أن الحزن فائق كبدى !! "

لما الرسول - عليه الصلاة والسلام - فقد أخذته الدهشة وتحير في هذه المصيبة الداهمة لولا أن الله أنزل براءة زوجته من وحي يتلى إلى آخر الدهر !!

وقد تضمنت القصة دروساً ينبغي ألا تنسى ﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحك هذا بهتن عظيم ... ﴾^(١) ، ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ... ﴾^(٢) ، ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ... ﴾^(٣) وهكذا أطفأ الله الفتنة بعدما تركت في النفوس جراحاً ... !!

ثم عاد القرآن ينكر الأدب الخاصة بدخول البيوت ، إن لسكانها حرمة مرعية ، لا بد من استئناس وتسليم وإن ، واتسعت دائرة هذا الاستئذان لتشمل الذين يطرقون البيوت من الخارج ، والذين يتقلون بين الحجرات في الداخل ، ولا أعرف أن هذه الأدب شرعت في حضارة سابقة ، أما الحضارة الحديثة فلا تبالي أن تنظر من ثقب الباب لتعرف ما هنالك !

ومضياً مع إشاعة العفاف وتأديب الغرائز أكد الإسلام ضرورة غض البصر وحفظ الفروج . والواقع أن هذا تشريع يقرر في الأديان السابقة ولكن الإسلام فصله وأصله ، وتحدث عن الزينات للظاهرة المعفو عنها كالكل في العين والحرمة في الخد ، والخاتم في اليد ، وعن الزينات الباطنة التي لا بد من إخفائها ...

والغرب الذي يدعي المسيحية يصدر للعالمين تقاليد العري والتبرج وانتهاك الحرمات ، وما أظن تاريخ الدنيا شهد مثل هذا الدنس الذي ينشره هؤلاء الناس ، لقد سميتها في بعض كتبي حضارة البغي والبيغاء !!

ووسائل الإعلام المختلفة تتسابق إلى بث الفتنة داخل البيوت ، وتعرض صوراً للرقص الغربي المزيج والرقص الشرقي المنفرد ، يفرح بها الشيطان ، وترزّل الطهر المنشود .

(١) سورة النور : ١٦

(٢) سورة النور : ١٩

(٣) سورة النور : ٢٣

إن الإسلام اعتبر الزواج عبادة ، مركز أبحاث الرسائل الجامعية ، تبتعد عن الحرام...

ولعل من لطائف القرآن الكريم أن تجيء به آية طويلة عن الأكل في البيوت ، وعن الأهلين والأصدقاء الذي يصح الأكل معهم جميعاً أو أشتاتاً ، إن إحصاء هذه الآداب الخاصة استغرق ثلثي السورة ولكن سورة النور سميت - كما قلنا - بالآية التي توسطتها تحدثت عن البهائم الإلهية ، والمجد الذي لا يبلى والعز الذي لا يفنى : ﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري... ﴾ (١) والمعنى مثل نوره في أرجاء الكون الفسيح أو مثل نوره في قلب المؤمن الخاشع ...

وقد تحدثت الآيات عقيب ذلك عن قدرة الله وعظمته واستحقت أولى الأبواب على النظر في الكون ، ففي هذا النظر ما ينمي الإيمان ويضاعف نوره .

تدبر قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَاذٍ عِلْمَ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ، وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) ألا يُغريك هذا السياق أن تكون بعض الكون المسيح بحمد ربه ، المعترف بآلائه ومجده ؟

وقد تتساءل : ما علاقة آداب الأسرة وسلامة المجتمع التي سبقت وأعقبت آية النور بهذا الحديث عن إيداع الله وجلاله ؟

والجواب أن كل تشريع يرتبط بالعقيدة ، ويحيا بحياتها ، وهيئات أن يبتعد عنها ، خذ مثلاً قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) . ألا ترى أربعة من الأسماء الحسنى انتظمت في سياق واحد مع تقرير حكم من أحكام الأسرة ؟

وهكذا القرآن الكريم يربط الإيمان بالعمل ويقرن الحديث عن شؤون الناس بالإيمان للواجب برب للناس...

(١) سورة النور : ٣٥

(٢) سورة النور : ٤١ ، ٤٢

(٣) سورة البقرة : ٢٢٦ ، ٢٢٧

إن رباط الشريعة بالعقيدة وثيق ، مركز أبحاث الرسائل الجامعية ، وجد مارقون يريدون أن يجعلوا للشرائع مصدرا غير الإسلام ، رسم السير موسى .

وهم ينظرون إلى سورة النور خاصة بضيق شديد ، لأنها حرمت الزنا والتبرج والإنحلال ، ولذلك شرحت السورة موقف هؤلاء وبراعة الدين منهم : ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ، وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون ﴾^(١).

وقد نتبعت مسالك هؤلاء الرافضين لحكم الله ورسوله فوجدت جمهرتهم لا تحترم الله فريضة ، ولا تعرف طريقها إلى مسجد ! وهم يتظاهرون ويشد بعضهم أزر بعض حتى لا يقوم للإسلام حكم ، وغرضهم القريب والبعيد ألا يقوم للإسلام كيان عبادي لو خلقي ، وأن تعم العالمين جاهلية حديثة ...

ولذلك يقول الله - تعالى - بعنذ ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾^(٢).

والحرب من قديم ناشبة بين فريقين : فريق ضائق بالدين كله ، يحتال لإسقاط رأيته وإحباط غايته ، وفريق يربط الناس بربهم ، ويشد أرجاء المجتمع بشعب الإسلام كلها ...

وحالة المسلمين في هذا العصر رديئة ، والهزائم المادية والمعنوية تحيط بهم ، ولكن الله فتح أمامهم أبواب الآمال عندما قال لهم هنا : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ... ﴾^(٣) ، على أن هذا التمكين يحتاج إلى مقدمات طويلة وجهود متواصلة ، فإن للقيادة والسيادة مؤهلات لا بد من تحصيلها ويستحيل أن يتحقق لعاطل أمل .

ولننظر ماذا فعل الرسول وصحبه عندما أروا إقامة دولة للإيمان ، لقد مكثوا قرابة ربع قرن يصارعون الوثنية العربية حتى هزموها ، ثم جمعوا بالتوحيد قلوب العرب ، ومالوا على الرومان والفرس ميلا ولحدا ، فما هي إلا جولات يسيرة حتى أصبح المسلمون الدولة الأولى في العالم !!

(١) سورة النور : ٤٧ ، ٤٨

(٢) سورة النور : ٥١ ، ٥٢

(٣) سورة النور : ٥٥

خلال ثلاثين سنة من نزول ﴿ اقرأ ﴾ تحول رجل واحد إلى لمة رائعة تاخذ لربها ولنفسها ما تريد !! كان يستحيل - في الخيال - أن تتحول أسرة فقيرة في مكة إلى دولة تبسط سلطانها على العالمين !! ما هي الوسائل ؟ ﴿ يَغْبِطُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾^(١) ، ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٢) .

أهذه وسائل تنهض بها أمة ؟ ويسقط بها جيروت حكم للعالم كله عشرة قرون ؟ ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٣)

ويديهي أن هذه الوسائل لا يفهمها العجزة والبله ، إنما يفهمها ويحشدها رجال فقهوا سياسة الدنيا والآخرة وخرجوا من سلطان الأروام والدنايا وارتفعوا إلى سيرة محمد وصحبه .

٥- سورة محمد :-

وتسمى سورة القتال ، بينت أن رسول الله ﷺ نبي الرحمة ونبي الملحمة ، وأنه يقتص من الظالم للمظلوم ، ومن الواتر للموتور ، وأنه لا يدع البغي يمسي في الأرض متكبراً ، بل يرغم أنفه ويقلم أظافره .

ولكي تعرف جوّ هذه السورة ، سل نفسك أولاً : ماذا يكنه أهل البوسنة في قلوبهم للصربيين الذين نبحوا رجالهم واغتصبوا نساءهم ؟ هل يكنون إلا البغضاء والمقت ! وماذا يكنه أهل فلسطين لليهود الذين أخرجوهم من دورهم واسترخصوا دماءهم وحقوقهم ؟ هل يكنون إلا الغضب والحقد ؟

وماذا تنتظر أن يقوله القرآن الكريم للمغلوب المستباح ، إذا لقي خصمه في الميدان ؟ إنه يقول له : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَسْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾^(٤) ، لو ما جاء في هذه السورة ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَأً يَغْذُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَاتَنَّصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْئُتُوا بِغَضَبِكُمْ بِنَعْصِ ... ﴾^(٥) .

(١) سورة النور : ٥٥

(٢) سورة النور : ٥٦

(٣) سورة النور : ٧٥

(٤) سورة التوبة : ١٤ ، ١٥

(٥) سورة محمد : ٤

إن الحرب دواء مُرٌّ ، ولكن لمرض أُمُرٍّ ، وكما قال شوقي :-

الحرب في حق لديك شريعة ومن السموم الناقعات دواء ...!

وقد بدلت السورة بآيات تضمنت قانوناً عاماً خالداً ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ، ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا البطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ (١)

وكما افتتحت السورة بهذه السنة المطردة ، تكرر المعنى نفسه في ختامها ، فقال جل شأنه ﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط أعمالهم﴾ (٢)

وقد كان المسلمون في ميادين القتال يتلون هذه السورة جماعات بصوت عال . ولما كانت فواصل الآيات تنتهي بيمين ساكنة فإن الوقوف الجماعي عليها له نوي يخلع قلوب الأعداء !

ثم يؤكد الوعد الإلهي نتيجة المعركة داعياً إلى الإقدام والنفداء ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والذين كفروا فتعسأ لهم وأضل أعمالهم﴾ (٣) . وخلال هذه التعليمات العسكرية يذكر القرآن مصائر الشهداء ، وما ينتظرهم من جزاء ﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم ويصلح بالهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ (٤) . ثم يضرب المثل للنعيم المنتظر ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهر من ماء غير آسن وأنهر من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ...﴾ (٥)

وتلك خلال تسبيح موصول وعبادة تقربها العين ﴿دعواهم فيها سبحك اللهم وتحيتهم فيها سلم وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ (٦)

(١) سورة محمد : ١-٣

(٢) سورة محمد : ٣٢

(٣) سورة محمد : ٧ ، ٨

(٤) سورة محمد : ٤-٦

(٥) سورة محمد : ١٥

(٦) سورة يونس : ١٠

ومع الحديث عن المؤمنين المجاهد مركز أبحاث الرسائل الجامعية باققين لكشف النقاب عن سرانهم المريضة ولحمية المجتمع من شرورهم . إن هؤلاء الناس يشاركون المسلمين حول الرسول الكريم ، ويستمعون إلى ما يصدر من توجيهات ، ولكن بقلوب مدخولة . وقد يشاركون في عبادت خفيفة للتكاليف ، وقد ينقلون إلى خصوم الإسلام ما يدور بين النبي وصحبه ولهم تعليقات تكشف المخبوء من كفرهم ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١).

وهذا استفهام مشرب بالتجاهل أو بالسخرية ، يتبد أن وجوههم تسود وقرانهم ترعد عندما ينزل أمر بالقتال ، فهم ليسوا أصحاب عقائد يدافعون عنها ، وتعلقهم بمصالحهم الدنيوية يجعلهم جنباء ﴿ ... فَإِذَا أَنْزَلْنَا سُورَةَ مُحْكَمَةً وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (٢).

ووزر المنافقين مضاعف ، فإن هناك كفاراً لا يدرون عن الإسلام شيئاً ويحاربونه بغاوة ، أما هؤلاء المنافقون فمقيمون بين ظهراني المسلمين يستمعون إلى الوحي النازل ويرمقون سيرة صاحب الرسالة فمالهم عنر ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴾ (٣).

وفي عصرنا هذا يجدد المنافقون سيرة المخادعين القدامى ، فهم يتلقون التعليمات من منابر التبشير العالمي أو من مراكز الغزو الثقافي وينتسبون بين الجماهير بثيرون الفتن ويطلقون الإشاعات ويرجحون وجهات النظر المعادية ويخللون أصحاب الكفاح : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ، فَكَفَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (٤).

إن الله كشف أولئك المنافقين ، وهم على كل حال ستكشفهم مسالكهم وتدل عليهم أعمالهم . بل إن لأقوالهم رنيناً بفضح خباياهم ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (٥).

(١) سورة محمد : ١٦

(٢) سورة محمد : ٢٠

(٣) سورة محمد : ٢٥

(٤) سورة محمد : ٢٦-٢٨

(٥) سورة محمد : ٣٠

وانتهت السورة بوصاة للمؤمنين ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السُّمِّ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَكُنْ يَتْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (١).

ثم قال للناكسين عن البذل الباخلين بما لديهم دون أن ينصروا الحق: ﴿ هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَكَّلُوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَأَ يَكُونُوا أُمَّتِكُمْ ﴾ (٢)، إن المجتمعات الجبائنة الشحيحة لا تستحق الحياة والبقاء .

٦- سورة الإخلاص :-

رب العالمين واحد لا ثاني له ولا ثالث ، لا صاحبة له ولا ولد . والصفات التي أسندها لذاته العليسا ، تجعل ما عداه صفراً ، وتجعل القول به عبثاً ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِبَّيْ فَارْهَبُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ ... وَلَمَّا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَتَدٌ ﴾ (٤).

والتوحيد روح الإسلام ولباب القرآن ، وما نسبه الله إلى نفسه من صفات يجعل ما عداه عبداً عاجزاً لا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً ، فأين هو ؟ ولماذا لم يقبل التحدي ؟

وننبه هنا إلى ما سقناه من قبل من أدلة عقلية على التوحيد ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذَاهُ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٥).

وفي موضع آخر يقول: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِذَا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يُصِفُونَ ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (٦).

(١) سورة محمد : ٣٥

(٢) سورة محمد : ٣٨

(٣) سورة النحل : ٥١

(٤) سورة النساء : ١٧١

(٥) سورة المؤمنون : ٩١-٩٢

(٦) سورة الأنبياء : ٢٢ - ٢٣

والقائلون بالتثليث يرون أن الآلهة ثلثة ، وإن كانوا في الحقيقة بها واحدا ، لهم أب وابن وروح قدس ، ولا يتصور بينهم خلاف ! فما يقولون في قضية الصلب ؟

إذا كان الثلاثة واحدا ، فإن المصلوب هم الجميع ، وقد العالم ربه حينما من الدهر . وإن كان المصلوب الإبن وحده ، فليس بإله يقينا !

ولمن شاء أن يعتنق ما شاء ... ما نحجر على إيمان أحد ، ولكننا فقط ننصف كتابنا وعقيدتنا فنحن نتلقى التهم من كل جهة !!...

وسورة الإخلاص سطر واحد : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ﴾^(١) . وهي تعدل ثلث القرآن لأنها لخصت أصل الاعتقاد عندنا .

فإنه ليس كمثلته شيء . ولم يكن له أحد كفاء ويستحيل أن يكون لها أو إنا . وهو الصمد أي السيد الذي يقصده كل من في السماوات والأرض . ماذا يملك غيره ؟

إن النظام العالمي الساري في الملكوت لا يتحمل تعدد الآلهة . ومن السخف أن تحسب للشمس إلها ، وللأرض إلها ، لو أن للحيوان إلها وللنبات إلها ، لو أن لأفريقية إلها ولأوروبا إلها ، إن النظام الكوني واحد تضبطه إرادة واحدة وتصوغه قدره واحدة . والذي يشرف على إفرازات الهضم في أمعاء الأحياء هو الذي يشرف على مسارات الأفلاك في أقاصي الآفاق . وفالق الحب والنوى في الحقول والحدائق هو فالق الإصباح في عالمنا ، وفالق الشروق والغروب في المجرات التي لا تراها !

إننا بعد أعمال الفكر وإيمان النظر ، لا نملك إلا أن نقول : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير " .



(١) سورة الإخلاص : ١-٤

نماذج من تفسيره الموضوعي لآيات القرآن

التفسير الموضوعي لشيخنا الغزالي بالنسبة لآيات القرآن الكريم يتمثل في نوعين اثنين :-
النوع الأول : جمع الآيات المنثورة في طول القرآن وعرضه ذات الموضوع الواحد ، كالإنسان في القرآن ، والثروة في القرآن ، وفساد الأمم كما يصوره القرآن ، وما شابه ذلك وهذا ما قدم نماذجـه وصوره شيخنا لدى نظراته في القرآن .

النوع الثاني : النظر في القرآن الكريم نظرة شمولية تجمع بين آياته المتعددة وسوره المتتابعة في موضوعات عامة رئيسية ، وهذا ما قرره شيخنا في محاوره الخمس .

وإليك - أخي القارئ - نماذج من هذه وصورا من تلك .

١- نماذج وصور من النوع الأول :

أ- الإنسان في القرآن :-

الفلسفة المادية تزحف الآن على قارات الدنيا وهي فلسفة تقصر الوعي في حياة البشر على بضع عشرات من السنين وهي متوسط ما يعيشه الفرد على ظهر هذه الأرض . . . ثم يعود بعدها إلى عماء وظلمة من حيث جاء ، فليس بعد المهد إحساس ولا بعد اللحد شعور وهذه الفلسفة المادية وإن نشطت في استغلال قوى الوجود إلا أنها تحتقر القيمة الذاتية للإنسان . ومن هنا فهي بقدر ما تعمّر تدمر ، وبقدر ما تعلق البناء تسوق الفناء .

صحيح أن في الإنسان عقلاً يمتاز به ولكن ما العقل عند الماديين ؟ إن الكبد كما تفرز الصفراء يفرز المخ التفكير .

لا روح هناك ولا نفخة من السماء يختص به هذا الكائن الفذ !! . . . والتأمل اليسير في القرآن الكريم يميط اللثام عن وجه الحق في قيمة الإنسان ووظيفته ومنزلته ورسالته.

فالإيمان في القرآن الكريم خليفة الله مركز أبحاث الرسائل الجامعية في كثير من السور متضمنة أن الله جعله سيدا يطاع ويكرم ، ومتضمنة أن من يتجرا على إهائه ويتمرد على مكانته ليس بأهل لرحمة الله وبره .

ثم شرح القرآن للكريم طريق الخير لأبناء آدم ، فجعل أساسه أن يحافظوا على فطرتهم ، وأن يغسلوا عنها النكت والأقذار التي تعلق وجهها حتى تبقى سليمة كما نراها الله .

ومن ضلال التفكير الديني ، أو الإنساني في العموم ، تعلقه الغريب بالبحث فيما لا يحس ، بل لا يملك وسائل صحيحة للبحث فيه ، أعني ما وراء المادة فلا مكان في حياته لفتور أو استرخاء .
﴿ يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه ، فأما من أوتي كتابه بيمينه ، فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾^(١)

وإذا كان بين البشر تنافس مستحب أو تحاسد مرغوب ففي هذا المضمار الرحب لإدراك الكمال والرضوان الأعلى : ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾^(٢) ومن ثم نحكم بأن الخمول السائد في بلاد القرآن هو صد صارخ لطبيعته وبعد سحيق عن ندائه .^(٣)

ب - الثروة في القرآن :-

تحت هذا العنوان يقول شيخنا : " الله عز وجل هو المالك الأول لكل شيء لا يشركه أحد في هذا الملك ، ولا فيما يتبعه من حقوق .
﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل أفلا تذكرون ، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون لله قل أفلا تتقون ، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾^(٤) .

(١) سورة الأشقاق : ٦ - ٨

(٢) سورة المطففين : ٢٦

(٣) نظر نظرات في القرآن للشيخ محمد د الغزالي ، ص ٥٤ - ٥٨ باختصار ، ط دار للكتب الإسلامية .

(٤) سورة المؤمنون : ٨٤ - ٨٩

لكن رب العالمين وصاحب هذا المركز أيداع الرسائل الجامعية لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴿^(١)

خلق هذا الكون الضخم الفخم ثم كأنه قال بعد ما أتمه لقد يسرت كل هذا لكم فهل من منتفع ؟ القرآن الكريم مفعم بهذه الآيات التي تشرح هذه الحقيقة والتي تتل الإنسان على أنواع الخير المتاحة له من هنا وهناك وكما يقال المرء الشريد إلى قصر مشيد ويقال له : هذا البناء العظيم لك وهذه مفاتيح أبوابه بين يديك اقتيد البشر أجمعون إلى آفاق العلم ووقفوا على برزخ بين البر والبحر ثم قيل لهم : ﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾^(٢).

وقد أجمل القرآن عرض هذا الفضل المباح عندما قال : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ﴾^(٣).

ثم فصل صنوف النعماء التي هيئت لمرح الإنسان في بحبوحة الغنى الإلهي المسخر له ، فصل هذه الصنوف في سور شتى :-
﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يسوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين ، والله جعل لكم مما خلق ظللا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون ﴾^(٤).

تري كيف جعل الله هذا العالم الطافح بالخيرات المشحون بالقوى بين يدي الإنسان وتحت قدمه ليكون ملكا فيه وعبداء لله في وقت واحد^(٥).

(١) سورة القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠

(٢) سورة المجاثية : ١٢ - ١٣

(٣) سورة البقرة : ٢٩

(٤) سورة النحل : ٨٠ - ٨١

(٥) نظرات في القرآن ، ص ٦٢ - ٦٤ بتصرف ولختصار

تحت هذا العنوان يقدم شيخنا دراسته بقوله : " للرجل الشريف يحفظ شرفه ويسفك في صيانته الدم ، والمؤمن الحر يحمي عرضه ، ويبذل نونه الروح وقد جاء في صحيح البخاري مرفوعاً " أن الله يغفار وإن المؤمن يغفر وغيره الله أن يأتي المرء ما حرمه الله " (١) .

إن الله ﷻ يغضب على من يقارف محارمه وعلى من يستهين بحدوده فإذا ارتكب أحد معصية ، أو أهمل فريضة فلا يحسن نفسه أتى أمراً سهلاً ، لقد اقترف جريمة يستحق بها العقوبة وخاصم ملكاً شديد البطش أليم الأخذ ، والشخص العاصي شذوذ في ملكوت يسبح بحمد بارئه ، ويخضع لأمره ، ونكتة سوداء متمردة في عالم يسجد لله طوعاً أو كرها ، ويستمد منه حياته وبقائه لحظة بعد أخرى .

وذلك العوج في الكون المستقيم على أمر الله هو الذي يجعل الأرجاء توشك أن تنقض على العاصي فتخفي رسمه ووسمه .

﴿ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ﴾ (٢)

ولولا أن رحمة الله تغلب غضبه وأنه يمهل الخاطئين ليمنحهم فرصة العتاب وينسأ لهم في الأجل ويمد لهم في الحياة كي يرجعوا إلى الله بخير يرشحهم لعفوه ... لولا هذا لسلط عليهم عذاب الإستتصال .
﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً ﴾ (٣)

﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى ﴾ (٤)

ومع هذا الإرجاء فإن المجرمين قد يوقعون مآسى تستعجل للنقمة ، فأما أن يسرع الله بعقابهم عدلاً في الحكم وإصلاحاً للأرض ، وإما أن يندرج في إيقاع الجزاء الدنيوي بهم ، لعل هذه الأخذات المحدودة توقظ ما نام من ضمائرهم إلى طريق الرشاد ومرة أخرى : -

(١) أخرجه مسلم - كتاب التوبة - باب عبادة الله تعالى وتعظيم الفولحش - ٢١١٤/٤ - حديث ٢٧٦١ ، يلتقط " أن يأتي المؤمن ما حرم عليه "

(٢) سورة مآ : ٩

(٣) سورة فلطر : ٤٥

(٤) سورة طه : ١٢٩

﴿ أفامن الذين مكروا السيئات أن أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعاد ﴾
ن حيث لا يشعرون ،
ف رحيم ﴿١﴾

نعم ... إن الأمم الفاسدة تلتقي في أحوالها نعوت واحدة ، قسوة لا ترق لضعف ، وجحود لا يكثرث بوعظ ، وعكوف على الدنيا لا يهتم لما بعدها ونسيان لله لا يبالي بحقه .

وبقاء الأمم بهذه المثابة بلاء على العالم وعلى العمران وعلى المثل العليا وضربات القدر القاصمة عندما تنزل بها تكون كحكم الإعدام عندما ينفذ في مجرم أقيم .

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾

، وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا

وَأَهْلِهَا ظَالِمُونَ ، وَمَا أُوْتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفْلا

تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾

... والخوف من الإبقاء على هذه الأمم سره الحرص على إنشاء أجيال أسلم فطرة وأقوم قِيلاً . ولذلك ترى القرآن الكريم يكثر من عرض حياتها وعملها وعقباها ، حتى يمكن إيجاد أخلاف أتقى أفئدة ولزكى مسلماً ويقلبها بين صنوف السراء والضراء حتى تعقل وترعوى ... أو ينبت خلالها من يعقل ويرعوى.

وكم أخشى على الناشئة التي تنمو الآن في الشرق الإسلامي ؟

إنها تشبه " خضراء الدمن " في حسن منظرها وسوء مخبرها ... وخضراء الدمن تربو على الأقدار كما تربو البهائم الجلالة على النقاط القمامة ، فترى شكلاً جميلاً وطعماً مريراً !!

واليوم نبصر أقولاً شامت طباعهم يظنون سعة الثقافة سرعة الإلحاد وحرية الفكر هوان الإرادة واستمراء الشهوات ، والتقدم المستحب هو البعد عن فرائض الله : عن صلاة وصيام بل الاندهاش لرؤية المصلين الصوام !!

(١) سورة النحل : ٤٥-٤٧

(٢) سورة القصص : ٥٨-٦٠

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الجامعة الأردنية

مركز أبحاث الرسائل الجامعية

لات العهر ، لأن موارد
تهون !!! فتجزم أنك أمام

وتسمع أولئك العلوج وهم يتكلمون
السياحة ستتضب إن لم يقدم للس
أصاخ خلق وأنصاف أو أعشار بشر^(١) .

(١) نظرات في القرآن ، للشيخ محمد القرآني ، ص ٩٢-٩٦ بتصرف واختصار

وهذا النوع نظمه شيخنا في خمسة محاور رئيسية تجمع ما تتأثر في القرآن من درر حسان جاء في كتاب " كيف نتعامل مع القرآن " :-

" المحاور التي يقوم عليها القرآن الكريم - كما شرحنا - ليست مقسمة على أساس أن هذا المحور لكذا ، وذلك المحور لكذا ، ولكن نحن بجهننا العقلي نجيء لآية واحدة ، أو لطائفة من الآيات يمكن أن تكون في قضية واحدة ، فنرى أن هذه القضية الواحدة تماسكت الآيات فيها على عدة محاور من الكلام عن الله ، والكون ، والجزاء ، والنفس البشرية والإيمان و الأخلاق ، تماسكاً غريباً لا يُعرف إلا في هذا القرآن .

وهذا يجعلنا - كما قلت - نقدم التصور الحضاري للقرآن على أنه يبني أمة ، ويفتح أبصارها على الكون ، ويمنحها الرؤية المتميزة التي تمكنها من الشهود الحضاري على مختلف الأصعدة " (١) .

واليك - أيها القارئ الكريم - نماذج هذا النوع وصوره :-

١- الله الواحد :-

هذا هو المحور الأول من المحاور التي دارت عليها سور القرآن الكريم وتحتة يقول شيخنا : " كان الناس قديماً يعرفون الألوهية معرفة ناقصة أو مشوهة فكانوا يضمون إلى عبادة الله ، عبادة آلهة أخرى من صنع أنفسهم ، وكان تعصّبهم لهذه الآلهة المختلفة شديداً ، وربما كان حظها من الإقبال والخشية أكثر من حظ الإله الحق !!

وعندما جاء الرسل يفردون الله بالعبودية ، ويخاصمون الإتجاه إلى الوثنية قوبلوا بحرب شعواء ، وتدبر ما قال قوم هود له :

﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعْبُدُونَ إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴾ (٢) ، وهكذا فعلت سائر الأمم مع أنبيائها .

(١) كيف نتعامل مع القرآن ، ص ٤٣ بتصرف يسير

(٢) سورة الأعراف : ٧٠

والى جانب الشرك بالله وجدت فـ
وتتعلق كيفما اتفق ، وتتوارث إلى
جانب المشركين الأقدمين ، ولكنهم في العصر الحاضر كثروا كثرة شديدة ، وتعاونت ظروف شتى
على دعم جانبهم حتى ليكاد زمام العالم يقع في أيديهم .

ولسان حالهم في شرق العالم وغربه ﴿ إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾^(١) ، وبديه أنهم ينكرون الوحي ، فمن أين يحيى ؟ وتعليقهم على كل من يحمله :-
﴿ إِن هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) .

ولرى ان هؤلاء الملاحدة نبتوا في ظل الديانات الأرضية المخترقة ، أو في ظل الديانات السماوية
المحرقة ، وقد لاحظوا الجانب المظلم في هذه الديانات كلها ، ولم يرزقوا معرفة الحق من منابعه النقية
، ولم يكن لهم في أنفسهم نور يمشون به فأثروا الكفر الغليظ والتعطيل التام .

وقد وجدت من هؤلاء رؤساء لحكومات صليبية وصهيونية ووثنية وشيوعية ... ولا تزال عداوهم
تمتد ، ولا علاج إلا إذا عرف الإسلام ، وشاعت حقائقه ماذا كان موقف القرآن بأزاء هؤلاء
وأولئك ؟

إن حديث القرآن الكريم عن الله يمزج بين أمرين :-

الأول - فخر العالم إلى الله وقيامه به ، واستمداد الوجود منه ، أي أنه من المستحيل أن يتخلق من غير
خالق ، أو ينتظم من غير منظم !!

والثاني - أن هذا الخالق المدبر واحد لا شريك له ، ليس له ند أو ضد ، كل شيء هالك إلا وجهه ...
كل شيء من إنس أو جن أو ملك عبد قن له وحده ، يستوي في هذه العبودية حيوان مستخف تحت
التراب أو ملك ساجد تحت العرش :- ﴿ نُهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ
الْأَرْضِ ﴾^(٣) .

(١) سورة المؤمنون : ٢٧

(٢) سورة المؤمنون : ٢٨

(٣) سورة طه : ٦

إبني أحقر الإلحاد من أعماق قلبه
الأرحام ما استودعت من أجنة؟
﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ، قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ (١).

ويستطيع القارئ - حين يتدبر حديث القرآن عن الله - أن يلمس براهين الوجود الأعلى مع إغفال مقصود لمنكري هذا الوجود .

على أن فكراً آخر سيطر على الناس وزاغ بهم عن الصراط ، أساسه أن الله حق ، ولكن معه شركاء يسمون هم الآخرين آلهة !!

والذريعة التي زينت هذا العبث أن تلك الآلهة وسطاء وشفعاء عند الإله الكبير فلا ارتباط يقع إلا عن طريقهم !!

وقد أوضح القرآن الكريم أن هذه الآلهة المزعومة أسماء ليست لها مسميات وأوهام ليست تحتها حقائق وأكاذيب ما أنزل الله بها من سلطان ، وإن ذبابة محفورة ، تقهر هذه الآلهة المنتحلة ... وإن الاستناد إليها استناد إلى فراغ .

﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ (٢).

والغريب أن البشر تعلقوا بهذه الآلهة المكنوبة أكثر مما تعلقوا بالله نفسه وجعلوا لها نصيب الأسد في كل ما يتقدمون به من قرايين : ﴿ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٣).

والإشراك الشائع اليوم في أرجاء الأرض يحتاج إلى نظر ، وسبل الضلال كثيرة وقد أعلن الإسلام عليها كلها حرباً شعواء ، واستنار العقل الإنساني للصد عنها والكفر بها : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ إِنِّي بكتاب من قبل هذا أو أثره

(١) سورة الزمر: ٦٢-٦٤

(٢) سورة الفرقان : ٣

(٣) سورة الأعمام : ١٣٦

له إلى يوم القيامة

من علم إن كنتم صادقين ، ومن
وهم عن دعائهم غافلون ﴿ (١) .

وهذه الوثنيات تترنج اليوم تحت ضربات الشيوعية ، وينتقل أصحابها من الشرك إلى الإلحاد أي من
ظلمة إلى ظلمة .

إن رسالة التوحيد لم تبلغهم ... من شرحها لهم ؟ ولو بلغتهم نظرياً ... فليس هناك من عناصر
الرغبة ما يغري بها ، ولا من عناصر الرهبة ما يدفع عنها ، إذ المسلمون دون مستوى قرآنهم
بمراحل !! ولعلمهم بسياساتهم الداخلية والخارجية ، يصدون عن سبيل الله !! ﴿ (٢) .

ويتابع شيخنا قوله :-

... " إن القرآن الكريم كما نقى العقائد من لوثات الشرك تعهد السلوك الإنساني بما يجعل التوحيد لبابه
وغايته ، ولن يكون السلوك صحيحاً إذا كان الباطن سقيماً ... !! إن كانت النفس أمة فلن تعرف الحرية
في سيرتها ، ومن النفوس حرائر وإماء ، وقد وسع القرآن الكريم دائرة التوحيد داخل النفس ، كي
يبأس كل إنسان من وجود شركاء يضعون مستقبله بعيداً عن مراد الله :
﴿ أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور ، أمن هذا الذي
يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور ﴾ (٣) .

التوحيد العملي هنا يجعل ثقة المرء في ربه ، فينفذ يديه من غيره ، وهو هادئ مستريح ، والناس
تتلهم الحاجة فيضرعون لمن يظنون قضاءها عنده ، ولو صدق اعتقادهم لكان لهم سلوك آخر .

يعمد القرآن الكريم إلى إصلاح البواطن بأضواء التوحيد ، فإذا تمت استتارتها صلحت الظواهر
واستقامت على الطريق ، ورأينا المؤمن أسرع شيء إلى أداء ما يحب الله وأسرع شيء إلى ترك ما
يكره ، يقول الله تعالى ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ (٤) .

(١) سورة الأحقاف : ٥٤ .

(٢) للمحاور الخمسة للقرآن الكريم ، للشيخ محمد الغزالي ، ص ١٩ - ٢٤ بتصريف واختصار

(٣) سورة الملك : ٢١، ٢٠ .

(٤) سورة الصف : ٤ .

تري ما الذي يسود العالم الإسلام مركز أبحاث الرسائل الجامعية سلوك القطيع الذي يملئه حب الدنيا وكراهية الموت...؟ ويقول الله تعالى: ﴿واحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾^(١).

الغريب أن الأمة الإسلامية التي تزعم الارتباط بالله، والرغبة إليه، نموذج عالمي لنقص ما يجب إتمامه، وإخراج السلع نون مستواها المطلوب وإدارة الأعمال بطريقة همجية مفرعة.

والنوء قبل أن يكون في تمرين الأيدي على الإثقان يكون بإضاعة السرائر من الداخل بحب الله وحب ما يحبه ﴿والله يحب المحسنين﴾^(٢) ويقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾^(٣).

أجل... إن الإسلام أرسى التوحيد أولاً في القلوب، وجعله يمتد بعنذ في دروب الحياة نون عائق، ودور الشريعة بعد رسوخ العقيدة، صوغ القوالب التي يتم فيها العمل الصالح، وتحديد ما نزل من أمر ونهى وحلال وحرام ولا قيام للشريعة إلا على مهاد راسخ من الإيمان بالله الواحد.

والله سبحانه وتعالى هو الحاكم في ملكوته الواسع، يحكم ما يريد ويحكم من يريد، قوله الحق وحكمه العدل، وعلينا السمع والطاعة والتسليم.

والكافرون بالله، المنكرون لوجوده، لا يعرفون له حكماً، ولا يلتزمون من أمره بشيء!! والمشركون به سبحانه أيا كان شركهم يحتكمون إلى غيره ويمضون في الدنيا على هواهم والجهتان المسيطرتان على العالم الآن، تتواصيان بإهدار أحكام الله التي تقررت في الرسالة الخاتمة، بل إن بقايا أهل الكتاب من يهود ونصارى، تنتاسى الشرائع التي لا تزال بين أيديهم لم يحمها التحريف والإهمال.

وظاهر من القرآن الكريم أن الله وحده هو الحاكم: ﴿أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾^(٤) والكفر بالله العظيم قرين التمرد على حكمه: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾^(٥).

(١) سورة البقرة: ١٩٥

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤

(٣) سورة النساء: ٣٦

(٤) سورة الأكمام: ١١٤

(٥) سورة النساء: ٦٥

إن التوحيد كما بيّننا نظام حياة ، وللارتباط بالله الواحد آثار ، تتناول الفرد والمجتمع والدولة ، وكما نذهب إلى المسجد كيما نسجد لله ، ونبني المدرسة لتعلم دينه ، ونبني المحكمة لتقضي بما شرع ونبني الدولة لتوجه أجهزتها ، كل شيء وفق مراد الله ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١).

نعم ... إن كشف العلم الحديث ، ارتقت بالفكر الإنساني وجعلته أذكى من أن تسجد لحجر أو خشب ، فهل عرف ربه ، وسجد له ، وارتبط به ، واستعد للقائه ؟ ... كلا وفي أطواء هذا الجهل ، عادت جاهلية التفرقة العنصرية ، وجاهلية استعباد أو استعمار القوى للضعاف والغنى للفقراء .

ولما كانت شعوب العالم الأول متمردة على الله ، متقلبة بين الماركسية والصلبية ، فإن القردة المقلدة في شتى القارات ترنو هي الأخرى لإحدى الجبهتين !!

ولا إنقاذ إلا بيقظة إسلامية ، تجعل التوحيد فلسفة حياة ، وروح أمة ونموذج لارتقاء أدبي ومادي ، لا شعارا أجوف ولا دعوى تسيء إلى الحقيقة^(٢) .

٢- الكون الدال على خالقه :-

وهذا هو المحور الثاني من المحاور الخمسة التي يدور عليها القرآن وتحتة يقول شيخنا : -
" نحن نعيش في زاوية ضئيلة من زوايا كون ضخم ، بيد أن هذه الضالة ، لم تحجب عظمة الملكوت الكبير ، لأن الأرض ومن عليها ، صنع الله الذي أتقن كل شيء .

وحين ننظر إلى أنفسنا وإلى عالمنا المحدود ، ندرك أن الخالق قدير حكيم عليم ، لا منتهى لكماله ، ولا حدود للثناء عليه !

(١) سورة الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ٤٧ - ٥٢ بتصريف واختصار

إن ما غاب من خلقه عن وعينا أكد
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾

لكن ما دخل في دائرة وعينا ، صارخ الدلالة على عظمة البديع الأعلى ، وشاهد صدق على أنه نو
الأسماء الحسنی والصفات العلا .

أجل ... إن هذا الكون هو المسرح الأول لفكرنا ، وهو ينبوع الأول لإيماننا والذهول عن الكون
سقوط إنساني ذريع ، وحجاب عن الله غليظ وفشل في أداء رسالتنا التي خلقنا من أجلها وعجز عن
التجاوب مع وصايا القرآن التي تكررت في عشرات السور !!

﴿ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ، وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّهِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ، وَاختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها
وتصريف الرياح آيات لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته
يؤمنون ﴾ (٢).

وهذه الآيات قل من كثر مما نزل بمكة ، وتأكد بالمدينة لإيقاظ العقول النائمة ، وتبصرتها بالدلائل
المبثوثة في كل شيء تدل على الله وتشرح أوصافه الجليلة .

نعم ... إن التفكير فريضة إسلامية كما قال العقاد ، والمجال الأول للفكر مادة هذا الكون كما أبان
القرآن الكريم وإن عجبنا لا ينقضي من تلكؤ الفكر في هذه السبيل .

ومن ثم فإن الذهول عن الكون ودراسته ، باب من الجهل والضلال ، وأن الإسلام يبني المعرفة على
البصر العميق بالكون والبحث المستمر فيه ، وأن انطلاق العلم بعيداً عن هذا المجرى انحراف إغريقي
وليس نهجاً إسلامياً ، وأن الذين مالوا مع هذا الإنحراف أضروا الإسلام ورسالته .

(١) سورة غافر : ٥٧

(٢) سورة الجاثية : ٣ - ٦

حقا ... إن الكون - في الفلسفة السريانية - ليس شيئا عن عد صفاته ، لا ، لأنه بئله فيه جهدا ، أو دفع فيه ثمنا ... ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾^(١).

إن غلاءه راجع إلى دلالاته على خالقه ، فقد بنى لبنة لبنة بالحق ، وانتظمت أرجاءه قوانين محكمة ، تجلى فيها المجد الإلهي في أبهى صورة : ﴿ ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ... ﴾^(٢).

ولن يحسن معرفة الله ، لمروء يعمي عن سنن الحق ، ولن يختم رسالات الله جهول بهذه السنن ، وإنه لمن المزعج أن يعيش سواد المؤمنين في هذه السنين العجاف مسخرا في الأرض ، والمفروض أن الله سخر له ما في السماوات وما في الأرض !!

وقد لفتنا القرآن الكريم في آيات كثيرة إلى عظمة الخالق في كونه كي نزداد به إيمانا وله إذعانا ، تدبر قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون ﴾^(٣).

يقول العلماء : إن أربعة أخماس الأرض مغمور بالماء ، والأرض كرة كالقمر وعندما نتصور أربعة أخماس السطح الدائري مولرا بالماء مستقرا في الفضاء لا ينسكب عن يمين ولا شمال ، مقوسا لا مستقيما كما نألف في مقادير المياه المستعملة بين أيدينا ، عندما نتصور ذلك نتساءل حتما كيف يقع هذا ومن يمسكه ؟؟

إن الله هو الذي أسكنه في الأرض وكف أمواجه عن الإنسياب هنا وهناك . ودورة المياه بين الأحياء جديرة بالنظر ، فنحن نشرب ودوابنا تشرب ، وزروعنا تشرب ، نشرب كلنا من الأنهار والينابيع التي جاء بها السحب الهامية القادمة من البحار الكبرى ، ثم تنوي الأجسام والزروع ، ويتسرب ما بها من ماء عائدا من حيث جاء ، سالكا ألف فج ، ليتكون مرة أخرى سحبا وأمطارا ونبابيع وأنهارا ، وهكذا دواليك تبقى الحياة مع قدر مضبوط من الماء لا يزيد ولا ينقص وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الدورة المتجددة في قوله :

(١) سورة يس : ٨٢

(٢) سورة الأحقاف : ٣

(٣) سورة المؤمنون : ١٨

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنَّا مَرْكُزٌ أَيْدِيهِ الرِّسَالُ الْجَامِعِيَّةُ ﴾
 من السماء ماءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ، وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُرًا ﴿١﴾ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢﴾

ولنتجاوز حديث الماء إلى حديث الظلال والأضواء ... إنني عندما أسمع القرآن الكريم يتحدث في هذا الموضوع ، أشعر كأن الله - سبحانه - الذي يعلم روعة ما صنع - والله المثل الأعلى - ويحدثنا لنعجب ونسبح ونسجد : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ (١)

ثم بعد حديث الظل وتقلصه وامتداده ، يجيء حديث الليل والنهار : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴾ (٢)

إن انفتاح المرء على الكون وفقهه لما فيه واستمكانه منه ، هو التوجيه القرآني الأوضح لجملة العقائد والمعالم التي يقوم الدين عليها .

والتفكير الصحيح حتماً يقود الإيمان الحق ... ولذا فإن استقرار عقائد المفكرين - كما أثبت العقاد - يدل على أن جمهورهم مؤمن ، ولكنه إيمان عام بوجود الله وعظمته ، أما تحول هذا الإيمان إلى صلاة وتسبيح وصيام واستغفار فلا سبيل إليه إلا بالوحي وأنى لهم هذا الوحي ؟

إن المسلمين ظلموا دينهم مرتين :

مرة بسوء التطبيق ومرة بالعجز عن التبليغ ، سوء التطبيق عرض الدين نفسه إلى التهم حتى قيل إنه ضد الفطرة والحرية والعقل ، والعجز عن التبليغ أبقى جماهير كثيفة في المشارق والمغارب ، لا تدري عن الإسلام شيئاً يذكر .

أجل ... في شرق العالم الإسلامي وغربه رأيت منناً وقصوراً وجسوراً وطرقاً ومحطات ومطارات ، شادها الأجانب ونحن ننظر !!

من الذي ينسج السراويل التي تقي الحر ، والسراويل التي تقي البأس ؟ من الذي حول جلود الأنعام إلى حقائب وبيوت تصلح للسفر والإقامة ؟ من الذي شاد المصانع الكبيرة لنسج الأصواف والأوبار

(١) سورة الحجر : ٢١ - ٢٣

(٢) سورة الفرقان : ٤٥ ، ٤٦

(٣) سورة الفرقان : ٤٧

والأشعار ونقلها بالبواخر الضخم مركز أبحاث الرسائل الجامعية ك القرآن لا تجد من يعيها !!

إن دراسة الكون نهج قرآني واضح لبناء الإيمان أولا ، ولدعمه وحراسته ثانيا ، ولمنافع البشر ومتاعهم ثالثا ، ومع ذلك فإن أجيالا كثيفة غلقت مشاعرهما دون هذه الدراسة .

أحيانا نسمع قوله تعالى : ﴿ انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾^(١) ثم أقول هل نظرنا ولماذا كان نظر غيرنا أطول وأعمق ؟

ونسمع قوله تعالى : ﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد وفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾^(٢) ، ثم أقول هل عقلنا ؟

وتتطلق صيحات مدوية عن سياسة التنمية ومضاعفة الإنتاج وعن استغلال الثروات القومية ... لكن هذه الصيحات ليس وراءها إيمان حقيقي ، إنها جزع من الفقر الحاضر ووجل من نتائجه ، وسيبقى هذا الفقر حتى ترتفع النفوس إلى مستوى الإيمان ، وتحسن التعامل مع توجيهات القرآن .

إن الأوربيين والأمريكيين كانوا أقرب إلى الفطرة الصحيحة ، عندما تركوا لعقولهم العنان ، تبحث في الكون ، وتفيد من كنوزه وما أودع الله فيه من قوى .

وكنا نحن أبعد عن الفطرة - التي هي لباب ديننا - عندما فتننا فلسفات سخيفة لا خير فيها ، وعندما استمعنا إلى بعض المتدينين الهاربين من الحياة الفاشلين في ميادين الفكر والإنتاج والسلوك ، فأسأنا إلى كتابنا ولم نحقق غاياته الكبرى ... فالإيمان - كما يفهم من القرآن - قدرة على الحياة في جميع دروبها ، قدرة علمية ومادية يصحبها تطويع كل شيء لإرضاء الله وابتغاء وجهه .

(١) الأكمال : ٩٩

(٢) سورة الرعد : ٤

لما الحفاة الذين يصرخون بما مر كثر أيداع الرسائل الجامعية بترجمهم بقذائفه من الجو فهم قطعان بينها وبين الإسلام شوط واسع (١).

وتحت عنوان " أغلاط وانحرافات " يتابع شيخنا الحديث في هذا المحور بقوله :
" فالعلم الحديث لا يكثرث للدار الآخرة ، ولا يستعد لحسابها الثقيل ، إنه مشغول بالأرض وحدها مشدود إلى مغانمها ، وإذا سمع أقوالاً متناثرة عن الحياة الأبدية تجاوزها على عجل عائداً إلى ما يعنيه من كدح للحاضر وانتظار للأجر القريب ... !!

وقد أكد المرسلون كلهم إن الحياة الأبدية مقنمة وجيزة لكتاب طويل وأن البشر الذين يحكمهم الزمان هنا ، سوف ينتقلون إلى حياة أخرى ، ينعدم فيها الزمن ، كما ينعدم الوزن في حياة رواد الفضاء الآن !!

وفي الآخرة خلود لا نهاية له ، وعلى البشر أن يهيئوا أنفسهم بالتركيز والتسامي كي يرشحوا أنفسهم لهذا اللون الجديد من البقاء السرمدي .

والغريب إن أسفار موسى الخمسة - في صدر العهد القديم - لم يجيء بها ذكر للقاء الله ، ولا وصف للجنة والنار ، ، ولا إعداد لهذا الخلود الحق !!

وهذا الإغفال القبيح لحقيقة ما خلا منها وحي ، يعد من أسوأ صور التحريف الذي لحق بالتوراة ونحن المسلمين نتعرف على رسالة موسى من صحائف القرآن المصون ، لا من كتابات خضعت لشبهات المحر والاثبات !!

في وصف رسالة موسى نسمع لهذا النداء :

﴿ يا موسى ، إني أنا ربك فأخضع نفسك لي إنك بالوادي المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ،

إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلوة لذكري ، إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى (٢)﴾

(١) المعارج الخمسة للقرآن الكريم ، ص ٥٥ - ٦٧ بتصرف واختصار كبير

(٢) سورة طه : ١١ - ١٦

ماذا كان أثر هذا التحريف؟ في مراكز الإعلام والتوجيه الجاد ، ولا ينكرون بلفائه في ليل أو نهار .

والأمر كذلك مع أتباع الأديان الوثنية ، الذين يحرقون جثث الموتى ، ثم يذرون رمادها في الريح ، ثم ينسون ما كان ومن كان ، ويتفق هؤلاء ملاحدة الشرق الشيوعي وعلمانيو الغرب الذي يرتبط اسميا ببعض العقائد ، ولا يرفع عينيه إلى السماء يوما ، إن عقيدة البعث والجزاء امتداد للإيمان بالله وحده .

والرغبة الشائعة في عصرنا عن ذكر الآخرة ترجع إلى اهتزاز ذلك الإيمان أو فراغ القلوب منه ، وقد حرص الإسلام على ربط السلوك اليومي بالإيمان المتصل الذي يجعل الآخرة تنمة للأولى^(١) .

ثم يختم شيخنا قوله :-

" غير أن التخلف المهيمن الذي حل بالعالم الإسلامي أغرى بعض أبنائه بالتطلع إلى الشيوعية أو العلمانية ، وجراً طلاب الشهوات على المعالنة بإطلاق الفرائز وعبادة الحياة ، وسوف يمضي أولئك جميعا في طريقهم إذا ظل دعاة الإسلام صرعى ثقافات مغشوشة وروحانيات كاذبة ، وإذا ظلوا مولعين بتقليد عصور الإنحطاط السياسي والثقافي في تاريخنا الطويل وقافين عند قضايا جزئية وأحكام مبتسرة وصور ميتة"^(٢) .

٣- القصص القرآني :-

هذا هو المحور الثالث وهو - كما يقول شيخنا - " أوسع المحاور القرآنية ، وسنقف أولا عند ناحية محدودة منه : هل القصص التي رواها لنا القرآن الكريم متشابهة في سياقها وأحداثها وإفادتها ؟ أعني : هل لون من التكرار الذي يغني قليله عن كثيره ؟

الجواب : لا ، لكل قصة في موضعها إيراد مقصود ، وأثر مغاير ، يحتاج إليه السامع لتكتمل به الحقيقة التاريخية والعناصر التربوية .

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، الشيخ محمد قزالي ص ٨١ - ٨٢

(٢) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ٨٩

ثم ضرب شيخنا المثل بقصص الذي دفعه إلى ذلك أن نقرأ - فيما حسب - عن قصور عقلي لا عن عدوان متعمد .

ونكر أن العقاد قال : " إن الصور تختلف للمكان الواحد عندما يتم التقاطها من زوايا مختلفة ، فصورة القاهرة من الجو ، غير صورتها من المقطم ، غير صورتها من النيل ، غير صورتها من الأهرام !! القاهرة هي القاهرة وما يراد إبرازه هنا غير ما يراد إبرازه هناك " (١) .

وتحت عنوان " القصص القرآني أداة للتربية " يتابع شيخنا الحديث قوله :-
" وقد قص القرآن الكريم علينا أهم أخبار الماضين ، وسواء كانت القصص مفردة أو مكررة فهي فسي السياق القرآني أداة تربية ومصدر توجيه ووعظ يدعم الفرد والجماعة ... قصص القرآن قطع من الحياة الماضية ، استرجعها الوحي الأعلى للتعليم والإعتبار .

في المسجلات الكهربائية المتداولة أشعر أحيانا بضرورة لإعادة الشريط الذي سمعته فأرتب الأزرار من جديد ، وأبدأ سماع ما كان ... لقد استطاع العلم استبقاء الصوت واستعادته . والقرآن الكريم عندما يقص ينفخ الحياة في القرون الهامدة فإذا هي حية تسعى ، نسمع فيها ضجيج العراك بين المحققين والمبطلين ، إن شريط الأحداث يتحرك ليعيد علينا مراحل مضت من تاريخ الدنيا .

نحن الآن نثير الأرض ونملأ اليوم الحاضر بما نشاء ، هل يتلاشى ذلك كله بمرور زمنه ؟ كلا ، إنه محفوظ يستطيع رب العالمين أن يعيده عندما يشاء ، وهو في كتابه الخاتم يعرض علينا نماذج منه في رواية صادقة ، لنرى من سبقونا في هزلهم وجدهم ، وغيرهم ورشدهم ، واعتدالهم وكبرياتهم ، واستقامتهم واعوجاجهم ، إنها روايات للواقع المضبوط لا مكان فيها لخيال :
﴿ كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا ، من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا ، خالدن فيه وساء لهم يوم القيامة حملا ﴾ (٢)

ولسنا الآن بصدد كتابة مفصلة عن القصص القرآني ، إنما نريد التماس بعض الأشفية الإلهية للعلل البشرية وذلك بالتركس في أحوال الماضيين ، ونقلهم في البلاد إلى أن استكانوا تحت الثرى .

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، الشيخ محمد الغزالي ص ٩٣

(٢) سورة طه : ٩٩ - ١٠١

ونحن نعلم أن الإنسان هو الذي يبدو في وسائله إلى أهدافه . مركز أبحاث الرسائل الجامعية .
فقه ، ولكن ذلك الاختلاف .

أجل ... إن غرام الشهوات في " هوليدود " لا يقل عن أمثاله من عشرات القرون في أسواق النخاسة أو مواطن البغاء مهما تقدم العلم ... ومخازي الاستعمار لا تقل عن أمثالها أيام جيروت الأباطرة والفراغة وإن لطفت الأسماء ورقت العناوين .

ومن الخطأ أن نحسب الدين تجميد للحياة عن نحو بدائي ، أو أن الشخص الساذج أدنى إلى الله من الإنسان الواعي اللبيب ، إن لباب الدين ، سناء الباطن ، ونضارة العقل - هكذا تعلمنا من كتابنا - وساكن القصر الديميث الأخلاق أحب إلى الله من ساكن الكوخ الفظ ، وابن الصحراء السائب الشهوات أبعد عن الله من ابن المدينة المضبوط الزمام البادي العفاف !!...

وقد نظرت إلى طبيعة الحضارة الحديثة فأحسست العجب ، إنها ترى ما فوق القمر ولكنها تعمي عما تحت قدمها ... تغزو الفضاء جرأة وتخرب الأرض جريمة !!
ونحن نؤكد أن الإرتقاء العلمي لا يغني فتيلاً عن الإرتقاء النفسي ، بل إنه سيضاعف الوسائل المعينة على الإسفاف والشرود .

وقديما قامت حضارات على تقدم علمي باهر ، وأعجبت الأمم المتقدمة بما لديها من معرفة وبما أحرزت من تفوق ، فأسرفت على نفسها وأساعت إلى غيرها وأصمت أذنيها عن دعوات المصلحين فماذا حدث لها ؟
﴿ ... فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فلما رأوا بأسنا ﴾^(١)

والحضارة التي تظننا سبقت سبقت بعيداً في ميادين العلوم وتضاعفت أرباحها المادية في البر والبحر والجو ، وهي بلا ريب واهية الصلة بالله ، ضعيفة الإعداد للقاءه وزهدا في الدين كله ، أن رجال الكهنوت غير جديرين بالاتباع ، وأن الفكر الإسلامي ليس له عارض ثقة ، ولا تابع صادق !! ومن ثم انطلقت الحضارة الغربية وحدها تخدم الأجناس التي حملتها ، تخدم جشعهم وكبرياءهم وعلوهم في الأرض .

(١) سورة شقر : ٨٢ - ٨٤

إن تاريخ المجتمع الإنساني ، بدأ لبناء أدم في صورة تميمة يسارعون إلى الشر أكثر مما يسارعون إلى الخير ، ويغلب نداء الشهوة نداء العقل ، وحب العاجلة حب الآجلة .

ولم يسكت القدر الساهر عنهم ، فقد بين الله - سبحانه - أنه أوقع بالمجرمين ما يستحقون وفصل القصص القرآني ما أصاب المتمردين على الله المشاقين لرسوله :

﴿ فكلما أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾^(١)

نعم ... إن أخطاء الأولين تتكرر الآن في الحضارة التي تقود العالم ، وتفرض عليه أساليبها في الحياة !!

وظاهر أن رذائل الترف والبطر والجحود والأثرة ، تسود العالم الأول وأن رذائل الفرعنة والمسكنة والبلادة الفكرية والنفسية ، تسود العالم الثالث مع ذهول عن الله يلف الجميع ، وإخلاق إلى الأرض وعكوف على ملذاتها ... أما الدين قلما يتجاوز المظهر إلى الجوهر .

إن العبارة التي قالها العربي الأمي (ربي بن عامر) لقادة فارس : " جئنا نخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الإسلام " ، هذه العبارة الوجيزة هي خلاصة مواثيق حقوق الإنسان وحقوق الشعوب التي يمضغ كلماتها أكبر ساسة العالم المتقف الآن .

والمعنى الذي تتضح به هذه العبارة الشريفة ، والذي فاه به رجل بدوي دون تكلف يعجز عن فهمه والتصريح به رجال دين محترفون ، كما يعجز عن الإرتفاع إلى مستواه رجال حكم أكلوا شعوبهم ، وكانت سيرتهم الاقتصادية والسياسية تجسيدا للوثنيات السياسية التي ابتعد العالم الراقي عنها .

أما أقطار العالم الأول فإن الدين انجر فيها إلى مهانة الشهوات الطافحة ، بل لقد انهزم أمام ضراوتها ، وذلك لها العقبات .

(١) سورة العنكبوت : ٤٠

وإن عجبني لا ينقضي من موافقة الكنيسة الإنجيلية في إنجلترا على إياحة اللوطة - بشروط - وإقرار القوانين التي صدرت عن مجلس العموم واللوردات ... والقوم يعلمون إن الله نمر على قوم لوط مدينتهم وجعل عاليها سافلها لهذا الشذوذ الذي اقترفوه ، كما أن عجبني لا ينقضي من بابا الفاتيكان الذي انطلق في أفريقيا يهاجم تعدد الزوجات الذي أباحه الإسلام ، وهو يعلم أن البكارة تختفي من الفتيات في الغرب قبل بلوغهن سن الزواج ، إن ذلك شيء غير مقلق ، المقلق هو تقدم الإسلام في أفريقيا !! وتجب محاصرة عقيدة التوحيد بكل الوسائل !!

والحق ... أن الدين يقوم على حقيقتين رئيسيتين :-

أولاهما : معرفة الله والشعور بأن البدء منه والمصير إليه .

والأخرى : الالتزام بهديه والخضوع لأمره ونهيه ، والتقيد بمواثيق السمع والطاعة النازلة منه ذلك هو معنى الإسلام ، وهو دين الله من الأزلى إلى الأبد ، وهو الذي بلغ الرسل كلهم أصوله وقادوا أممهم به. (١)

﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ﴾ (٢)

وظل شيخنا يسائر ركب التاريخ فوصف موقف المسلمين من رسالتهم وبين أن دراسة التاريخ فريضة دينية إلى جوار أنه فريضة إنسانية لئلا يؤدي الجهل بهذه الدراسة إلى هذا الذهول المعيب الذي نعيش فيه ، ثم وقف على أخطاء المؤرخين التي زيفت كثيرا من الحقائق في التاريخ البشري .

ولم ينس الهزائم الثقافية المرة التي أنشأت أجيالا ذات عوج نفسي ، مع ما صاحب ذلك من فواحش سياسية لحكم الفرد المستبد في الواقع الأليم ، وخلص بعد ذلك إلى أن الإسلام أعظم موروث العالم. (٣)

٤ - البعث والجزاء :-

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ١٠٠ - ١٠٨ بتصرف ولختصار

(٢) سورة آل عمران : ١٩

(٣) انظر : المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ١١٤ - ١٣٨

وهذا هو رابع المحاور الخمسة التي يدور عليها القرآن الكريم وتحتة يقول شيخنا^(١):
" عندما خلق الله أبناء آدم لم يدعهم يعيشون في الأرض عدد سنين ثم يفنون ، وتبقى لهم نكسرى أو لا تبقى ... كلا إنه أوجدهم ليخلدوا .

والموت الذي يعترض محياهم على ظهر الأرض هو رقة مؤقتة ، أو نقطة فاصلة بين مرحلتين من الوجود ، كانت الأولى للغرس والأخرى للحصاد .

وخلال لغوب الأحياء في ميادين الحياة وسكون الموتى تحت صفائح القبور ، يقع حادث كوني واسع المدى ، وصفه الله - سبحانه وتعالى - بقوله :

﴿ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ، قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ، إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴾^(٢)

لما الذين أحسنوا الغراس ، واستعدوا للقاء الله فإنهم يقولون : ﴿ أفما نحن بميتين ، إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ، إن هذا لهُو الفوز العظيم ﴾^(٣)

وأما الذين ظنوا العيش بين المهد واللحد ، هو الوجود الأول والأخير وجحدوا ما بعده فلهم شأن آخر :
﴿ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبنس المصير ، إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور ، تكاد تميز من الغيظ ﴾^(٤)

وقد أكثر القرآن الكريم الحديث عن الدار الآخرة وحسابها الدقيق ، ونعيمها المقيم ، وعذابها الدائم ، وأكد للبشر أن حياتهم فوق التراب فترة صغيرة وأن استغراقهم في الأحزان والأفراح خدعة كبيرة ، وأن المسلك الوحيد الرشيد هو الإيمان بالله واليوم الآخر .

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ١٤٣ - ١٥٨ بتصرف واختصار

(٢) سورة يس : ٥١-٥٣

(٣) سورة الصافات : ٥٨-٦٠

(٤) سورة الملك : ٦-٨

وعندما كان الجدل المر يشتد مركز أبحاث الرسائل الجامعية : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾^(١).

نعم ... إن خط الحياة مطرد مستمر ، والإحساس بأن الموت عدم إحساس كاذب !! وأغلب الناس لا يتخذ الأهبة للقاء الله ، بل ينساق وراء مآربه بطيش ، ويحتجب داخلها فلا يبصر أي عقبى : ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ، يسأل أيان يوم القيامة ﴾^(٢) ، من أجل ذلك تكرر ذكر البعث والجزاء في كتاب الله لا تكاد تخلو منه سورة .

ولا ريب أن الإيمان بالآخرة يعين على مشقات التسامي ، وأعباء التزكية ، وعندما غضبن نساء الرسول لما يلاقين من حرمان وجدن في الدار الآخرة خير عزاء : ﴿ إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما ﴾^(٣)

وأهل الإيمان الواعي يعرفون أن المستقبل الحقيقي يشمل الأرض والسماء معا ، ويتناول القليل الباقي من العمر - ولو كان عشرات السنين - والطويل الباقي من الحياة الأبدية بعد الرحيل من هنا !! وهذا ما يلفتنا القرآن إليه عندما يعبر عن الآخرة بالغد في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ﴾^(٤)

وذلك ما عناه الشاعر العاقل عندما قال :

إلا التي كان قبل الموت يبنها !

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها

بيد أن بناء الآخرة يتطلب أخلاقا معينة ، فمن استحل أخذ رشوة أو غضب حق أو أكل حرام فلن يجد إلا منقلباً شتوماً.

(١) سورة الزمر : ٣٠ ، ٣١

(٢) سورة القيامة : ٥ ، ٦

(٣) سورة الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩

(٤) سورة العشر : ١٨ ، ١٩

وقد وجدت أن مسا أصاب جميع
يقع في مخالبتهم شيء إلا ابتلع
لحرام أو ابتغاء لحلال ، ما يفرقهم شيء عن وحوش الغاب إن هؤلاء لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
ويستحيل أن يتغير سلوكهم إلا بإيمان صحيح .

لما الموقنون بالآخرة فلهم سيرة أخرى ، إنهم يتقون الشبهات استبراء لدينهم وعرضهم ، ويكثرثون
بالآخرة أشد من كثرات غيرهم بالدنيا وهم يفهمون بحق قوله تعالى :
﴿ وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾^(١)

على أن الشائع بيننا أن للدنيا أعمالا كالاحتراف وتناول الطعام وأن للآخرة أعمالا كالصلاة وتلاوة
القرآن ، وأن لهذه أوقاتا ولتلك أوقاتا أخرى !

وهذا التقسيم موضع نظر ، بل هو عند التحقيق تقسيم صوري لا يؤبه له ، فمجرى الحياة واحد
وزمانها واحد ... والصلاح والطلاح يعودان إلى حركة القلب ووجهته ، فمن طعم ليقوى على طاعة
الله فهو صالح ، ومن صلى ليكسب بين الناس مكانة فهو طالح ، ولا قيمة للظواهر والعناوين ، إنما
القيمة لاتجاه الحياة والمحور التي تدور عليه .

ونحن نأخذ بعموم قوله تعالى : ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كذبوا بآياتنا يمسه العذاب بما كانوا يفسقون ﴾^(٢)

حقا ... إن التفريق بين شئون الدنيا وشئون الآخرة مع إطراح حركة القلب كان من وراء التخلف
لشائن الذي أزرى بأمنا وأعجزها عن نشر رسالتها بل عن نصرتها في دارها .

ثم إن الناس بعيد يعتربهم ذهول ودهش ، ويخيم عليهم صمت يقطعها تساؤل الحيرة بين الحين والحين:
﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ، يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا ﴾^(٣) ،

(١) سورة الضحى : ٦٤

(٢) سورة الأعمام : ٤٨ ، ٤٩

(٣) سورة طه : ١٠٢-١٠٣

(١) ﴿هـ﴾

ية كلها من بدء الخليقة إلى

﴿يومئذ يتبعون الداعي لآعو﴾

إن مواطن الحساب المرتقب يـ

انتهاه الكدح فوق هذا الثرى ؟

﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، وما تؤخره إلا لأجل معدود ، يوم يأت لا تكلم نفس

إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾ (٢)

إن الحياة الدنيا ميدان اختبار وليست موعدا لإعلان النتائج وإقرار العدل ، وفي ذلك الإمتحان المعقد
الثقل ، قد يقتل أنبياء ويصاب شهداء ، وتنتشر شائعات على أنها حقائق ، وتدرس جهالات على أنها
علم ، ولا بد من يوم تعود فيه الاستقامة لهذه الموازين المختلة ، وتصح فيه الأوضاع السقيمة ... لا بد
من يوم القيامة .

﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره﴾ (٣)

المحزن أن أكثر الناس مصروف عن هذه الحقيقة ... أكان إبليس ذكيا عندما تتبا بان أولاد آدم
سيهتمون بالعاجلة وينزون الآخرة ؟ إنه توقع منهم ذلك ، قال تعالى :

﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ، وما كان له عليهم من سلطان إلا
لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ﴾ (٤)

كيف يتم الحساب الإلهي وكم يستغرق ؟ لا ندري بدقة ، إن القرآن الكريم ذكر الخلاصات المهمة التي
ينبغي أن يعرفها المؤمنون !!

وقد جاء في السنة ما يتطلب إمعان النظر وإحسان الترتيب وتمحيص المرويات ، وربط ذلك كله بما
قال الله في كتابه .

وقد سئل علي بن أبي طالب : كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم ؟ فأجاب : كما يرزقهم على
كثرتهم !!

(١) سورة طه : ١٠٨

(٢) سورة هود : ١٠٣-١٠٥

(٣) سورة الزلزلة : ٦-٨

(٤) سورة سبأ : ٢٠-٢١

أخرى بالويل ! الصيحة
إني ظننت أنني ملاق

في ذلك اليوم الفذ تسمع صيحا
الأولى لمؤمن جدلان طروب

حسابيه ، فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ﴿^(١)﴾

والأخرى لكافر نادم كالح الوجه حزين يقول : ﴿ ياليتني لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه ، يا ليتها كانت القاضية ، ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه ﴾^(٢)

ثم ألحق شيخنا - بعد ذلك - تفسيراً موضوعياً وآخر تحليلياً لسورة الواقعة فيه مزيد من التفصيل والتوكيد للمعاني التي نكرها في هذا المحور ، ففي التفسير الموضوعي تكلم بإيجاز عن فاتحة السورة بما يدل على معالمها ، وبدايتها بحديث وجيز عن انتهاء العالم وبدء الحساب ثم نكر صنوف الناس بعد البعث ... وقد نكرت السورة بعد ذلك خمسة أدلة على أن البعث حق .

وفي التفسير التحليلي لسورة " الواقعة " شرح ما فيها من وصف للنعيم ووصف للجحيم ، وبين أن هذا نموذج لعشرات من أمثاله في القرآن الكريم ، والذي تتفرد به هذه السورة أنها قسمت أهل النعيم على قسمين :-

الأول : السابقون بالخيرات ،

والثاني : الفائزون بقدر راجح من الحسنات !

أما من بقى فهم أصحاب الشمال ... ثم ربط آخر السورة بأولها ولخص مجملها في خاتمة حديثه^(٣) .

(١) سورة العلق : ١٩ - ٢٢

(٢) سورة العلق : ٢٥ - ٢٩

(٣) قظر المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ١٥٨ وما بعدها

وهذا هو المحور الخامس والأهم ، وقد سبق لشيوخنا أن بسط ما يقال في مجال الأخلاق العملية في كتابيه " خلق المسلم " و " جدد حياتك " وبسط - كذلك - ما يقال في مجال التربية الروحية في كتابيه : " الجانب العاطفي في الإسلام " و " ركائز الإيمان بين العقل والقلب " .

أما في بابنا هذا فقد تحدث عما يحب الله سبحانه وتعالى وعما لا يحب وعلل ذلك بقوله (١) :
 " فإذا كنا مؤمنين بالله راغبين في مرضاته أسرعنا إلى فعل ما يحب وترك ما يكره ، وسنلاحظ عند السرد أن ما يحب الله وما لا يحب ينصب على أمور تتسم بالعموم ، وأن الإنسان عندما يستصحبها يحقق زكاة نفسه ورفعته جنسه في آفاق الحياة كلها ، فليس الأمر عبادة داخل مسجد بل عبادة في كل مكان .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾

أول ما قرأت في المصحف الشريف ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٢) وبعد سطور قليلة ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) ... هذه قوانين عامة يجب أن تضبط مسالك الناس جميعاً .

أجل ... إن الأمة ألفت ألوان الاعتداء سياسية كانت أو اقتصادية حتى أصبح الأمان سرايبا لا يبلغه أحد .

فلنسمع إلى حديث نبينا ﷺ في هذا الشأن كما رواه البيهقي بإسناد جيد (٤) - قال : " إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفلحش والمتفحش ، وإياكم والشح فإن الشح داء من كان قبلكم فسفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " .

إن هناك مجتمعات تنتمي إلى الإسلام ، تُهدر فيها الحقوق ، وتضيق فيها الواجبات ويتقدم فيها الشطار والمكرة ، ويتأخر فيها أولوا المروءات والنهي ، فما قيمة هذا الانتماء وما جدواه !؟ حيث تغيب منابع

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ١٨٦ - ١٨٧

(٢) سورة البقرة : ١٩٠

(٣) سورة البقرة : ١٩٥

(٤) أخرجه الحاكم في مستدرکه-كتاب الإيمان- باب الظلم ظلمات يوم القيامة الخ ١٠٠٠٠ /١-١٢- من حديث أبو هريرة وله شاهد صحيح من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه - أخرجه مسلم - كتاب البر والصله والأداب - باب تعريم الظلم - ١٩٩٦/٤ - حديث ٥٦ .

التربية الدقيقة ، تملك غرائز والمغلوب . السباع ، وتظالم الغالب

ونكر الشيخ أحاديث تضمنت صوراً من الاضطراب الاجتماعي تشبع على أثر اضطراب الأمن وكثرة الاعتداء على الحقوق .^(١)

الإحسان :

وانتقل شيخنا بعد ذلك - إلى عنصر آخر من عناصر التربية الواعية أخذه من قوله تعالى : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾^(٢)

والإحسان في صورته العليا صفة رب العالمين ، لأن الإساءة تنتج عن الجهل والعجز والقصور وما إلى ذلك من أوصاف مستحيلة على الله !

إنه سبحانه تحدث عن صنعه للكون الكبير فقال : ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون ﴾^(٣) وطلب من الناس أن يفتشوا عن مأخذ في هذه الصناعة الباهرة يشينها وهيئات : ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير ﴾^(٤).

وراء ظلمات ثلاث من البطن والرحم والمشيمة ترى القدرة العليا تتشئ الإنسان خلقاً من بعد خلق ، وتقيم بناءه خلية مترابطة مع خلية وجهازاً فوق جهاز حتى يستوي آخر الأمر إنساناً سوي التكوين والتصوير ... من فاعل هذا ؟

﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾^(٥).

والله سبحانه عندما نشر أبناء آدم فوق الثرى ، وناط بهم رسالة الحياة ، كلفهم - كي يكونوا ربانيين - أن يحسنوا العمل وأن يبلغوا به درجة الكمال ... وإذا غلبتهم طباعهم الضعيفة فلم يصلوا إلى هذا

(١) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ١٨٧ - ١٩٠ بتصرف واختصار

(٢) سورة البقرة : ١٩٥

(٣) سورة النمل : ٨٨

(٤) سورة الملك : ٣ ، ٤

(٥) سورة السجدة : ٧

الشأن وكرروا المحاولات ولم بأعمالهم درجة الكمال المستطاب

جاهدون حتى يبلغوا

قال رسول الله ﷺ كما روى مسلم في صحيحه^(١) : " إن الله كتب الإحسان على كل شيء ... " .

ثم وازن الشيخ بين تعاليم الإسلام الحنيف وواقع المسلمين الأليم فقال : " وفي هذه الأيام العجاف أرى جماهير من المسلمين أبعد أهل الأرض عن حقيقة الإحسان ببيوتهم رديئة ، وطرقهم رديئة ، وسيرهم رديء وإذا صنعوا سلعة خرجت من بين أيديهم دون غيرها مما يصنع الناس ، وإذا أداروا عملا استغرق الكثير من الأوقات والجهود ، ولم يبلغوا به درجة الإكتمال الذي يحققها من بذل جهدا لضعف ووقتا أقل !! كأنهم من طينة غير طينة البشر خلقوا .

هؤلاء الناس في انتمائهم الديني ريب كبير ، ولكي يعودوا إلى الإسلام يجب أن يعاد تشكيلهم العقلي والخلقي حتى إذا باشروا عملا ما أقبلوا عليه بقواهم المادية والأدبية كلها ، فخرج سليما كريما ... لا سيما ونحن في حضارة صناعية تقاس فيها الأبعاد " بالميليمتر " أو بما دونه ، ولا تقبل فيها المجازفات والمساهمات والمصادفات العمياء .

ثم ساق شيخنا - بعد ذلك - عدة معان للإحسان ، وقرر شمولية معنى الإحسان ليستوعب الفرد والمجتمع والدولة ، ولأنهم لن تقوم تربية راشدة إلا إذا غرسنا معنى الإحسان في النفوس على أنه من محاب الله تبارك وتعالى^(٢) .

وقد أكثر الشيخ في هذا المحور من تصحيح مسلك التدين المغشوش الذي يسيء فهم الحقائق المقررة جهلا أو يهتم بالمظهر دون الجوهر فيفسد أكثر مما يصلح ... فيقول في حديثه عن الفساد :
" وهناك فساد إداري بالغ الأضرار في العالم الثالث فالرجل يتولى المنصب العام فيحسبه متعة خاصة أو جاها شخصيا ولا يعلم أنه مسؤولة جسيمة وأمانة صعبة ومن ثم لا يتيقظ لمطالبة ولا يسهر على مراقبته ، وقد رأيتني في ميدان الإدارة أن الرئيس والمرؤوس يختالان على الهرب وقد يشتد غيظي عندما يتذرع البعض بإقامة الصلاة على ترك الأعمال ساعة أو نصف ساعة قد تصاب فيها الآلات بالعطب أو الإنتاج بالنقص .

(١) أخرجه مسلم - كتاب الصيد والذبح - باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة - ج ٢ / ١٥٤٨ - حديث ١٩٥٥ .

(٢) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ١٩٠ - ١٩٣ باختصار

وفي أقطار أخرى يتنافس العام
لما نحن ففي واد آخر من الغفلة

والإدارة فن يقوم على النشاط والذكاء والانتباه والإبداع ، وقد ألهم العرب هذه الخصال فغلبوا بها دولاً ذات تاريخ عريق .

والذين درسوا خطة خالد بن الوليد في معركة اليرموك ، أو خطة الصحابة في معركة الأحزاب يعجبون لتفوق المسلمين الإداري .

أما اليوم فإن أساليبنا في إدارة الأعمال ، لا تتبع من فكر ثاقب ، أو عزيمة منعددة ، فما قيمة إيمان يفقد هذه العناصر ؟

الرسالات العظيمة تتجح عندما تجند لها المواهب العظيمة ، وهذه المواهب تبدأ بتعود النظام وتنمية الملكات ، واستكشاف القدرات والخبرات ، والتجاوب مع فطرة الله في الأنفس والآفاق ، والكرامية الشديدة للتبذل والعجز ، والكرامية الأشد لإنشاء الفساد ، ورؤية الفوضى تنس أصابعها في كل شيء فتجعل العامر يلحقها ، والدين تواكلا وتخلقا وانهزاما أمام إلحاد مقدمات وشبهات جموح ... !!^(١)

آلم شيخنا أن ينتسب إلى الدعوة من لا يحسن الفهم ويفسد العرض ... وعمل على تبرئة ساحة الإسلام من إجازة الاغتيال إذ هو خيانة وغدر !

يقول شيخنا : " بعد معركة بدر التي انتصر فيها الإسلام على الوثنية ركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم على محاربة النبي ومن معه ... وكان الرجل في خصومته فاجرا ، فرثى قتلى المشركين وحث على الثأر لهم !!

ثم عاد إلى المدينة التي يحفظ كيانها عقد مبرم بين المسلمين واليهود ، فأمر الرسول ﷺ بقتله ، فقتل وأخذت فنته .

ومن أجل هذا شعرت بدهشة عندما قابلني الأستاذ حمزة دعبس (رئيس مجلس إدارة جريدة النور القاهرية) وقال لي : " إن رئيسا لإحدى الجماعات الإسلامية يطلب عقد مناظرة حرة بينه وبين كبار

(١) المحاور الخمسة لقرآن الكريم ، ص ١٩٤ - ١٩٥ باختصار وتصرف بسير

علماء الأزهر في أمر مهم " . . . وقبل أن يتم كلامه ، قلت : " يا صديقي هذا جهل بالكتاب والسنة والتاريخ ! " .

مصيبة هؤلاء أن أحدهم يفتح كتاب حديث ثم يقرأ فيه خيرا مبتورا لا يدري ما قبله ولا ما بعده ، ثم يصدر حكما مكنوبا على الله ورسوله .

لما علمت أن الله لا يحب الخائنين ، وأن الوفاء فرض مع الكافر والمؤمن على السواء وكعب هذا نقض عهودا ، وأعلن حربا ، وشرع يلم فلول الكفر من هنا ومن هنا لحرب الإسلام فأصدر رئيس الدولة - وهو هنا رسول الله - حكما بقتله ، ونفذ الحكم العدل ، واختقت بعد مقتله رؤوس الفتنة ، فكيف يوصف هذا الحكم بأنه اغتيال ؟

أكان يراد أن يدخل كعب المدينة مارا بأقواس النصر ؟ إنه رجل خائن غادر نال جزاءه ... ودعك من هؤلاء المتحدثين عن الإسلام وهم جهلة ، إن تصدرهم للفتوى خيانة للدعوة .

قال الأستاذ الحمزة دعيس : " وهذا المتحدث يرى سل السيف على الحاكم الجائر !! قلت : " لعمرى أن الحاكم الجائر جدير بالتأديب ، ونحن أشد منه بغضا لهؤلاء الظلمة ولكننا نرفض السفه والطيش .

والذي يريد أن يخوض باسم الإسلام معركة لم يستعد لها الإسلام ، امرؤ مشنوم ، يخطط لهزيمة الدعوة وإظلام مستقبلها !!

إن النبي ﷺ وأصحابه في عمرة القضاء ، بعد عشرين سنة من البعثة طافوا بالكعبة وحولها مئات الأصنام ما كسروا صنما ولا حاولوا ذلك !!

أهو حب للأصنام ، كلا إن المعركة مع عبادها لم تحن بعد ، وعندما تحين يؤدي الرجال واجبهم ، ثم أين السيف الذي يريد سله أولئك الجاهلون ؟ لعلهم يفكرون في شرائه من الشرق أو الغرب !! ... ما أخرج هؤلاء إلى تعليم وترشيد ، وتفتيق أذهان ، وفتح آفاق جديدة ، غير ما بالفون .

إنني أكره الجهل والكبر ، وأؤمن بالله مع فكر نكر وبصيرة .
 أو يلقى قبولا عند الله ، على عكس الإيمان الذي يبدأ بعقل واع ، وقلب يرنو إلى ربه خاشيا راجيا ،
 والمؤمن الذي يظفر بهذه الإستارة قوة تدعم الخير وتقهّر الشر ...

ليس الإيمان والكفر نظرت عائمة أو مشاعر عارضة ... أنهما في دنيا الناس لرتباط بالله وهدايتـه ،
 أو انقطاع وتمرد .

والحضارات والدول تقوم على هذا أو ذلك ! نعم هناك أحوال فردية يعتل فيها الإيمان أو يصح ،
 ويكتف فيها الكفر أو يرق ، ولا نريد أن نقف عند هذه الأحوال ، فما يخرج أحد من الدنيا إلا وقد تحدد
 موقفه من ربه ، ومكانه بين قومه .

والقرآن الكريم يعرض الكفر والإيمان من خلال السلوك الظاهر ، والتحاق الإنسان بحزب الله أو
 بحزب الشيطان ... ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾^(١) والعاقبة لا
 محالة للمتقين .^(٢)

وظل شيخنا يدور في هذا المحور حول أي التنزيل العزيز ناظما ما تناثر في ثناياه في مجال التربية
 الإسلامية وجامعا ما تفرق في طواياه في ميدان التشريع الإلهي ليقدّم بعد ذلك الصورة المشرفة
 للإسلام الحنيف من خلال تفسيره الموضوعي لهذه الآيات المحكمة .

ثم ذيل شيخنا خاتمة الكتاب بسرد الآيات الجامعة لمحباب الله ومساخطه ، تحت سبعة عشر عنوانا
 جامعا تحت كل عنوان الآيات المناسبة له ، دون شرح أو بيان .^(٣)

ولعل شيخنا أراد من هذا أن يأخذها القارئ بعقل واع وقلب صاف فيكون الأخذ على هذه الهيئة أجلى
 من أي شرح وأحلى من أي بيان .



(١) سورة آل عمران : ٣٢

(٢) المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، ص ٢١٥ - ٢١٧ بتصريف واختصار

(٣) نظر المرجع السابق ، ص ٢٢٢ وما بعدها ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٧ .

الأحكام الفقهية في تفسيره ومناقشتها

من المعروف أن شيخنا الغزالي لم يشتغل بفقهاء الفروع ، ولم يؤلف كتابا مما يدخله الناس في اختصاص الفقه ، وقد كتب في جوانب الثقافة الإسلامية المتنوعة ، من العقيدة إلى الأخلاق ، إلى السيرة ، إلى التفسير ، ولكنه لم يؤلف كتابا خالصا في الفقه وأصوله .

غير أنه إذا أريد بالفقه : فهم مقاصد الشريعة وكتباها ، ورد الجزئيات إليها ، وإبراز القضايا المهمة من خلال الأدلة القرآنية والنبوية ، فللشيخ هنا فقه يذكر ويقدر وهو الذي يعبر عنه في تراثنا (فقه النفس) .

وهو إنما دخل إلى الفقه من باب الدعوة ، فهو لكي يبين وجهة الإسلام وعظمته وعدله وسموه ، لزمه أن يتحدث عن قضايا كثيرة تتعلق بالفقه والتشريع .

ولعل هذا الجانب هو الذي جر عليه سخط كثير من الجامدين والمتعصبين ، مثل آرائه حول المرأة والغناء والموسيقى وإعفاء اللحية ، وتقدير الثياب والعلاقات الدولية في السلم والحرب .

وأية ذلك أنه في السنوات التي قضاها مستشارا ورئيسا للمجلس العلمي بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر ، كان يستفتى في أمور كثيرة كلية وجزئية فيجيب عنها ما أتيج له الوقت ، فيقنع ويشبع السائل والسامع هذا وقد استطاع شيخنا أن يوظف الفقه لخدمة الدعوة توظيفا لا مزيد عليه .^(١)

ومن ثم فإن فقه الغزالي يقوم على احترام جميع المذاهب الفقهية المتنوعة وغير المتنوعة ، دون تعصب لواحد منها . ويرى أئمة الفقه قما عالية في رسوخ العلم وفي تقوى الله تعالى . وفي الصلابة في الحق والشجاعة في الرأي وينكر على بعض الشباب الأغرار طعنهم الفسج في هؤلاء الأئمة

(١) انظر الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن ، للدكتور يوسف القرضاوي ، ص ١٥١ بتصرف ، ط الأولى دار الوفا

رسة الأثر ومدرسة الرأي

(١)

واجتهاداتهم ، كما يحترم شيخنا

كما اصطلاح عليهما ، وأن الأثر

غير أن شيخنا الغزالي رأى أن فقه العبادات وجوانب من فقه المعاملات اتسع عندنا اتساعاً أكثر مسن
اللازم وأن الإستبحار التشريعي في أمور العبادات كان أكثر مما يطيقه الفرد المسلم وقليل من هذا كان
يكفي الناس .

ومع أن الفقه يمثل على الأقل ٥٠ % من المكتبة الإسلامية إلا أننا مصابون بضمور في بعض
المعاملات عندنا على سبيل المثال نحو اثنين وخمسين كبيرة من الكباتر لم توضع لها عقوبات كالتعامل
بالربا أو التعصب أو الفرار من الزحف أو أكل مال اليتيم أو الغش أو لما يقع من مخالفات كثيرة ،
فالحذود التي وضعها الله تعالى لا تغني عن تشريعات ضابطة في الميدان الاجتماعي ، ومع أنها
عقوبات تعزيرية لكنها لا بد من تنفيذها بصورة محكمة .

حقاً . . . إن قوانين العمل والعمال لا تزال صفراً عندنا ، ونستوردها من الخارج ، وفي إصابات
العمل وفي حقوق العمال ، كما أن القوانين الإدارية لا تزال الآن مجلوبة ، ويقول : " لا زلنا فقراء
جدا في الفقه السياسي بمعناه الإداري والدستوري .

وهذا قد يدعو إلى شيء من التخبط في الرؤية السياسية ، لأنها لم تزل عبارة عن مبادئ عامة لم
تترجم تاريخياً إلى فقه ، وبرامج تشكل خصوبة في التصور عند الفرد المسلم ، يمكن أن يتعامل مع
الحياة من خلاله " (٢) .

أجل ... لقد كان شيخنا في رصده لواقع الفقه يضع أمام العلماء والباحثين جوانب التحدي التي تحتاج
إلى اجتهاد جديد يحل المشكلات ويحاول إلى جانب ذلك أن يبحث عن أسباب الضمور فسي الجوانب
السياسية والإدارية ، ويرجعه إلى انفصال السلطان عن القرآن في التاريخ الإسلامي أو القيادة الفكرية
والقيادة السياسية إذا صح التعبير .

كما كان يرى شيخنا أن هناك انفصالا بين الفقه التشريعي والفقه التربوي كما انفصل ما يسمى بعلم
القلوب ، أو علم التصوف أو علم التربية عن علم الشريعة انفصالا مرا والتربية أساس في تكوين الأمم

(١) انظر الشيخ الغزالي ومنهجه في الفقه ، للدكتور علي الصوا ، ص ١٥٥ ، مطبوعة ضمن المعطاء الفكري للشيخ الغزالي

(٢) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، للشيخ محمد الغزالي ص ١٢٣ . دار نهضة مصر . ط الأولى ١٩٩٦ .

، لأنها لا بد منها كي تكون النفا في المجتمع المسلم .

وشيخنا في مجموع كلامه لا يلقي اللوم على طرف واحد بل يرى أن كلا من القيادتين الفكرية والسياسية لهما نصيبهما من الخطأ ، لذلك يجب أن تعقد صلحا بين هاتين القيادتين وما لم يعقد الصلح بينهما فإن التخلف والإرتكاس سيستمر .^(١)

وقد تناول شيخنا بعضا من الآراء الفقهية التي تمس واقع الناس اليوم ، وبخاصة تلك التي تدور في محيط الأسرة ، وربما كانت له رؤية مستقلة فيها وقد يوافق عليها أو يخالف فيها ... بيد أنها تعكس روح التجديد التي عاش صاحبها داعية لها .

وإليك - أخي الكريم - هذه الآراء بشيء من التفصيل :-

١- حق الخلع للمرأة يكافئ حق الطلاق للرجل :-

يقول شيخنا : " لقد قال الله تعالى ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾^(٢) ظاهرة في تبادل الحقوق والواجبات ، وفي تقرير درجة رياسة الرجل ، مع إتمام هذا التبادل ، لكنني لاحظت في بعض الأوساط الهابطة أن المرأة عليها وليس لها وأنها تعامل بامتهان وغلظة ، وأنها قد تاكل الفضلات في البيت ، وتذهب أطايب الطعام إلى غيرها ... كيف تتسبب هذه الجلافة إلى دين من الأديان بله الإسلام ؟

وأعرف أن هناك نسوة شريرات يملأن البيوت متاعب ، والحل لهذه المشكلات كلها لا يقوم به رجال الشرطة ، بل يعتمد على حسن التربية والتزام التقوى ، والوقوف عند حدود الله ...

إنه لا بد من علم واسع وخلق كريم وتربية أصيلة ، وأهل لهم عدل وإنصاف ، وأمة قولمة بأمر الله ...

وقد رأيت أن أجهزة التبشير ترقب العالم الإسلامي بمكر ، وتحاول اختراقه من ثغرات تتوهمها أو تجدها ، وقد رأيت أن أعدادا من المسلمين تهين النساء ، وتستكثر عليهن ما أتاهن الشارع الحكيم فسعت إلى تنصير المرأة ، وإشاعة أن المراد إنقاذها من جور الإسلام !!

(١) نظر الشيخ الغزالي ومنهجه في الفقه ، للدكتور علي الصوا ، ص ١٥٨-١٥٩ بتصرف .

(٢) سورة البقرة : ٢٢٨

كنت في أحد المجالس فقلت : " إن حق الخلع للمرأة يكافئ حق الطلاق للرجل ... وإذا وجدت امرأة لا تطيق زوجها بغضا لأسباب تبديها أو تخفيها ، وعرضت أن تعطيه ما ساق إليها من مهر ، فما المانع أن يجيبها القضاء إلى ما تبغى ... ؟ "

قال أحد السامعين : " للقاضي حق التطلق للضرر " ... قلت : " هذا شيء آخر ، لأنها لم تشك ضررا وإنما تذكر أنها تكره البقاء مع رجلها لأمر ما وتريد تعويضه عن كل ما أنفق عليها ، فلماذا نبقيا معه ؟ " قال : " هذا لا يجوز ما دلم الرجل راغبا عن الطلاق " . قلت : " بل هو جائز للقاضي أن يتصرف بالصلح أو الخلع " .

وعلمت أن الرجل يتهمني بما أنا منه براء ، لأنه غير فقيه في الكتاب والسنة !! وويل للعالم من الجهال .^(١)

وهذا الذي قرره شيخنا استظهره بعض فقهاء العصر كما هو ثابت في كتبهم ... جاء في هامش الأحوال الشخصية :-

"اختلف الفقهاء اختلافا كبيرا في جواز الخلع وطريقته ، فالحنفية أجازوه بلا قيد ولا شرط وجعلوه طلاقا بآثنا وذلك هو رأي الجمهور ، ومذهب الشافعي الجديد ، وقال أحمد بن حنبل وهو رأي الشافعي في القديم إن الخلع فسخ لا ينقص عدد الطلقات ...

والظاهرية قالوا إن الخلع لا يكون إلا كان النشوز من جانبها ، لأنه إذا كان من جانبها فإن ذلك يكون واقعا تحت النهي في قوله تعالى : (ولا تمسكوهن ضارارا لتعتدوا)^(٢) ويحرم عليه أن يأخذ أكثر مما أعطى إذا كان النشوز من قبلها ، ويحرم أخذ أي شيء إذا كان من قبله وقيل غير ذلك .

ولعل أظهر الآراء هو رأي الظاهرية ، إذ يجعل الخلع في حال ما إذا كرهت المرأة للرجل كما أن الطلاق يكون ما إذا كره الرجل المرأة ، فهو شرع حقا للمرأة في مقابل حق الرجل في الطلاق ، ولو

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم للقرني ، ص ٢١ - ٢٢

(٢) سورة البقرة : ٢٣١

يقول الأستاذ الدكتور بدران أبو العينين بدران :

" الطلاق ملك للزوج وحق من حقوقه ولكن قد يحدث أن تبغض المرأة زوجها أو تلقى منه ما يشق عليها تحمله وتتضرر من بقاء الزوجية واستمرارها بينها وبين زوجها ، لأنه لا يوفيهما حقوقها الشرعية ، أو لا يقوم بمطالب الزواج ، إذا حدث ذلك كله أو بعضه فقد جعل الإسلام للزوجة مخرجا ، وفتح لها باب الخلاص ، وأثبت لها حق الالتجاء إلى القضاء طالبة تطليقها ، وقد لا تريد المرأة أن تذهب إلى ساحة القضاء ، فشرع لها الإسلام طريقا آخر للخلاص وهو أن تقدم لزوجها شيئا من المال تقنّدي به نفسها ، وتتخلص به من رابطة الزوجية ، وتعوض على الزوج ما أنفقه في سبيل زواجه ، فهذا الطريق الثاني هو المسمى عند الفقهاء باسم الخلع وقد ورد نكره في القرآن الكريم في قوله ﷻ : ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتما ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾^(١)

والخلع في الشرع : إزالة ملك النكاح الصحيح بلفظ الخلع أو بما في معناه كالمبارأة^(٢) في مقابل بدل مع قبول الزوجة .^(٣)

هذا ويحسن بيان أن الخلع يختلف عن الطلاق على مال من ثلاثة وجوه :

١- الخلع تكون صيغته لفظ الخلع أو ما في معناه ، أما الطلاق على مال فإن صيغة لفظ الطلاق أو ما في معناه ، كقول الرجل لزوجته : طلقتك على مبلغ كذا أو أبنيك في مقابل كذا .

٢- إذا بطل البذل في الخلع بأن كان المسمى ليس مالا متقوما في حق المسلم كالخمر والخنزير وقمع الطلاق باننا ، أما في الطلاق على مال إذا بطل البذل وقع الطلاق وكان رجعيًا ، لأن لفظ الطلاق صريح في الطلاق ، والصريح يقع به طلاق رجعي ، أما لفظ الخلع فهو كناية في الطلاق وليس صريحا فيه فيقع به الطلاق باننا - عند الحنفية - .

(١) الأحوال الشخصية ، الإمام محمد أبو زهرة ، ص ٣٣٢ ، ط دار الفكر العربي ، القاهرة سنة ١٩٥٧ .

(٢) سورة البقرة : ٢٢٩ .

(٣) المبارأة من بارأ المرء شريكه إذا أبرأ كل واحد منهما صاحبه .

(٤) لفتحه المقارن لأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة للسنية والمذهب الجعفري والقتون ، ص ٣٩١ - ٣٩٢ باختصار ، ط دار النهضة العربية ، بيروت سنة ١٩٦٧م .

٣- أن الخلع يسقط الحقوق الثابتة على عقد الزواج الذي حصل الخلع منه - على رأي الإمرئ القيسري^(١) مع فقهاء الحنفية على أنه لا يسقط أي حق من الحقوق الثابتة لأحد الزوجين على الآخر ، لأن لفظ الطلاق لا ينبئ عن السبواء من هذه الحقوق فلا يثبت إلا ما حصل الإتفاق على دفعه في مقابل الطلاق .

هذا ومذهب الشافعية أن الفرقة بين الزوجين إذا كانت في مقابلة مال من الزوجة فإنها تسمى خلعاً ، سواء أكانت بلفظ الخلع أو ما في معناه أم كانت بلفظ الطلاق ، فلا فرق عندهم بين الخلع والطلاق على مال فهما لسان لشيء واحد وهو الفرقة في مقابلة مال تعطيه الزوجة لزوجها.

أما المالكية فلا يشترطون في الخلع أن يكون هناك عوض بل قالوا إن الفرقة بين الزوجين إذا كانت بلفظ الخلع أو ما في معناه كالمبارأة والمفاداة والصلح فإنها تسمى خلعاً ولو كانت بدون عوض ويقع به عندهم في الحالين طلاق بائن .

والحنفية قالوا إذا كانت الفرقة بدون عوض ، فإنها لا تكون خلعاً عندهم ولو كانت بلفظ الخلع أو ما في معناه بل تكون طلاقاً بلفظ من ألفاظ الكنايات ، فيقع به عندهم طلاق بائن إذا نوى به الطلاق أو نلت عليه قرائن الأحوال ، وإن لم ينو الطلاق لا يقع شيء .^(٢)

ويقرر الشيخ الجليل السيد سابق ما سبق ذكره وبيانه بقوله :

" الحياة الزوجية لا تقوم إلا على السكن ، والمودة ، والرحمة ، وحسن العشرة ، وأداء كل من الزوجين ما عليه من حقوق ، وقد يحدث أن يكره الرجل زوجته ، أو تكره هي زوجها . والإسلام في هذه الحالة يوصي بالصبر والإحتمال وينصح ما عسى أن يكون من أسباب الكراهية قال الله تعالى : ﴿ وعاشروهم بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾^(٣)

إلا أن البغض قد يتضاعف ، ويشد الشقاق ، ويصعب العلاج ، وينفذ الصبر ، ويذهب ما أسس عليه البيت من السكن والمودة والرحمة وأداء الحقوق وتصبح الحياة الزوجية غير قابلة للإصلاح ، وحينئذ يرخص الإسلام بالعلاج الوحيد الذي لا بد منه .

(١) المرجع السابق ، ص ٤١١ - ٤١٢

(٢) سورة النساء : ١٩

فإن كانت الكراهية من جهة الله شرع .
له أن يستعمله في حدود ما

وإن كانت الكراهية من جهة المرأة فقد أباح لها الإسلام أن تتخلص من الزوجية بطريق الخلع ، بأن يعطى الزوج ما أخذت منه باسم الزوجية لينتهي علاقتهم بها .

وفي أخذ الزوج الفدية عدل وإنصاف ، إذ هو الذي أعطاهما المهر وبذل تكاليف الزواج والزفاف وانفق عليها ، وهي التي قابلت هذا كله بالجود وطلبت الفراق ، فكان من النصفة أن ترد عليه ما أخذت .^(١)

٢- المتعة :-

ومن الشرائع التي نسيب - كما يقول شيخنا - في كثير من مجتمعاتنا شريعة المتعة ، أجل ... إن الطلاق يتم بعد معركة يكتنفها الغدر ، والإعراض والجحود ، وتحترق فيها المشاعر النبيلة وليس هذا ديننا ، فقد يكون أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، وإذا وقع لأمر ما وجب كسر حنقه بعطية حسنة ، تطفئ الغضب وتمنع اللجاجة في الخصام ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾^(٢) تلك بعض محاسن الشريعة الغراء .^(٣)

ولعل رؤية شيخنا للمتعة تجمع بين النصوص المحكمة والنظرية الشاملة .

ويقول الدكتور محمد بلتاجي بعدما ساق جملا متعددة من آراء الفقهاء المتباينة :

" أما ابن حزم فيقول : المتعة فرض على كل مطلق واحدة أو اثنتين أو ثلاثا أو آخر ثلاث وطنها أو لم يطأها ، فرض لها صداقها أو لم يفرض لها شيئا أن يمتعها وكذلك المفتنية أيضا ويجبره الحاكم عن ذلك أحب أم كره .

ولا متعة على من انفسخ نكاحه منها بغير طلاق ، ثم يستل ابن حزم على ذلك بسآتي سورة البقرة اللتين تكررت المتعة فيهما ، ويقول : كل مسلم هو على أنيم الأرض فهو بقوله (لا إله إلا الله) من جملة المتقين بقوله ذلك وإيمانه ومن جملة المحسنين ، فكل مسلم في العالم محسن متق ، من المحسنين فلا فرق عنده بين قوله " من المسلمين " و " من المؤمنين " وقوله تعالى " من المحسنين " و " من المتقين " .

(١) فقه السنة ، ج ٢ ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ باختصار يسير ، ط الثامنة ، دار الكتاب العربي

(٢) سورة البقرة : ٢٤١-٢٤٢

(٣) نظير التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، ص ٢٢ بتصرف يسير

ثم يقول ابن حزم رداً على أقدم مركز أبحاث الرسائل الجامعية لقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين) جامع لكل مطلقه مفروض لها أو غير مفروض لها ، من دخل بها أو غير مدخول بها . ولعل في قول ابن حزم توسعاً غير مرضي عند جملة المحققين المعاصرين .

ويعلق المرحوم الأستاذ أحمد شاكر على مجموع أقوال الفقهاء في المتعة بقوله :
 " والذي نرضاه ونختاره وجوبها لكل مطلقه مطلقاً إلا التي سمي مهرها ولم يدخل بها ، جمعاً بين الآيات واستعمالاً لكل آية في نصها وموضعها ثم يقول : ولما ابن حزم فإنه ذهب إلى وجوب المتعة لكل مطلقه على أصل مذهبه في استعمال المطلق في إطلاقه والمقيد في موضعه ، فالمقيد داخل في المطلق ولا يؤثر عليه عنده ، ويقول : وهذه المتعة فيها تعويض ما فات على المطلقه من الطمأنينة على نظام حياتها في كنف الزوج ولذلك كانت (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره)^(١) كالشأن في الإنفاق وللحاكم أن ينظر في تقديرها إلى نظام الطلاق وإلى إساءة استعمال هذا الحق الاستثنائي أو وضعه في موضعه ، ولذلك نرى أن الفرقة إذا كانت بسبب من جهة الزوجة كالخلع والمبارأة والردة وطلب التطليق للإعسار وغير ذلك أنها لا متعة لها " (٢) .

ويمضي الدكتور البلتاجي قائلاً : " وأيضاً فإن أستاذنا المرحوم علي حسب الله يقول في معنى قوله تعالى : (وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين)^(٣) والآية - كما ترى - عامة تشمل من طلقت بعد الدخول ومن طلقت قبله ، سمي لها مهر أو لم يسم ، والصيغة فيها دالة على الوجوب ولا دليل على تخصص عمومها ولا على صرف الصيغة من الوجوب الذي دلت عليه . وقوله تعالى : (حقاً على المتقين) كقوله تعالى في آية أخرى : (حقاً على المحسنين) لا يدل على شيء من ذلك بل هو للمبالغة في الحث على الفعل كأن من لم يفعل ذلك لا يكون من المتقين أو المحسنين الذين هم المسلمون ، ويؤيد هذا أن الحقوق المالية في الإسلام لا تختلف باختلاف مراتب الناس في الإيمان والتقوى وإنما يختلف بسبب ذلك مقدار خضوعهم للأمر واستجابتهم له ، ثم يبين أن من طلقت قبل الدخول ولم يسم لها مهر فقد أوجبت متعتها نص الآية ٢٣٦ من سورة البقرة ، أما من طلقت قبل الدخول وقد سمي لها مهر فقد بينت الآية التالية لها أن متعتها هي نصف المهر أما الآية ٤٩ من سورة الأحزاب فقد أوجبت المتعة لكل مطلقه قبل الدخول سمي لها مهر أم لا " .

(١) سورة البقرة : ٢٣٦ .

(٢) الأحوال الشخصية وفقه الأسرة ، للدكتور محمد بلتاجي ، ص ١٦٤ - ١٦٦ بتصرف يسير

(٣) سورة البقرة : ٢٤١

ثم يقول : " ويقترح بعض المفتة الطلاق ، ليفكر في عاقبة أمره وأسبق إلى ما فكروا فيه ، فقد أوجبت لها هذا التعويض باسم المتعة - أي الترفيه وتخفيف الآلام - سواء أساء الرجل في استعمال حقه أم أحسن ، لأن في استقلاله بالطلاق إساءة لها وإحاشا على كل حال ^(١) .

ومن مجموع هذا يتبين أن لإيجاب المتعة سنداً قويا في الشريعة الإسلامية ، بل هو - فيما نرى - القول الصحيح الذي يتفق العمل به مع إعمال جميع النصوص الشرعية الواردة في المسألة لأن الآيتين ٢٣٦ ، ٢٣٧ من سورة البقرة فيهما حكم من طلقت قبل الدخول بها فإن لم يكن قد سمي لها مهر فمتعها واجبة على الزوج بحسب حالته وقدرته وإن كان قد سمي لها مهر فمتعتها الواجبة هي نصف المسمى وقد تأكد بإيجاب المتعة لكل مطلقة قبل الدخول بنص الآية ٤٩ من سورة الأحزاب ، كما تأكد بأمر النبي ﷺ بإعطاء المتعة لمن تزوجها وطلقها قبل الدخول بها .

أما المدخول بهن فقد ورد إيجاب المتعة لهن بعموم قوله تعالى ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين ﴾ ^(٢) وتأكد هذا بما ورد في الآية ٢٨ من سورة الأحزاب حيث ورد التسريح فيها مقترنا بإعطائهن المتعة وقد كن تسع نسوة مدخولا بهن .

ولا وجه لمحاولة تخصيص العموم في الآية السابقة لأنه لا يوجد دليل صحيح على ذلك وأيضا فلا وجه للقول باستحباب المتعة اعتمادا على قوله تعالى ﴿ حقا على المتقين ﴾ لأن الحق هو الواجب دون شك وأما قوله ﴿ على المتقين ﴾ فلا ينازع أحد من الفقهاء في وجوب المتعة لمن طلقت قبل الدخول ولم يسم لها ، وقد ورد في إيجاب المتعة لها مثل هذا القول وهو قوله تعالى : ﴿ ... متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ﴾ ^(٣) ولم يقل أحد إن هذا القول يعني إيجابها على طائفة من الناس دون طائفة ، وهكذا الشأن في ﴿ حقا على المتقين ﴾ .

وليسوا فإن النبي ﷺ أمر المسلمين جميعا بأن يتقوا الله في النساء والأمر للوجوب العام دون شك لو مخصص فإذا جمعنا هذا الأمر إلى قوله تعالى : ﴿ حقا على المتقين ﴾ وضح الأمر جدا في وجوب المتعة للمطلقة .

(١) الأحوال الشخصية وثقة الأسرة ، ص ١٦٦-١٦٧

(٢) سورة البقرة : ٢٤١

(٣) سورة البقرة : ٢٣٦

وإذا ثبت هذا فلا وجه لما يراه
، لأن الله تعالى قد أوجب متعة
الزوج إذا لم يكن قد سمي لها فما المسمى لها فلا وجه لإيجاب متعة لها مع نصف المهر لأنها تتمتع
فعلا بنصف المهر مع أن الزوج لم يدخل بها .

كذلك لا وجه لما يراه ابن حزم من أن المفتية (ومن في معناها) تجب لها المتعة لأن المتعة إنما
وجبت شرعا تعويضا عن استقلال الرجل بحق الطلاق وإنهاء الزوجية المشتركة بإرادته المنفردة ولما
يلحق الزوجة حينئذ من الوحشة وانكسار النفس وقوات الطمأنينة على نظام حياتها وحاجتها في كثير
من الحالات إلى مال يجاوز ما يجب لها من نفقة ، فالمتعة إنما وجبت في الشريعة لتجبر هذه الحاجات
النفسية والمادية ، وذلك إنما يتأتى حينما يكون الطلاق من قبل الرجل ولا تكون المرأة طالبة له
راضية عنه ولا يكون بسبب من جهتها .^(١)

ونخلص من هذا كله إلى بسط ما أوجزه شيخنا الغزالي من إيجاب المتعة للزوجة المدخول بها إذا
طلقها زوجها دون رضاها ولا بسبب من قبلها وهو القول الصحيح شرعا القوي دليلا الذي يعمل كافة
النصوص التي وردت في المتعة على نحو متكامل .

٣- الطلاق السني والإشهاد عليه :-

أ. الطلاق السني :

يقول شيخنا : "الواقع أن الطلاق يتجاوز الرجل الذي أوقعه إلى امرأته وأولادها وأسرتهما فلا بد من
وضع ضوابط له حتى لا يكون صدور براءة مفردة بابا إلى الطيش والنظام .

ومن هنا حدد الشارع له وقتا معينا ، فلا يجوز في أثناء الحيض والنفاس ولا يجوز بعد طهر مس
امرأته فيه ، وينبغي أن يحضره شاهدان ، وعلى الزوجة إذا سمعت الطلاق أن تبقى في بيت الزوجية
، فليس ما سمعته إجهازا على الحياة الزوجية وإنما هو إنذار بالقضاء عليها ، وبقاؤها حيث هي
مطلوب ، فقد تستأنف هذه الحياة مع تغير الظروف التي دفعت إلى الطلاق .

إن ثورات الغضب قد تتلاشى وتتغلب بواعث الونام خلال شهرين أو ثلاثة وذلك معنى الآية ﴿ يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا

(١) الأحوال الشخصية وفقه الأسرة ، للدكتور محمد بلتاجي ، ص ١٦٧ - ١٧١ بتصريف واختصار

ومع ذلك فإن الطلاق كما مارسه المسلمون اقترن بمآسي كئيبة فمن الناحية الفقهية وقع الاعتراف بالطلاق البدعي ، وانتشر الحلف بالطلاق كما انتشر تعليقه على التوافه المحقرة وسطرت فسي كتب الفقه نواذر لوقوع الطلاق تستدعي العجب ، ولا يزال الأوروبيون ينظرون إلى سهولة الطلاق وميوعة حدوده عندنا نظرة إنكار وهي ميوعة اختلفها الناس ولا يعرفها الإسلام ويكاد يستحيل أن تسمع امرأة الطلاق وتبقى في البيت كما يكاد يندر وقوع الطلاق داخل النطاق الذي رسمته السنة النبوية من طهر واعتزال وإشهاد . والفقهاء المتربصون بمصير الأسرة المرجون بتمزيق عراها لأتفه الأسباب والأقوال لا حصر لهم^(٢).

في هذا النص يفجر شيخنا عدة قضايا منها الطلاق البدعي وعدم مشروعيته ومنها انتفاء حضور شاهدين على الطلاق ، ومنها الحلف بالطلاق وتعليقه على التوافه المحقرة وأسفه لذلك .

ونحن إذ نوافق شيخنا في الدعوة إلى تصحيح وضع الأسرة وتقويم ركبها ، نخالفه مخالفة واضحة في وصفه الفقهاء بتفتيت الأسرة وتمزيق عراها ، لكونه بخالفهم فيما ذهبوا إليه من آراء ، فإن لفظ الفقه لا يوصف به إلا أصحاب النفوس المشرقة والأرواح النيرة ، فضلا على أن الفقهاء لا يحكمون بهوى نفوسهم وإنما بما تقرر عندهم من قواعد تستند إلى الكتاب والسنة وضوابط تستمد من مجمل التشريع الإسلامي الحنيف على أننا لا ندري هل عدم مشروعية الطلاق البدعي عند شيخنا تعني أنه لا يقع أو أنها تقع مع الحرمة ؟ الظاهر من كلامه عدم الوقوع وهو خلاف المقرر المسطور ولا ندري هل انتقل حضور الشاهدين على الطلاق على سبيل الصحة أو الكمال ؟

البادي من سياقه أنه على سبيل الصحة ، بمعنى أنه لا يحكم بوقوع الطلاق إلا بحضور شاهدين وهو ما رجحه بعض المحققين قديما وحديثا .

(١) سورة الطلاق : ١

(٢) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

حال الطهر الذي واقعها

واعتنا نعرض لهاتين المسألتين
إذا طلق الزوج زوجته في أثناء
فيه ، فقد اختلف الفقهاء في أن الطلاق واقع أو غير واقع فقال الأئمة الأربعة والجمهور من الفقهاء
إن الطلاق واقع .

وقال الشيعة الإمامية وابن حزم الظاهري وابن تيمية وابن القيم أنه لا يقع الطلاق ، واستدل القائلون
بعدم الوقوع :-

١- بما روى أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض ، فأتى عمر رسول الله ﷺ فأخبره بذلك ،
قال عبد الله : " فردها علي رسول الله ﷺ ولم يرها شيئاً " (١) ، وهو صريح في عدم وقوع الطلاق
في حال الحيض .

٢- ما روي أن رسول الله ﷺ قال : " كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد " (٢) ولما كان الطلاق في
حال الحيض ليس موافقاً للشرع يكون مردوداً على صاحبه ولا يترتب على المردود طلاق .

٣- أن الطلاق في أثناء الحيض أو الطهر الذي خالط فيه الزوج زوجته فقد ورد نهي الشارع عنه ،
ولم يأذن الشارع فيه ، فلا يكون للزوج إيقاعه ، فإذا أوقعه كان متصرفاً فيما ليس له فلا يقع ،
وإذا كان الوكيل مخالفاً إذن موكله في الطلاق فلا يقع طلاقه ، فيقاس عليه ذلك بل إن عدم الوقوع
هنا أولى من الوكيل المخالف لأن الوكيل خالف إذن المخلوق ، والمطلق في الحيض خالف إذن
الخالق .

واجتمع جمهور الفقهاء على وقوع هذا الطلاق :-

بما روي أن عبد الله بن عمر طلق امرأته وهي حائض فسأل عمر عن ذلك رسول الله ﷺ فأمره النبي
ﷺ أن يأمر ابنه عبد الله بمراجعتها ، والمراجعة لا تكون إلا بعد وقوع الطلاق .

ويؤيد ما جاء في بعض الروايات " وكان عبد الله طلق تطلقاً فحسبت من طلاقها وراجعتها كما أمر
رسول الله ﷺ " (٣) ، فكل هذه الروايات تدل على وقوع الطلاق في حال الحيض ومثله في ذلك الطلاق
في حال الطهر الذي خالط الزوج زوجته فيه .

(١) لفرجه أبو داود - كتاب الطلاق - باب في طلاق السنة - ج ٢ / ٢٥٦ - حديث ٢١٨٥ وهو صحيح كما لا لبس فيه - مجمع سنن أبي داود - ج ٤ / ٤١١ - ٤١٢ - ج ٤

(٢) رواه البخاري - كتاب البيوع - باب النجش ومن قال : لا يجوز ذلك البيوع - ٤١٦ / ٤ - حديث .

(٣) لفرجه مسلم - كتاب الطلاق - باب تعريم طلاق الحائض - ج ٢ / ١٠٩٥ - حديث ١٤٧١ .

فقالوا : إن الرواية التي استدلوا بها من حديث ابن عمر رضي الله عنهما الحفظ . وقد قال ابن عبد البر في قوله " لم يرها شيئا " منكر لم يقله غير أبي الزبير ، وليس بحجة فيما خالفه فيه مثله ، فكيف إذا خالفه من هو أوثق منه ، وأيضاً قوله " ولم يرها شيئا " يحتمل أن يكون معناه ، أن الرسول ﷺ لم يرها هذه الطلقة مانعة من الرجعة ، أو لم يرها شيئا جائزا في السنة ومع كل هذا لا تصلح الرواية التي احتجوا بها سندا لمذهبهم ، ورد الجمهور على الاستدلال بحديث كل عمل ليس أمرنا فهو رد " بأن معنى الرد في الحديث عدم الثواب عليه وعدم قبوله ولا يلزم من عدم القبول عدم صحة العمل إذا وقع ، فإن الصلاة في الأرض المغصوبة والثوب المسروق صحيحة ولكن لا ثواب عليها .

أما النهي عن الطلاق في حال الحيض الذي استدلوا به ، فلا يستلزم عدم الاعتداد بالطلاق إذا وجد ، لأن النهي ليس لذات الفعل ولا لصفة من صفاته ، بل راجع إلى شيء آخر خارج عن المنهي عنه : هو أن لا توجد حاجة إلى هذا الطلاق ، أو لما يترتب عليه من إيذاء الزوجة بإطالة العدة عليها ، ومن المقرر أن النهي إذا كان راجعا إلى أمر خارج لا يدل على فساده إذا وقع ، فإن البيع وقت النداء لصلاة الجمعة منهي لما فيه من الاستغفال عن الصلاة ، ولكن إذا وقع كان صحيحا تترتب عليه آثاره ، وقياسهم المطلق على الوكيل بالطلاق قياس مع الفارق ، لأن الوكيل في الطلاق سفير ومعبر عن الموكل ، ولا يملك السفير غير ما فوض إليه ، أما الزوج فإنه يوقع الطلاق لنفسه ، وليس هو نائب عن غيره ، ولا عن ربه فمتى أوقعه وهو أهل لإيقاعه ، وكان المحل قابلا لوقوعه وقع الطلاق وكان معتادا به وإذا كانت أدلة القائلين بعدم وقوع الطلاق زمن الحيض مردوده كان الراجح هو قول الجمهور من الفقهاء ..^(١)

(١) انظر الفقه المقارن لأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة السنية والمذهب الجعفري والقانون ، ص ٢٤٢ - ٢٤٥ ، بدران أبو العنين

أكثر الفقهاء على أنه لا يشترط الإشهاد على الطلاق ، بل يكفي مجرد قول الزوج ، إذا لم يؤثر عن الرسول ولا صحابة رسول الله ﷺ ، اشترط الشهود في الطلاق وحملوا الأمر الولد في قوله تعالى ﴿ ... وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾^(١) على التنب كما في قوله ﴿ ... وأشهدوا إذا تبايعتم ﴾^(٢) .

واشترط الإمامية والظاهرية لوقوع الطلاق إشهاد عدلين ، لقوله تعالى ﴿ فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم ﴾^(٣)

فإنه سبحانه طلب الإشهاد على الطلاق الذي سبق الكلام لبيان أحكامه ، ومن المستهجن أن يعود طلب الإشهاد إلى الرجعة ، لأنها إنما ذكرت تبعا واستطرادا كما قالوا إن من المعلوم أنه ما من حلال أبغض إلى الله من الطلاق ، فالدين الإسلامي لا يرغب في أي نوع من أنواع الفرقة ، ولا سيما في العائلة والأسرة ، وعلى الأخص في الزوجية بعدما أفضى كل منهما إلى الآخر بما أفضى ، فالشارع بحكمته العالية يريد تقليل وقوع الطلاق والفرقة ، بتكثير قيوده وشروطه بناء على القاعدة المعروفة من أن الشيء إذا كثرت قيوده عز أو قل وجوده ، فلهذا اعتبر الشاهدين العدلين للضبط أولا وللتأخير والأناة ثانيا ، عسى إلى أن يحضر الشاهدان ، أو يحضر الزوجان أو أحدهما عندها يحصل الندم ويعودان إلى الألفة ، يشير إلى هذا قوله تعالى ﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾^(٤)

وأبضا قوله تعالى ﴿ وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾^(٥) فهذا الأمر بالشهادة جاء بعد ذكر إنشاء الطلاق وجواز الرجعة فكان المناسب أن يكون راجعا إلى الطلاق ، وإن تعليل الإشهاد بأنه يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر يرشح ذلك ويقويه ، لأن حضور الشهود العدول لا يخلو من موعظة حسنة يزجونها إلى الزوجين ، فيكون لهما مخرج من الطلاق .

فإذا لم يشهد على الطلاق شاهدين ظاهرهما العدالة يسمعان إنشاء الطلاق كان الطلاق غير واقع ، وكذا لا يقع إذا شهد عدلا واحدا أو فاسقين يكون باطلا ، فإنهم قالوا : إن بالإشهاد على الطلاق يظهر

(١) سورة الطلاق : ٢

(٢) سورة البقرة : ٢٨٢

(٣) سورة الطلاق : ٢

(٤) سورة الطلاق : ١

(٥) سورة الطلاق : ٢

التناسق بين إنشاء الزواج وإنهاءه ، فلا شهادة للنساء وللرجال ، وشيئا ، والشرط أن يكونا رجلين عدلين ، فلا شهادة للنساء وللرجال ،

ورأي الشيعة الإمامية هو الراجح إذ أنه يضيق دائرة الطلاق التي اتسعت الآن كثيرا ، كما يسهل إثباته فيما لو وقع خلاف بين الزوجين في الطلاق .

ويجري العمل في مصر على أنه يجب على الموثق " المأنون " أن يجري الطلاق بحضور شاهدين يثبتهما في إسهاد الطلاق ، ويوقعان على وثيقة الطلاق بالشهادة وقد نص قانون حقوق العائلة في المادة (١١٠) على أن الزوج الذي يطلق زوجته مجبور على إخبار المحاكم بذلك ، ولم يشر القانون إلى وجوب الإسهاد أو عدم وجوبه فيكون حسب القول الراجح من مذهب أبي حنيفة أنه يندب الإسهاد على الطلاق .^(١)

ويقول العلامة الإمام محمد أبو زهرة : " لو كان لنا أن نختار للمحمول به في مصر لاخترنا ذلك الرأي ، فيشترط لوقوع الطلاق حضور شاهدين عدلين ، يمكنهما مراجعة الزوجين فيضيقا الدائرة ، ولكيلا يكون الزوج فريسة لهواه ، ولكي يمكن إثباته في المستقبل فلا تجري فيه تجري المشاحنة وينكره المطلق إن لم يكن له دين ، والمرأة على علم به ، ولا تستطيع إثباته ، فتكون في حرج ديني شديد .

وقد قال الظاهرية ، لا يقع الطلاق إلا بعد إعلام الزوجة بالطلاق ، وعلى ذلك إذا طلقها وهي غائبة فله الرجوع فيما قال وذلك أمر حسن " .^(٢)

وقال السيد سابق بعد أن ذكر نفرا ممن يرون وجوب الإسهاد على الطلاق ، وعدم وقوعه إلا ببينة :-
إذا تبين لك أن وجوب الإسهاد على الطلاق هو مذهب هؤلاء الصحابة والتابعين المذكورين تعلم أن دعوى الإجماع على ندبه المأثورة في بعض كتب الفقه ، مراد بها الإجماع المذهبي لا الإجماع الأصولي ... وتبين لك مما نقلناه أنفا أن وجوب الإسهاد لم ينفرد به علماء آل البيت - عليهم السلام - بل هو مذهب عطاء وابن سيرين وابن جريج كما أسلفنا " .^(٣)



(١) لفتحه المقارن للأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة السنية والمذهب الجعفري والقانون ، ص ٣٧٨ - ٣٨٠

(٢) الأحوال الشخصية ، الإمام محمد أبو زهرة ، ص ٣٦٩

(٣) فقه السنة ، السيد سابق ج ٢ ، ص ٢٣٢ بتصريف واختصار

جهوده في علوم القرآن

يرى شيخنا أن القرآن الكريم هو صوت الحق الذي قامت به السماوات والأرض ومعانيه هي الأشعة التي تألق فيها الوحي الأعلى ، وتعرض لها الأولون والآخرون واستطاعوا بها - إن شاعوا - أن يعرفوا من أين جاءوا وكيف يحيون ، وإلى أين يصيرون ؟

صحيح ... أن القرآن الكريم لم ينزل إلا منذ أربعة عشر قرناً ، بيد أن معانيه قديمة جديدة ، ففيها خلاصة كاملة للرسالات الأولى ، وللنصائح التي بذلت للإنسانية من فجر وجودها فالقرآن ملتقى رائع للحكم البالغة التي قرعت آذان الأمم في شتى العصور ، واستعرض دقيق للأشافية السماوية التي احتاجت إليها الأرض جيلاً بعد جيل !!

إنه لذلك مجمع الحقائق الثابتة ، ومجلى عناية الله بعباده منذ خلقوا وإلى اليوم ، وإلى أن تتقضي هذه الدنيا .

وإظهاراً لهذا المعنى يقول الله - عز وجل - وصفا لبعض عظات القرآن : ﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى ﴾^(١)

حقاً .. لأن كانت آيات الكون صامته يستنبط الناس منها الفكرة ، ويستخلصون منها العبرة فأيات القرآن ناطقة تعرف الناس بربهم وتقود إليه .^(٢)

ولما كان القرآن الكريم أساس حضارة إنسانية كبرى ومبعث ثورة نفسية وعقلية ، نقلت تاريخ العالم كله من طور إلى طور بلغ به الكمال البشري .^(٣)

سجل شيخنا نظرات في علوم القرآن عند بلوغه الأربعين من عمره رجا أن تكون مقامة بين يدي تفسير حسن للقرآن ، تفسير يلائم طريقة عصرنا في الفهم والاستنباط ، ويترجم عن روح القرآن نفسه

(١) سورة الأعلى : ١٨ ، ١٩

(٢) انظر نظرات في القرآن ، محمد الغزالي ، ص ١٠ - ١١ بتصريف ولختصار

(٣) انظر المرجع السابق ، ص ١٣ بتصريف

الفصل الثاني جهوده في علوم القرآن

- المبحث الأول : كيف نزل ولماذا خلد ؟
- المبحث الثاني : تاريخ نزول القرآن الكريم وسببه .
- المبحث الثالث : ثبوت القرآن الكريم .
- المبحث الرابع : جمع القرآن الكريم .
- المبحث الخامس : موقفه من النسخ والرد عليه .
- المبحث السادس : إعجاز القرآن الكريم .

سجل شيخنا نظرات في علوم تفسير حسن للقرآن ، تفسير ، ويخلو قدر الطاقة من وجوه الإعراب وفنون البلاغة وجدل أهل الكلام والفلسفة لأن القرآن - في نظره - أصبح كتابا مظلوما .^(١)

وظل عطاء شيخنا موصولاً لم ينقطع مدده تجاه كتاب الله - عز وجل - إلى أن قارب على بلوغ الثمانين من عمره حين بين كيف نتعامل مع القرآن تعاملاً يضبط الحركة المعاصرة بشئى مناقبها ومختلف نواحيها مع تحقيق عميق لكثير من قضايا علوم القرآن التي شغلت بال جمهرة من الباحثين وأجلة من المحققين ، وربما كان لإسهام الشيخ مشاركة ملموسة مع هذا الرهط الكريم في تلك المدارس التي أجازها الأستاذ " عمر عبيد حسنة " المتكلم باسم المعهد العالمي للفكر الإسلامي في السلسلة الخامسة لقضايا الفكر الإسلامي التي ظل شيخنا وفيها لها على كبر سنه واعتلال جسده فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين ولعلنا نعرض لبعضها في صدر هذه الصفحات .



(١) المرجع السابق ، ص ١٥ بتصرف

المبحث الأول كيف نزل ولماذا خلد ؟

تحت هذا العنوان يقول شيخنا الجليل : * لكي نفهم القرآن فهما صحيحا لابد أن نفهم الأحداث التي عاصرتة ، وأن نعي الأحوال التي قارنت نزوله .

فإن آيات القرآن وثيقة الارتباط بالظروف التي جاءت فيها ، وفقه هذه الظروف جزء من فقه الهدايات السماوية التي تعلقت بها وتعرضت لها.

لو أن القرآن نزل دفعة واحدة لدارسه لما أمكن أن يفصل بين معانيه وبين الملابس العديدة المتشعبة التي أحاطت بها أو لحار في وضع كل حكم بزاء الحالة الدقيقة التي تتاسبه ، أما والقرآن نزل مفرقا على بضع وعشرين سنة حفلت بالحوادث الجسام ، وتتابع عليها أطوار شتى ، وكان نزوله على هذا النحو يمت بأوثق الصلات لتغاير الحوادث وتجدد الأطوار لذلك لابد في فقه القرآن من فقه الحياة نفسها التي أحاطت ببداية أمره ونهايته ولا بد من استيعاب التاريخ المفصل لهذه الفترة الخطيرة .

ومن الظلم الفادح للقرآن الكريم أن يحاول أحد تفسيره وهو ذا هل عن هذا الجو الذي أكتسب نزول الآيات، فإن تاريخ النزول وسببه جزءان لا يمكن تجاهلها في تكوين المعنى وإيضاح القصد ، بل لا يمكن تجاهلها في تربية الناس بالقرآن وأخذهم بأدابه ... !

وقد علمنا الله — عز وجل — طرفا من هذه الحقيقة في هذه الآيات من القرآن :

﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ﴾^(١)

أي أن الله نزله مفرقا كذلك لحكمة مرادة له ، وما كان يعجز عن إبرازه للناس مرة واحدة لكن ذلك — لو حدث — يفوت الآثار العظيمة المقصودة من إرسال الكلام في مواضعه التي وجود فيها. أجل ... إن الكلمة الصادقة في مناسبتها الدقيقة تجيء كالعون المسعف عند الحاجة الماسة ، أو كالحلو البارد على شدة الظما .

(١) سورة الفرقان : ٣٢ ، ٣٣

والرسول وهو يحمل عبء البليغ من ربك عزيزاً ورؤسياً بالعناد والقسوة والهزء ويمضي بأتباعه القلائل في معركة موصولة الليلي والأيام هذا الرسول الجاد المصابير بحاجة إلى مدد بعد مدد من عناية الله ، الذي يبلغ عنه بحاجة إلى تثبيت الوحي نفسه في مجال لا تفلح فيه قوى البشر وحدها !!..

إن أصحاب الرسائل الإنسانية إن لم تواتهم حظوظ طيبة ، أو تساعدهم أقدار حسنة فشلوا حتماً . والرسالات الإنسانية أعمال محدودة القيمة والهدف ، فكيف بمن يحملون رسالات السماء تكليفاً من الحق وبيانا للخلق ، مدادا منه وإمدادا لهم وهي أجل وأنبى وأعرف للعالم من توجيه وجهه .. ؟

حقاً .. إن تثبيت أفئدتهم بالوحي الذي هو أساس لظهورهم أمر لا عجب فيه ، وتفريق هذا الوحي حسب ما يلقون من متاعب وصعوبات أمر لا عجب فيه كذلك

هذا فيما يتصل بالناحية النفسية للرسول ، وثم أمر يتصل بطبيعة الوحي المنزل ، فإن الله يقول : ﴿ ورتلناه ترتيلاً ﴾ ^(١) أي بيناه في ترسل وتثبت .

والتبين على هذه الصورة معناه سوق الآيات على مهل ، مفرقة تفرقة يكسب الوضوح واليقين على كل جزء فيها ، وقد يكون في الإجمالي والسرعة نوع من الإغماض والتجوز ، أما الدليل التفصيلي المتأنى فهو دائماً قرين الصدق والدقة ، وقد فصلت آيات القرآن من ناحية الأسلوب فجاءت وقفة بعد وقفة ، وفصلت من ناحية الموضوع فجاءت على قريب من ربع قرن ، كأن الزمن قد جعل جزءاً من شرحها ، أو عونا على ترديد صداها ، وإتاحة التأمل المستغرق فيها.

وتتكشف هذه الحكمة كلها في قوله تعالى :

﴿ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً ﴾ ^(٢).

أي أن الناس سوف يتلقون مطالع الرسالة بصفوف من الاعتراض والتساؤل وسيؤلفون لها ردوداً ، ويثيرون حولها شبهاً ، وهنا تبدو الفائدة في نزول الوحي مجزأً فإن الشبه المثارة ستكون فرصة لمزيد

^(١) سورة الفرقان : ٣٢

^(٢) سورة الفرقان : ٣٣

من نور الحق يكشف ضلالها و كل سؤال ، والإزالة لكل خفاء .

وقد تكون تفرقة النزول ظاهرة النفع عند الحكم في القضايا المتجددة ، أو الإفتاء في المسائل العارضة . بيد أن ذلك لا يجعلنا نغفل الأصل الذي أشرنا إليه ابتداء ...

نعم فالسنوات الثلاث والعشرون التي استغرقت نزول القرآن يمكن حسابها دورة اجتماعية كاملة ، ثم فيها البيان الإلهي لسياسة الحياة والأحياء وما تقد به القرون بعد ذلك من أحوال نفسية واجتماعية لا يعدو أن يكون صورة مكررة لما سبق أن قال القرآن كلمته فيه :

(ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)^(١)

لقد نزل القرآن منجما حسب الحوادث ، لفهم حقيقة القضية ، ومنحى الحكم ، وهذه الحوادث ليس خصومة نشبت بين أفراد ، بل هي سير حياة وطبيعة بشر وحال مجتمع ، أو هي كما قلنا مثل يتكرر على العصور لشئون الحياة والأحياء ، والقرآن النازل بازائها هو الإرشاد الإلهي الخالد لهذه النظائر المطردة ...

حقا .. لقد كان الوحي ينزل طول هذه الفترة توجيها لما يستقبل أو تعقبا على ما يستدبر ، كان القرآن الكريم طوال ثلاث وعشرين سنة ينزل وفيه حكم الله على ما يكون ، وفيه تحديد لموقف الإسلام ، لا بالأوامر المقتضية فحسب ، بل أحيانا بالقصص المفصلة التي يحيا فيها تاريخ قديم وتسرد فيها أحداث مشابهة^(٢).

ويرد شيخنا تعليقه الرائع لنزول القرآن بحديثه الشائق عن خلوده فيقول :

" وخلود القرآن يرجع لجملة الحقائق التي حواها ، إن هناك معارف يلحقها الخطأ والصواب فطروا التغير عليها مفهوم ، أما ما ثبتت صحته فإن مر الأيام لا ينال منه شيئا .

إذا ثبت أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ، أو أن الخطئين المتوزيين لا يلتقيان فإن هذا الثبوت لا يتفاوت على اختلاف الليل والنهار ، وهو بعد عشرة قرون مثله قبل عشرة قرون .

(١) سورة النحل : ٨٩

(٢) نظرات في القرآن ، محمد الغزالي ، ص ١٧ - ٢١ بتصريف واختصار ، ط دار الكتب الإسلامية

وهناك قوانين علمية كثيرة بلغة التي حواها القرآن هي كلها من هذا الصنف بصفة .

سواء في ذلك وصفه للكون ، أم سرده لتاريخ الأوائل ، أم الأسس والعبر التي قررها لازدهار الأمم وانهارها ، وما يتبع ذلك من توجيهات مطلقة للناس أجمعين . هذا الحق كما يمد رواقه على ما جاء في القرآن من الأوصاف والأخبار والحكم المستفادة يشمل كذلك جميع الأوامر والنواهي التي تضبط السلوك العام ، تقيمه على نهج محدود فإن السداد لا يفوت واحدا منها .

وكما أن الصدق لا ينفك عن أي خبر جاء في القرآن الكريم ، كذلك لا ينفك الرشيد والخير والنفع الخاص والعام عن سائر الخطب الإلهي المتعلقة بأعمال المكلفين ، فما أمر الله بشيء يمكن الاستغناء عنه ولا نهى عن شيء يحسن الإمام به ، والقرون قديمها وحديثها في ذلك سواء .

اجل ... إن المرء قد يغير كلامه إذا تطرق الخطأ إليه في قصة يحكيها ، أو تطرق القصور إليه في حكم يصدره أو لحقه سوء تقدير وهو يصدر أمرا ما ، فإذا برئ من هذه العلة كلها ، وكان الكلام بمنأى عن أعراضها فلم يتغير القول ؟ وبم يعاب ؟

﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ ^(١) وقيام معانيه على الحق كقيام الشسعاع على النور ، والحق لا يزول ولا يحول ، وذلك سر خلود القرآن .

نعم هو كتاب قديم ، والمشاهد أن العالم بلغ في هذا العصر درجة من التفوق العلمي لم يسبق له نظير ، وأن الكشوف العلمية أقامت في الدنيا حضارة تكاد تتسلخ عن ماضي الإنسانية بما فيها من تفوق وسيطرة ، فكيف تطرد هذه المكانة الأنيبة لكتاب من مخلفات العصور الأولى ؟ وكيف يستمع له بهذا الإجلال وهو يحدث ويوجه ؟ ... إننا لا نفزع لهذا التساؤل بل نجيب عليه في هدوء قائلين : لو أن القرآن نزل يوم الناس هذا ، ما تغيرت نظرته للكون ، ولا وصاياه لسكانه !!

نعم ، ولا فائته مع ذلك ذرة من الصدق في حديثه وتوجيهه ، ووصفه للعالم ونصحه للناس !! إن القروي الساذج قد يخرف وهو يصف ناطحة للسحاب ويوزع الحقوق والواجبات على ساكنيها ... ولكن المهندس الماهر الذي أشرف على البناء وعرف مدخله ومخارجه ومراقفه وبنائته لن يرسل للكلام في هذا المجال على عواهنه والحق أن الذي قال هذه الآيات ، هو الذي أنزل القرآن من قرون

(١) سورة هود : ١

طوال هو رب العالمين ، فحديثاً مركز أبحاث الرسائل الجامعية ، ند معارف البشر ويماط اللثام عما في الكون من أسرار ويبقى من تلك التوابع فاما بين مكشفات العصور ، وحقائق الكتاب العزيز ، لم ؟

﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما ﴾^(١)

إننا لا نزعم أن القرآن كتاب كيمياء وطبيعة وفلك !! ولكننا نقرر أن الصورة الكاملة للكون - كما ترسم ملامحها هذه العلوم - تتسق مع الصورة نفسها التي ترسم في ذهن قارئ القرآن ، تتلاقى معها على كل حال . بينما تنسب إلى السماء كتب مقدسة - في نظر أصحابها - تتحدث عن الكون حديث ركب الدابة عن الطيارات النفاثة .

ذاك هو الفرق بين كلمات يؤلفها الناس من عند أنفسهم فهي مزيج من حق وباطل ، وجد وهزل ، وعلم وجهل وبين كلمات ينزلها الخالق الباري المصور : ﴿ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾^(٢) وذلك هو السبب في أن الإسلام عقد صلحا دائما مع العلم الثابت .

بل يسر له السبيل ، ومهد له الطريق ، وزين له الغاية ، أما غيره فقد دخل معه في عراق وحشي كان له أسوأ الأثر في تاريخ الحياة ، ومسير الحضارات .^(٣)

ثم يتابع شيخنا قوله :

" حقا ... إن الإسلام دين الحقيقة والحقيقة لا تتغير وإن تغيرت الأزمنة والأمكنة ، وما هو ثابت في نفسه يستوي في ضرورة العلم به ، أن يكون عند بدء الخلق أو عند قيام الساعة .

والإسلام جملة من الحقائق التي تتعلق بالعبادة وبالفكر ، وبالخلق ... وبصلات الناس بعضهم في بعض ، أو صلاتهم جميعا بالخالق الأعلى جل وعلا .

ولو أن دينا نزل إلى الناس في هذه العصور أكننت تحسبه ينقص مبدأ التوحيد في العبادة ؟ أو مبدأ الأخوة في المجتمع ؟ أو مبدأ التعارف بين الأمم ؟ أو قانون العدالة في الأحكام والفضيلة في الأخلاق ؟

(١) سورة الفرقان : ٦

(٢) سورة سبا : ٣

(٣) نظرات في القرآن ، محمد الغزالي ، ص ١٧ - ٢٣ بتصرف واختصار ، ط السانسة دار الكتب الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الجامعة الأردنية

مركز أبحاث الرسائل الجامعية

أو الصلاح النفسي الذي لا ضمير تحسبه يعترف بضرارة الشهوة بين المرأة والرجل بين الامم ... صور الطاعات ؟ أو

كلا ... كلا فلو أن محمدا ﷺ جاء الإنسانية في أمسها القريب أو يومها الحاضر أو لو أن عشرات النبيين انطلقوا من بعده بين المدائن والقرى مبشرين ومنذرين ما عدوا حدود القرآن في هديهم فإن هذا الدين جعل الله فيه خلاصة للأديان السابقة وغناء عن الشرائع اللاحقة هدى لمن اهتدى به .⁽¹⁾



(1) المرجع السابق ، ص ٢٣ - ٢٤ بتصرف واختصار

تاريخ نزول القرآن الكريم وسببه

يقول شيخنا تحت هذا العنوان : " تاريخ النزول وسببه أصلان عظيمان في تبيان الأحكام ، واستكمال الصور الشرعية على أوضاعها الصحيحة وترتيبها العتيد .

ونحن نعلم أن ترتيب المصحف على نسقه القائم - وإن تم بتوقيف الرسول ﷺ واجتماع أصحابه - يخالف ترتيب نزوله حسب الوقائع والأزمان ...

كانت الطائفة من الآيات تنزل ، فيأمر الرسول ﷺ كتابة الوحي أن يضعوها في المكان الذي يذكر فيه كذا وكذا ، وربما يكون نزل قبلها بستين ...

وما دام هذا الترتيب قد وقع بإشراف الرسول ﷺ بنفسه ، فلا بد أن يكون ذلك كي تتفق صورة المصحف مع الأصل الثابت لها في السماء .

وطبيعي أن تكثر الروايات عن أول ما نزل ، وعن آخر ما نزل ، وعن السبب في نزول آية ما ، وعن مكان نزولها ... وللاقتامين بحوث في ذلك مستفيضة لا يتسع المجال هنا لشرحها ، ولا لنقدها . ونحن ننكر الترتيب الآتي للسور وفق مجيء الوحي بها للرسول عليه الصلاة والسلام وإن كانت لنا عليه ملاحظات:-

فأول ما نزل من القرآن بمكة (اقرأ باسم ربك الذي خلق) - ثم (ن والقلم) - ثم (يا أيها المزمل) - ثم (يا أيها المنثر) - ثم (تبت يد أبي لهب وتب) - ثم (إذا الشمس كورت) - ثم (سبح اسم ربك الأعلى) - ثم (والليل إذا يغشى) - ثم (والفجر) - ثم (والضحى) - ثم (ألم نشرح) - ثم (والعصر) - ثم (والعاديات) - ثم (إنا أعطيناك الكون) - ثم (الهاكم لتكاثرت) - ثم (لرأيت الذي) - ثم (قل يا أيها الكافرون) - ثم (الفيل) - ثم (قل هو الله أحد) - ثم (والنجم) - ثم (عبس) - ثم (سورة القدر) - ثم سورة البروج - ثم (التين) - ثم (لإيلاف قريش) - ثم (القارعة) - ثم (القيامة) - ثم (الهمزة) - ثم (المرسلات) - ثم (ق) - ثم سورة البلد - ثم (الطارق) - ثم (اقتربت الساعة) - ثم (ص) - ثم الأعراف ثم الجن - ثم يس - ثم الفرقان - ثم فاطر - ثم مريم - ثم طه - ثم الواقعة - ثم الشعراء - ثم النمل

- ثم القصص - ثم سورة بني إسرائيل - ثم الصافات - ثم لقمان - ثم سبأ - ثم الزمر - ثم المؤمن - ثم الحجرات - ثم حم عسق - ثم الزخرف - ثم الدخان - ثم الجاثية - ثم الأحقاف - ثم الذاريات - ثم الغاشية - ثم الكهف - ثم النحل - ثم نوح - ثم إبراهيم - ثم الأنبياء - ثم ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ - ثم تنزيل السجدة - ثم الطور - ثم الملك - ثم الحاقة - ثم ﴿ سأل سائل ﴾ - ثم ﴿ عم يتساءلون ﴾ - ثم النزاعات - ثم ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ - ثم ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ - ثم الروم - ثم العنكبوت .

واختلفوا في آخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس : " العنكبوت " ، وقال الضحاك وعطاء : " المؤمنون " وقال مجاهد : ﴿ ويل للمطففين ﴾ . فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة ثلاث وثمانون سورة على ما استقرت عليه روايات النقات .

وأما ما نزل بالمدينة فأحدى وثلاثون سورة ، فأول ما نزل بها سورة البقرة ، ثم الأنفال ، ثم آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم الممتحنة ، ثم النساء ، ثم ﴿ إذا زلزلت الأرض ﴾ ، ثم الحديد ، ثم سورة محمد ﷺ ثم الرعد ، ثم سورة الرحمن ، ثم ﴿ هل أتى على الإنسان ﴾ ، ثم الطلاق ، ثم ﴿ لم يكن ﴾ ، ثم الحشر ، ثم الفلق ، ثم الناس ، ثم ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ، ثم النور ، ثم الحج ، ثم ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾ ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم التحريم ، ثم الصف ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم الفتح ، ثم التوبة ، ثم المائدة ... على أننا نلاحظ أن السور لم تنزل بهذا الترتيب كاملة ، فقد تلحق بها آيات في أمكنة وأزمنة أخرى .

فالآية الأخيرة من سورة المزمل مدنية ، وإن كانت السورة مكية ، ومع الفاصل الزمني واختلاف الأسلوب طولاً وقصراً ، فإن المعنى الذي عرضت له هذه الآية متصل بصدر السورة .

وقد رأينا خلافاً بين علماء الروايات في أماكن النزول ، فخذ مثلاً سورة الأنعام فهناك قول بأنها نزلت كلها جملة واحدة بمكة ولعله الراجح ، بل ما تتظاهر الدلائل على صحته ، ومع ذلك فقد وردت أقوال أخرى تجعل عدداً من آياتها مدني النزول ، والمتأمل في هذه الأقوال يستبعد بعضها ويجزم ببطلان البعض الآخر .

يقول الله - عز وجل - في هذه السورة .

﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ، ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ، انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾^(١)

هذا المعنى المتصل المتناسك يجيء بعض الرواة فيقول : إن آخر آية منه نزلت بالمدينة أما الأوليان فقد نزلتا بمكة ... وهذا تقطيع لا يسوغ .

وفي هذه السورة نفسها يقول الله - عز وجل - :

﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابهة كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده... ﴾^(٢)

ثم يعطف على هذا الإنشاء نعماً أخرى يمتن بها على عباده فيقول :

﴿ ... ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾^(٣)

فيجيء بعض الرواة فيقول : إن الأولى مدنية والثانية مكية ، أي أن المعطوف والمعطوف عليه في سياق واحد بينهما أزمنة وبلاد * ... !!^(٤)

ويضرب شيخنا مثلاً آخر للآيات ذات الحديث الواحد التي لا مجال للفصل بينهما فيقول :

«وهاك آيات تعرضت لأهل الكتاب فجاء الرواة وعدوها مدنية كأن الكلام من أهل الكتاب في مكة لا محل له .

والواقع أن هذه الروايات ينقصها التمهيص العلمي والتحقيق التاريخي وشيوعها بهذه الصورة يشبه شيوع القول بالنسخ مع ضعف سنده من ناحيتي العقل والنقل ...^(٥)

(١) سورة الأنعام : ٢٢ - ٢٤

(٢) سورة الأنعام : ١٤١

(٣) سورة الأنعام : ١٤٢

(٤) نظرات في القرآن ، ص ٢٣٠ - ٢٣٢ بتصرف

(٥) مستعرض بالرد على هذا القول إن شاء الله في المبحث الخامس .

والغريب أن هذه الروايات الواردة في المصنف الصادر عن دار الكتب المصرية ... والخطب سهل على كل حال".^(١)

على أن الترتيب الذي ذكره الشيخ في مقدمة حديثه له فيه نظر وهو جدير بالنظر ، فيعقب قائلا :

" حقا ... إن ما يقال في الصفة المكية والمدينة يقال في الترتيب الزمني لبعض السور فسورة المزمل مثلا تجيء الثالثة في ترتيب النزول ، مع أن القارئ لا يفوته وهو يتلو آياتها ملاحظة أن قيام الليل الذي أمر به الرسول ﷺ إنما يكون بقرآن كثير . يستغرق الساعات لا الدقائق ، وأين هو ؟ إذا كان ما نزل سورتين فقط من قصار السور ؟

﴿ قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا ، أ زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ﴾^(٢) ثم إن الوعيد الموجه ، إلى المكذبين ، وتخويفهم بخزي الدنيا والآخرة ، ما يتصور إلا بعد الجهر بالدعوة وإشتباكها بجلد الخصوم ومؤامراتهم : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ، وذرنى والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ، إن لدينا أنكالا وجحيما ﴾^(٣)

ويبدو أن عناية الحفاظ باستظهار القرآن الكريم على الوضع المأثور ، أي بتوقيف الرسول ﷺ نفسه قد استنفذت الاهتمام كله ، فلم تتوفر الجهود على تتبع أزمنة النزول بأسلوب يقوم على الدقة الواجبة ، وإن كانت الأحكام قد ظفرت بقسط وافر من العناية المشكورة .

(١) لمرجع السابق ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ بتصريف

(٢) سورة المزمل : ٢ - ٤

(٣) سورة المزمل : ١٠ - ١٢

أجل ... إن العلماء الثقات لم تـ ... نحتفي بأرائهم فلا تخفى بين ... القوم وتبوءت مكانا مكيئا فيها وهي جديرة بالحنف أو التمهيص على أقل تقدير .^(١)

وأما عن دلالة الانسجام في علم النزول فيقول شيخنا :

" اختلاف الأحوال يقتضي اختلاف التوجيه ، وتباين المواطن يقتضي تباين الأوصاف ، وهذا وذلك دلالة لانسجام لا دلالة لتناقض ، فإذا قال الله في المجرمين ﴿ وقفوهم إنهم مسنونون ﴾^(٢) أو قال : ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ، عما كانوا يعملون ﴾^(٣) ثم قال مرة أخرى ﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾^(٤) ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾^(٥) فليس هناك تناقض بين هذا السياق وذلك .

فإن المجرمين في دنيانا هذه عندما يواجهون تبعات آثامهم ... يسألون مرة أو مرتين ... ثم تمر بهم مراحل شتى قبل إيقاع العقاب عليهم وإنزاله بهم ، لا يسألون عن شيء ، بل يقتلون في صمت إلى السجن أو الشنق فالقول بأنهم ستلوا لا ينفية القول بأنهم لم يسئلوا ، ذلك في موقف وهذا في موقف آخر ...

وتلك الأوصاف المتغايرة تشبه الأحكام المتغايرة لا لشيء إلا لأن القضايا التي تعرضت لها ليست سواء فلا جرم أنها تصدر متفاوتة في اللطف والعنف ، والأخذ والتجاوز ... ومعاملة الكافرين بالإسلام من هذا القبيل ، لم يرد فيه حكم واحد ، ولم ينسخ فيها حكم ورد بل كل حالة يرصد لها ما يناسبها ، وكل موقف ينزل فيه ما يصلح له .

واختلاف الأوامر والوصايا في هذا الشأن لا يعاب ، المعيب هو جمود التوجيه على تلون أحوال الخصوم ، وتقلبهم بين الإنصاف والاعتساف .

والإسلام منذ ظهر ، ثم بعد ما دخل في أطوار الكفاح ضد معوقي سيره ، ثم بعد ما اجتاز هذه المراحل ليستقر وينمو مرت به أوامر ونواه كلها حق ، وإن هاننت حيناً وخلصت حيناً آخر .

(١) للمرجع السابق ، ص ٢٢٢ بتصرف

(٢) سورة الصافات : ٢٤

(٣) سورة الحجر : ٩٢ ، ٩٣

(٤) سورة الرحمن : ٣٩

(٥) سورة الرحمن : ٤١

فلم يكن بد من ملائمة أهل السلف موضعهم سليم ، وليس العيب مكناً في اختلاف الأدوية إذا اختلفت العلل ، إنما العيب ألا نحسن المداواة لو أن نضع علاجاً مكان آخر .

موضع الندى في موضع السيف بالعلل مضر كوضع السيف في موضع الندى .

وقد أقحم القول بالنسخ في الآيات الواردة بشأن الكفار إقحاماً غريباً ، فالغنى بعضها دون وعسى ، وأعمل البعض الآخر دون فقه والأمر أجل من ذلك وأحوج إلى تغلغل النظر وسداد القول ...

والقارئ اللبيب يرى أن الكتاب العزيز قد تناول المعارضين له والكافرين به بأساليب شتى ليس من بينها قط إرغام أحد على قبول الإسلام وهو عنه صاد ، كل ما ينشده الإسلام أن يعامل في حدود النصفة والقسط ، وألا تدخل عوامل الإرهاب في صرف امرئ اشرح صدره به .

ولم يكن على الإسلام من بأس ، ولن يكون عليه بأس أبداً لو لصر الوف المنتسبين إلى الأديان الأخرى على البقاء في معتقداتهم ... فكلمة : (تَكْمُ دِينَكُمْ وَلِي دِينٍ)^(١) وكلمة : (لِي عَمَلِي وَأَكْمُ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ)^(٢) ، هذه الكلمات وأمثالها مما تردد في الإسلام هي التي ظلت في أواخر العهد المدني ، ويخاطب بها كل إنسان .

أجل ... فالإسلام لم يكره النصراني على أن يترك نصرانيته ، أو على اليهودي أن يترك يهوديته بل طالب كليهما - ما دام يؤثر دينه القديم - أن يدع الإسلام وشأنه يعتقه من يعتقه ، دون تهجم مر ، أو جدل سيئ ...

والواقع أن الإسلام لم يشتبك في قتال مع النصراني أو اليهود إلا بعد أن وصل هؤلاء وأولئك إلى منزلة في السلوك والسياسة عريت عن الشرف والعدالة وبعثت عن مرضاة الله كما يصورها موسى وعيسى أنفسهما ، فهم تمردوا على أنبيائهم قبل أن يتمردوا على محمد ﷺ وهدموا حدود الحلال والحرام كما آلت إليهم قبل أن يهدموا حدود الحلال والحرام كما بينها القرآن الكريم ، كما شرحها النبي

(١) سورة الكافرون : ٦

(٢) سورة بونس : ٤١

المواضع النبيل محمد ﷺ وفي النزول على إرادتهم تسليماً مطلاً
 لِمبادئ الحق ، ويكون

ومع ذلك فإن القتال واقع لم يشترط الإسلام لانتهائه شروطاً تخرج الناس عن الحق كما يتصورونه ،
 وتدخلهم في الحق كما يتصوره الكل .

إن هناك شروطاً يرضاها الجميع ، وتتفق مع أفهام الفريقين المتنازعين مهما ضاقت أو اشتطت هي :
 العدل والرحمة ، ودائرة العدل والرحمة رحية الآفاق واسعة الأقطار يتعاون فيها أهل الأديان جميعاً
 على حسن الجوار ، وكرم اللقاء بل إنها تتسع للمؤمنين ، ولمن لا يدين بدين ...

وبديهى أن المسلم سوف يلجأ إلى الحذر والتوجس إذا كان الآخرون دائبين على استباحة حقه ،
 وكراهية دينه ، ورفض الاعتراف بنصيبه في الحياة والكرامة والحرية والدعاية المؤدبة العاقلة ...

وآيات القرآن التي أتت شارحة موقف الإسلام لمن يدخلوا فيه لا صلة لها بالنسخ ومعرفة المتقدم
 والمتأخر منها ، إنما تغيد تفهم الملابس والدوائر التي تعمل كل آية داخل نطاقها لا تعدوه ...

ولا نزال نحن الدعاة إلى الإسلام مطالبين إلى هذا اليوم وإلى ما بعده بإفناذ قوله عز وجل : ﴿ فاصبر
 إن وعد الله حق ولنا مستخفونك الذين لا يوقنون ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح
 بحمد ربك ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ فذرهم
 يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي بوعدون ﴾ ^(٤) وقوله : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم
 بمسيطر ﴾ ^(٥)

وما أشبه ذلك من الآيات التي تملأ فؤاد المسلم بالشعور الصحيح في كل طور من أطوار الدعوة إلى
 الله ، والتي تعلمه مساندة الحق بالثبات والسكينة وبارتفاع النفس في المهاترة والتشفي ...

^(١) سورة الروم : ٦٠

^(٢) سورة ق : ٣٩

^(٣) سورة الحجر : ٨٥

^(٤) سورة الزخرف : ٨٣

^(٥) سورة الغاشية : ٢١ ، ٢٢

إن هذه الآيات ترسم أطرافاً من العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أهل الأرض .^(١)

وأما كان الأمر فإن قضية النسخ ، قضية شائكة ، والحديث فيها يحتاج إلى شيء من التفصيل ، وهذا ما جعل شيخنا يتناولها بإسهاب في أكثر من مناسبة ، وسنفرّد بمشيئة الله تعالى لها عنواناً مستقلاً في صدر الصفحات القادمة آمليّن أن نبين وجه الحقيقة المشرق في مسألة زلت فيها أقلام ، وضلت فيها أقدام ، وزاغت فيها أفهام ، ثم يقول شيخنا الجليل مبيناً الحكمة من معرفة ترتيب النزول :-
" ومعرفة ترتيب النزول كما يفيد في شرح آيات الأحكام ، يفيد في شرح كثير من الآيات المتصلة بالنبوة ومعالم الرسالة ... ويمكن أن نتبع على ضوئه حقيقة ما ، لنعرف بدءها وسيرها ونمائها ."^(٢)



(١) نظرات في القرآن ، محمد الغزالي ، ص ٢٣٣ - ٢٣٨ بتصرف ولختصار

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٣٩

ثبوت القرآن الكريم

يستهل شيخنا قضية ثبوت القرآن بمثل بقرن فيه الحقائق الثابتة القرآنية بالحقائق المستقرة الكونية فيقول في مقممة حديثه :

" من قرون سحيقة والشمس - في رأى العين - هي الشمس ، لم تتغير على تعاقب الأجيال ، ولم تزود ولم تنقص على اختلاف الليل والنهار !!

ومن قرون سحيقة كذلك - والقمر في رأى العين - هو القمر ، لا يزال بين الخلف والسلف مستكبر القرص، هادئ النور ، لم يطرأ عليه مع اطراد الزمان تبديل ، ولا نالت منه (عوامل التعرية) التي يقول عنها الخبراء : إنها تنقص الجبال الرواسي وتبريها ، طولاً وعرضاً ...!! ونحن المسلمين نرى القرآن الكريم حقيقة علمية ثابتة كهذه الحقائق الكونية الدائمة فهو هو منذ بدأ لم يزد حرفاً ، ولم ينقص ...!!

نقله جبريل عن الله بأمانة ، ونقله - كذلك - محمد ﷺ عن جبريل ، ونقله - أيضاً - الصحابة عن محمد ﷺ ، ثم تتابعت الجماهير الغفيرة ، تنقله عبر القرون ، حتى بلغت إلينا مثلما نزل قبل أربعة عشر قرناً ، وسنورثه نحن غيرنا بهذه الهيئة المكتملة المصونة وسيظل الحفظة يروونه للأعصار المقبلة إلى أن ينفذ سراق الحياة والأحياء ، وينقلب الناس جميعاً إلى الله ... !!

لا ، بل سيظل القرآن في العالم الآخر باقياً يتلوه أهله على النحو الذي نزل به أمين الوحي لأول مرة وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي مرفوعاً : " يقال لقارئ القرآن اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها ^(١) .

حقاً ... إن هذا القرآن قد اختصه الله بالحفظ والخلود ، فهو حقيقة محصنة من التحريف ، وهو حقيقة تغالب الفناء وتغلبه ... !!

(١) أخرجه أبو داود - كتاب الصلاة - باب استحباب الترتيل في القراءة - ٧٢/٢ - حديث ١٤٦٤ . (وهو صحيح) كما قال الألباني ، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) - ج ٥ ، ٦ / ٢٤٩ - حديث ٧٩٧٨ .

يقوله هو منطق التاريخ
لآثار ، بل الحس القائم

وليست هذه دعوى تقوم على
ومنطق التاريخ هنا يستقر في
على الرؤية والسماع !!...

إن الأدلة التاريخية المختلفة قد تشرح بعض الحق ، أما الحالة بالنسبة للقرآن فإن الشواهد على صدقه
تجيء سيلا غدقا ، ينفي بطبيعته الشبه ، ويؤسس اليقين تأسيسا . والطريق الأول في أخذ القرآن عن
صاحب الوحي ، ثم في انتشاره بعد بين الناس هو التلقي بالمشاهدة على سبيل التواتر والاستفاضة ،
فالنبي ﷺ يقرأ ما يجيئه من عند الله ، والصحابة يسمعون منه بآذانهم ، فيعرفون منه حقيقة النظم
القرآني ، و أسلوب أدائه معا ، كأنواع المنود ومخارج الحروف وما إلى ذلك .

وهذا الضرب من التلقي لم ينتقل به القرآن الكريم من الرسول الكريم إلى أصحابه مرة واحدة أعقبها
صمت طويل ... كلا ... فإن تكرار القراءة جعل تداول الوحي الأعلى أمرا مفروضا ، فالرسول
يحفظه ، وأصحابه الآخرون عنه يحفظون ، ثم يعود هذا المحفوظ إلى الظهور في الصلوات الموقوتة ،
فالرسول يقرأ والصحابة يستمعون .

وإذا أراد أي مسلم أن يتعبد قرأ في جوف الليل ، أو في وضوح النهار ، وإذا أراد أن يتغنّى بالقرآن
فعل ، وإذا أراد أن يخطب به فعل ، وإذا أراد أن يدرسه فعل وهكذا ، ما أن ينزل شيء من القرآن
حتى تستوعبه الصدور ، ثم تردده في كل أفق ، لا في يوم أو في عام ، بل في قرابة ربع قرن ولا مع
رجل واحد أو قبيلة واحدة بل بين الألوف المؤلفة بين الناس !!...

إن هذه الأشرطة الحية لم تكن فقط مستودعا بحفظ القرآن لتتيسر عند اللزوم إذاعته ، بل كانت تهر
بآيات الله آناء الليل وأطراف النهار ، في حلق الذكر ومجالس العلم ، ومحاريب الصلاة وخطب
الجمعة ، والمجامع العامة !! وبهذا التواتر الرائع ثبت القرآن ثبوتا لا مجال فيه لظنون أو أوهم ... !!
وعلماء المسلمين يعتمدون على طريق التلقي هذه ، ويرجعون إليها وحدها في علوم التجويد والأداء .

قال السيوطي : " والأمة كما هي متعبدة بفهم معاني القرآن ، وأحكامه ، متعبدة بتصحيح ألفاظه وإقامة
حروفه على الصفة المتلقاة من الأئمة للقراء ، وهي الصفة المتصلة بالحضرة للنبوية . "

أي أنه لا يكفي الأخذ من المصداق، بل على ذلك ما رواه الطبراني وغيره عن مسدود يقرأ رجلا فقرا الرجل الآية: ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها... ﴾ (١) قراءة مرسله خطف فيها المدود فلم يشبعها كما ينبغي " ، فقال عبد الله بن مسعود : " ما هكذا أقرأتها " ثم تلاها مرة أخرى ﴿ إنما الصدقات للفقراء ... ﴾ ومد ﴿ الفقراء ﴾ المد الواجب المعروف . (٢)

ثم تكلم شيخنا عن الأسباب التي مهدت لشيوع القرآن الكريم على هذه الصفة الواسعة الراسخة فأوجزها فيما يأتي :-

١- " فالعرب في فجر الإسلام كانوا أمة لها خاصة بارزة في مآثرها ومفاخرها هي تنزوق الأدب العالمي ، والإقبال عليه ، ونحن نعرف الأمم الآن بخلائق معينة تشيع فيها ، وأطعمة مادية وأدبية تلتصق ببيئتها ، ففن البناء مثلا يبلغ أن يكون غريزة في الإيطاليين ، ويستطيع النقاد أن يحصوا معالم المجتمعات في القارات الخمس وينكروا إلى جانب الصفات الإنسانية المشتركة صفة خاصة أظهر وأنبع في قوم دون آخرين ... !!

والعرب قوم كانت تردهم العبارة البليغة ، ويرون المثل الأعلى للنبوغ في قصيدة جيدة ، أو كلمة حكيمة ، وقد أراد إيراز أثارهم التي تكشف عن نواحي العظيمة فيهم فكانت المعلقات السبع ... كسانت صناعة الكلام لديهم تضارع في زماننا هذا أرقى الصناعات التي تنتجها الأمم ، وتقيم لها المعارض ، وتدعو لها الزائرين !! و إنك لتقرأ من ولوعهم بالأدب ما يثير العجب .

٢- والقرآن الكريم وهو المعجزة الأدبية الخالدة في لسان العرب ، ما أن ظهر حتى بهر ولا غرو فليس في تراث المستقدمين ولا المستأخرين نظير له ، وقد استمع البلغاء له فهيمن على مشاعرهم ، ونفذت بلاغته إلى شغاف قلوبهم ، وإذا كانوا يعجبون بألوان من البيان أقل بمراحل مما جاء في القرآن ، فكيف يكون انتباههم لهذا اللون الجديد من الحكمة التي هبطت عليهم وأثارت دهشتهم ، إنهم - وهم عشاق الأدب البحت - واجدون فيه ما يروي غلتهم ، ويسكن تطلعهم الفني إلى الكمال والجمال ، فكيف إذا امتزج هذا التقدير الأبدي بالإيمان الديني ؟ لا شك أن القرآن الكريم سيكون شغلهم بالليل والنهار ...

(١) سورة التوبة : ٦٠

(٢) نظرات في القرآن ، ص ٢٤ - ٢٧ بتصرف

والواقع أن الحديث الحسن النازم مركز أبحاث الرسائل الجامعية يرى من شعر ونثر ، فإذا العرب المؤمنون يدعون حفظ المنظوم والمنثور ويتوجهون إلى حفظ الآيات البيئات .

إن معجزة الإسلام وامت طباعهم كما يتواعم الحق عطاؤه ، ومن ثم رأينا جيوشا بأسرها تتألف من أولئك الحفاظ الواعين .

٣- ثم إن الله - عز وجل - أراد أن يقي الإسلام ما أصاب الديانات الأولى من زيغ وتحريف فإن بعض هذه الديانات تلاشت حقائقها جملة ، وتولدت في طوفان من الغفلة والضياح ، والبعض الآخر تطرق إليه التحريف والتبديل على نحو استخفت به الحقيقة وعز إدراكها !

ومن ثم اقتضت العناية العليا أن تصاغ الرسالة الجديدة في إطار من الجمال الأبسي تتعلق القلوب بصيانتها وتلاقى على قداسته ، بل إن الشكل اعتبر جزءاً من الموضوع ، فإن ألفاظ القرآن الكريم اعتبرت جزءاً لا ينفصل عنه ، وأصبحت قراءتها عبادة ، وأصبح مجرد ترديدها قربي إلى الله ... !!

والتعلق بألفاظ القرآن نفسها على هذه الصورة إنما قصد به تقوية السياج الذي يصون أحكام الوحي ، وتوجيهات السماء ، فلا تتعرض رسالة الإسلام للفوضى التي سقطت فيها الديانات السابقة بعد ما ترحزحت عن أصولها وتاهت عن منابعها الأولى ... !

وذلك يفسر لنا سر الترغيب الشديد في حفظ القرآن ، وإيمان تلاوته وترديد آياته بين الحين والحين ، كما جاء تكرر في وصايا النبي ﷺ التي تحت الأمة على تعهد كتابها ، وإحياء دراستها على ما هو منكور في كتب السنة المشرفة .

وثبوت القرآن الكريم عن طريق التلقي والتواتر والاستفاضة هو أحد طريقتين يظاهر أحدهما الآخر ويقويه ، وإن كان الطريق الأول أشهر .

أما الطريق الثاني فهو الكتابة ، وذلك أن الكلام الإلهي كما استوعبته صدور الحفاظ استوعبته سطور الصحف .

كانت الآيات تنزل فيبادر الكتبة إلى تسجيلها ، ويخطون في صحائفهم معالمها وإن هذا التسجيل يجيء كتوثيق العهود في عصرنا ، أي بعد تمامها علمياً وعملياً ... !!

هذا وقد ظهرت صحف القرآن مركز أبحاث الرسائل الجامعية لا انتشارها ، والأمر لا يحتاج إلى استنتاج ، فإن اسم (الكتاب) علم يرافق القرآن ، ويثنى كدلالة متساوية على الوحي الإلهي العزيز ... !!

وهذا العلم المشهور يعرف في مكة ويعرف في المدينة على سواء ، ففي القرآن النازل بمكة ترى قوله تعالى :-

﴿ حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾^(١) ، ﴿ حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾^(٢) ، ﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ﴾^(٣) .

وفي القرآن النازل بالمدينة ترى قوله تعالى : ﴿ الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾^(٤) ، ﴿ الم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، نزل عليك الكتاب بالحق ﴾^(٥)

والتتويه بشأن الصحف التي تحمل الوحي وتيسر للناس مطالعته مذكور في السور النازلة بمكة والمدينة جميعا ، وذلك كقوله - جل شأنه :

﴿ كلا إنها تذكرة ، فمن شاء ذكره ، في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ، كرام بررة ﴾^(٦) وهي سورة مكية . وقوله تعالى : ﴿ رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة ، فيها كتب قيمة ﴾^(٧) والسورة مدنية.^(٨)

هذا وعند شيخنا الغزالي أن التتويه بوظيفة القلم في نشر هذه المعرفة السماوية وحظ الكتابة في إشاعة هذا العلم ، واستبقائه على الزمن ، هو سر القسم في الآيات : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ، ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾^(٩).

(١) سورة الجاثية : ١ ، ٢

(٢) سورة غافر : ١ ، ٢

(٣) سورة النمل : ١

(٤) سورة البقرة : ١ ، ٢

(٥) سورة آل عمران : ١ - ٣

(٦) سورة ص : ١١ - ١٦

(٧) سورة البينة : ٢ ، ٣

(٨) نظرات في القرآن ، ص ٢٧ - ٣٢ بتصرف واختصار

(٩) القلم : ١ ، ٢

وحين يوازن القارئ اللبيب بين صدر هذه السورة وبين كتابها ، يتدبر فيه هذا المعنى إذ إن ختام السورة :- ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ، وما هو إلا ذكر للعالمين ﴾ (١) ... ولعل من الإشادة بحظ الكتابة في نشر القرآن قول الله - عز وجل - في أول آيات أنزلت :- ﴿ اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (٢)

والذي بعيننا - كما يقول الشيخ الجليل - هو إظهار المدى الواسع الذي انتشرت فيه صحف الوحي ، فإن القرآن المكتوب كان متداولاً في دائرة رحبة ، وكان معروفاً في كثير من البيوت التي يتقن أصحابها الكتابة ، وقد شرعت له أحكام فقهية خاصة ، منها ألا يمسه جنب ، ألا يسافر به إلى أرض العدو المحارب مخافة امتهانه .

أجل ... لقد كان للوحي كتاب مخصوصون ، أشبه بالموظفين المنقطعين له يؤدون له واجب التنوين في السفر والإقامة ، ويملي عليهم الرسول ﷺ ما ينزل به الملك ، وذلك عدا الذين يكتبون لأنفسهم ما يحفظونه أو ما ينقلونه . فلما انتقل الرسول - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى ، كان القرآن كله محفوظاً في الصدور ، وكان كذلك - مثبتاً في السطور . (٣)



(١) سورة القلم : ٥١ - ٥٢

(٢) سورة الملق : ٣ - ٥

(٣) نظرت في القرآن ، ص ٣٢ - ٣٣ بتصرف

جمع القرآن الكريم

عندما أثر رسول الله ﷺ كما يقول شيخنا - أن يذهب إلى الرفيق الأعلى ترك هذه الدنيا بعدما أدى رسالته أنجح أداء . تركها وللإسلام فيها دولة قائمة ، ودعوة واضحة ، وقوة مهيبة ، وسلطان يعصم دماء المؤمنين وأموالهم ، ويرد نزوات السفهاء عنها .

تركها بعدما استقر الوحي في صدور الرجال ، وبطون الكتب وانزاحت الدائرة التي يتلى فيها القرآن الكريم ، حتى بلغت ألف ميل من أقصى اليمن إلى أطراف الشام ، ومن الخليج العربي إلى شاطئ البحر الأحمر .

ومما يجب التنويه به أن القرآن الكريم - في فترة كفاح الدعوة وضغط الوثنية - كان يتلى ويكتب دون مصادرة تال من أصله ... صحيح أن المشركين ضاقوا به وثاروا عليه ، بيد أن خصومتهم له كانت تتخذ في التشويش عليه طرقاً أخرى لا تتصل بجوهره .

منها تلفيق كلمات تشبه سور القرآن وتتحدى إعجازه ، ومنها اللغظ في مجالسه ، وافتعال ضجيج يمنع سماعه ، وهذه وتلك محاولات صبيانية ، لم تثبت أن ذابت في حرارة الجد وسطوة الحق . والغريب أن معلمي القرآن وصلوا إلى حد من الكثرة تستحق التأمل خصوصاً في هذه الفترة المكافحة العصبية .

انظر كيف قتل سبعون قارئاً في معركة بئر معونة ... ومع هذه الخسارة الفادحة فإن معلمي القرآن في صحراء الجزيرة لم تقع بينهم أزمة ، بل ظلت وفودهم تتساب هنا وهناك من غير انقطاع .

فإذا كانت هذه حال القرآن أيام غربته ، وهو يشق طريقه بين الخصومات والعقبات ، فكيف تكون حاله بعدما رست دعائمه ، ووضحت معالمه ، وتكونت له دولة تأخذ لربها ونفسها ما تشاء .

الحق أن الوجود الإنساني منذ الأزل لم يعرف كتاباً توفرت له ضمانات الحفظ ، وتظاهرت حوله أسباب العصمة ، مثل ما عرف لهذا القرآن الكريم .

نعم ... إن التواتر المتتابع يشد لسانه من كل ناحيه ، جماهير كتبه تروي عن جماهير كثيفة وتبلغ في الاستقصاء أن تحصى كلمات السور ، بل تعد حروف الهجاء الموجودة بها حرفا حرفا .

وهذا على نقیض ما وقع لديانات أخرى لم تلق أصولها نرة من هذه العناية ولنضرب النصرانية مثلا لهذا التفاوت .

إن البون بعيد بين الظروف التي مات فيها محمد ﷺ والظروف التي تولى فيها عيسى عليه السلام كلا الرجلين نبي كريم بلغ رسالات الله بأمانة ووفاء ، غير أن الإسلام كان أسعد حظا - في النجاة من أعدائهم والغلب على مؤامراتهم - من المسيحية التي تعرضت لخصومات عاصفة .

كان عيسى ابن مريم عليه السلام كأنما يقاتل في معركة انسحاب ، لقد اعتبر هو وأتباعه خارجين على القانون السائد . وخروج المصلحين على العرف القائم ، والتقاليد الموروثة أمر لا يضيرهم ، قد يكون أساس شرفهم ومحور كرامتهم ، وهنا يدور الصراع بين مبادئ ومبادئ ، وجيل وجيل ، ويحتدم النزاع بين الحق والباطل ، ريثما تجيء النتائج الحاسمة . ويبدو أن الذين آمنوا بعيسى لم تكن لهم شوكة مرهوبة ، إما لقتلهم ، وإما لضعف شأنهم ، وإما لقوة اليهود والرومان الذين تألبوا عليهم .

ومن ثم جاء ختام هذا العراك مؤسفا ، فقد سير الرومان ثلة من رجال الشرطة ألقوا القبض على عيسى وقتلوه كما يقول النصارى ، وأفلت من أيديهم كما نعتقد نحن المسلمين ، وطويت صحائف هذه الدعوة المضطهدة بهذا المصير الخطير وتبدد الأتباع شذر مذر وضاع الإنجيل الذي أنزله الله على نبيه فلم يعثر له على أثر إلى يوم الناس هذا .

وكل ما أثر من تعاليمه بقايا أشاعها لفيف من كتاب سيرته بعد عشرات السنين من وفاته في أحوال تحفها الريب ويغلب عليها التخليط والخبط وسميت هذه السير المؤلفة أناجيل ، وليست هي البتة بالإنجيل الذي أنزله الله على عبده ونبيه عيسى ابن مريم .

شأن بين هذه الأحوال وبين الأحوال التي اكتتفت صدر الإسلام ، فإن أتباعه الأوائل - على ما شرحنا - صنعوا سياجا من حديد حول دعوته ، فلما حاول الباطل أن يفضها تكسرت أنيابه حول كيان مصفح شديد .

وأخذت السنون تمر وأمر الإسمايل بنزل ثلاثاً وعشرين سنة مات الرسول ﷺ آخرها بعد أن رمق المصلين في مسجده ثم استتار وجهه كأنه مذهبه إن القرآن يتلى في محرابه والجموع تنصب له في يقين وخشوع ، والدنيا في طول الجزيرة وعرضها تدين له ، والحياة الاجتماعية والسياسية تقوم عليه ، أي إن الأمة والدولة كليهما سناد لهذا القرآن وأشياع وحراس ... وحدث عن كتاب أصبح روح شعب ومراسيم حكومة .
لجل ... إن العناية بأمر لن تحتاج إلى تكلف ولا استكراه .^(١)

هذا وقد سبق أن بسط شيخنا القول في أن القرآن نزل كله وكتب كله ، وحفظ كله على عهد الرسول ﷺ فلما استخلف أبو بكر وتولى شئون المسلمين طلب من أولى الأمر أن يجمعوا اللواتق التي سجلت فيها آيات الكتاب العزيز ، وأن يضموا بعضها إلى بعض ، ليكون من هذه الأصول المكتوبة بأمر رسول الله ﷺ مصحف واحد تحفظه (الدولة) لديها ، وهو وإن أودع خزائنها لعدم الحاجة إليه في الحاضر ، فإن المستقبل قد يتطلبه

نعم ... لم تكن هناك حاجة عاجلة لهذا الجمع ، فإن القراء كثرة مستفيضة ، ورواية القرآن بالتلقي العام منتشرة بين جماهير المسلمين ، والكتابة وحدها لا تكفي كما بينا في تعلم القرآن وتعليمه ، ذلك أن ضبط الأداء كما جاء عن الرسول نفسه لا يكون إلا مشافهة ، وهذا ما تظاهر المسلمون على حفظ القرآن به وإن جاءت الكتابة إلى جانبه سجاجا بعد سجاج .

وتنكر الروايات أن السبب المباشر في جمع القرآن - من وثائقه المكتوبة - هو توجس أبي بكر وعمرو لاستشهاد عدد كبير من الحفاظ في حروب الردة ... ومقتل مئات من القراء أيام أبي بكر لا يضر بالقرآن شيئا في يومه القريب فإن حفاظه أربى من ذلك وأعزربيد أن المعارك المتوقعة بين الحق والباطل قد تظل مشتعلة الأوار عصرا بعد عصر ، وقد تكون مسارعة هؤلاء الأبطال الحفاظ إلى خوضها سببا في ضياع التواتر الذي انفرد هذا القرآن به .

ومن ثم يجب جمع القرآن المكتوب ، وإيداعه في حرز بيد الدولة تسكينا لهذا الوهم ، وهو وهم مبعثه كما ترى شدة الغيرة على القرآن وإن كانت الأيام لم تتمخض عنه ولا اقتربت منه ، فإن الحفاظ الواعين كلما حصدت المعارك منهم نفرا ، نبت مكانهم أو مثلهم أو ضعفهم .

(١) المرجع السابق ، من ٢٢ - ٢٥ بتصريف يسير

ومع ذلك فإن فكرة جمع القرآن - روية البخاري في هذا الشأن -
أخي القارئ - روية البخاري في هذا الشأن - نفذها أبو بكر وإليك -

عن زيد بن ثابت قال : بعث إلى أبو بكر - لمقتل أهل اليمامة - وعنده عمر فقال أبو بكر : " إن عمر جاءني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن ، فيذهب من القرآن كثير ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ". قال : قلت لعمر : " كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ " فقال عمر : " هو والله خير " فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . " قال زيد فقال لي أبو بكر : " إني رجل شاب عاقل لا نتهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ . فتتبع القرآن فلجمعه " . قال زيد : " فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي ما أمرني به من جمع القرآن " !! فقلت : " كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ؟ " فقال : " هو والله خير " !! فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر .

وفي رواية : " فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، ورأيت في ذلك الذي رأيت " .

قال : " فتتبع القرآن أجمعه من الرقاع والعصب والصحاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري ، فلم أجدها مع أحد غيره : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ﴾ ^(١) فالحقها في سورتها " .

قال : " فكانت الصحف عند أبي بكر في حياته حتى توفاه الله ، ثم عند عمر في حياته حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر ^(٢) ... وسياق هذا الحديث كما رواه البخاري يحتاج إلى بيان وتوضيح .

ما الذي كلف به زيد ؟ إن العمل الذي كلف به زيد هو جمع النصوص المتناثرة المكتوبة بأمر رسول الله ، والتي يحتفظ بها أناس كثيرون لأنفسهم ثم تتساقط هذه الجذائذ والرقاع في ترتيب يوافق المحفوظ في صدور الرجال ...

(١) سورة التوبة : ١٢٨

(٢) أخرجه البخاري - كتاب فضائل القرآن - باب جمع القرآن - ٦٢٧/٨ - حديث ٤٩٨٣ .

وليس هذا الترتيب مستحدثا فقد أن يثبتوه في المكان الذي ينكر به من القرآن... ومهما زيد - والحالة هذه - لا تعدو ضم ما تفرق هنا وهنا على نسق معهود له ولغيره من جمهور الحفظة .

وزيادة في الاستيثاق كان لا يقبل من المكتوب إلا ما شهد اثنان بأنه سجل بأمر الرسول ، وهو اشتراط تمليه الحيفة الزائدة فحسب ، وإلا فهو تشدد بالغ .

وهنا يحكي زيد أن ما يحفظه هو وغيره من ختام سورة براءة ، وجنوا له أصلا واحدا مكتوبا عند أبي خزيمة الأنصاري ، وهو الرجل الذي اختصه رسول الله ﷺ بمزية يعرف بها وحده تلك أن شهادته تعادل شهادة رجلين ، وبذلك تم لزيد ما ألزم به نفسه ...

وماذا صنع زيد ، بل ماذا صنع رئيس الدولة بالمصحف الذي جمعه زيد ؟ احتفظ به عنده إذ إنه في نظر شيخنا كوثائق العقود التي تودع للحاجة ، أما حقيقتها الخارجية فليست محل جدل ، لأنها أشبه بالمجسات المادية الراسخة .

وبقي سؤال أخير لماذا دار هذا الحوار الوجل بين أبي بكر ووزيره ، أو بينهما وبين زيد بن ثابت ؟ يقول لفيف من العلماء إنه الحرص الشديد والاحتياط الدقيق على إبقاء الأوضاع كما كانت عليه أيام رسول الله ﷺ والحذر من الإتيان بجديد لم يسبق إليه النبي الكريم ، ولو كان هذا الجديد جمع القرآن في مصحف واحد .

وقد يكون ذلك سبب ما حدث من أخذ ورد ، وعندني أن هذا الموقف يعود إلى استعظام أولئك الرجال لكلام الله وإكبارهم لمهمة جمعه بأنفسهم وهم يرون أشخاصهم - على جلالها - دون هذا العمل ... فمثار التردد يعود إلى غمطهم لأنفسهم ، لا إلى مشروعية هذا العمل ولذلك مضوا فيه دون تردد لما بدا لهم أن جوانب الخير فيه لا يجوز إهمالها .

وبقيت الصحف المجموعة في مستودعها العتيق لا يحتاج أحد إليها ، أو لا يشعر بها ، فإن القراء يتلون كتاب الله عن ظهر قلب ويتدارسونه في بيوتهم ومحافلهم وأسواقهم ومجامعهم دون ريبه ...

واطرده سير القرآن مع امتداد سير الدولة الإسلامية ، وانسياح بنيتها في الأرض ، فمما يفتح بلد إلا عمره القرآن أهل القرآن ، يقيمون به الدولة ، ويبنون عليه المجتمع ...

كان للجيوش الإسلامية في جهة مركز أيداع الرسائل الجامعية في خلاياها ولم يكن هناك علم آخر يشرك القرآن جزءاً من الوقت ، حتى استنه السبويه منع عمر بن الخطاب شغل الناس بدراستها ، حتى يعطوا ليلهم ونهارهم للقرآن وحده ...

ولا نعرف - كما قلنا - كتاباً في التاريخ لقي في هذه الحضارة ، أو وجد تلك الإقبال ، وقد كانت سور للقتال تتلى أحياناً في نشيد جماعي تهر به الكتائب الغازية ، كما هتاف الجموع في عصرنا بالنشيد القومي مثلاً إبان فترات الحماس ...

ولم يقع شيء نوبال بعد ذلك إلا جمع المسلمين على المصحف الواحد الذي أمرت به الدولة لحفظ وثائقه بعد وفاة الرسول ﷺ .

وذلك أن القرآن - كما يعرف علماءه - نزل بوجوه عدة ، قرأ بها الرسول ﷺ وأقرأ بها غيره ويسر بها على المسلمين تلاوة ما يؤثرون منها ، فهي جميعاً سواء ... ودلالاتها على الوحي الأعلى كدلالة ليث وأسد على الحقيقة المعروفة ...

نعم فإن آية ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ ^(١) يصح أن تتلى ﴿ ... فتثبتوا ﴾ كلتاهما سواء ، وليس إحداهما بأكثر من الأخرى في شيء ...

بيد أن بعض الذين بلغهم وجه واحد من هذه القراءات ، ربما اعترضوا القارئ بالوجه الآخر ، وقد ينشب لذلك جدال يفضيه أهل العلم فور وقوعه .

لكن الأمر مع انتشار الإسلام في أنحاء العالم خيف أن يتفاهم ، وأن ينشب حوله الخصام ينال من قدسية الوحي نفسه ...

روى البخاري عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغزى أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فافزع حذيفة لاختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : " يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى " . فأرسل عثمان إلى حفصة " أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك " . فأرسلت بها إليه ، فأمر

(١) سورة الحجرات : ٦

زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير مركز أبحاث الرسائل الجامعية
 ث بن هشام فتمسخوها في المصاحف* .

وقال عثمان للرهط القرشيين : " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فكتبوه بلسان قريش ، فبما نزل بلساتهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"^(١) ...

حقا ... لقد أحسن عثمان ﷺ فعلا ، فقد حسم بفعله هذا ما قد ينجم عن اختلاف الحروف من منازعت وبيلة وجمع الناس على وجه واحد صحيح أفضل من تركهم مختلفين بين عدة وجوه ، ولو صحت كلها ...

ولعل تطير حذيفة وتجسيمه الخطر الموهوم ، سر ذلك التصرف ... وهو وجل مشكور بعثت عليه الغيرة على سلامة الوحي والحرص على استمرار مدده والفوز بعمل ينظم في حفظ الله لكتابه*^(٢)

هذا ويقول شيخنا الغزالي : " وفي تلك المراحل التي مر بها جمسع القرآن الكريم يقول شيخنا الزرقاني:

" نستطيع مما سبق أن نفرق بين مرتج جمع القرآن في عهده الثلاثة ، عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر ، وعهد عثمان رضي الله عنهما .

فالجمع في عهد النبي ﷺ كان عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها ، ولكن مع بعثرة الكتابة ، وتفرقتها بين عصب وعظام وحجارة ورقاق ونحو ذلك حسبما تيسر أدوات الكتابة ، وكان الغرض من هذا الجمع زيادة التوثيق للقرآن ، وإن كان التعويل يائئذ كان على الحفظ والاستظهار ...

لما الجمع في عهد أبي بكر ﷺ فقد كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في مصحف مرتب الآيات أيضا ، مقتصرًا فيه على ما لم تتسخ تلاوته مستوثقا له بالتواتر والإجماع ، وكان الغرض منه تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة مجموعا مرتبا خشية ذهاب شيء منه بموت حملته وحفاظه ...

(١) أخرجه البخاري - كتاب فضائل القرآن - باب جمع القرآن - ٦٢٧/٨ - حديث ٤٩٨٧ .

(٢) نظرات في القرآن ، ص ٣٥ - ٤٠ بتصرف

وأما الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه مركز إنتاج الرسائل الجامعية في مصحف واحد إمام واستساخ مصاحف منه ترسل إلى الأقاليم الإسلامية مصحفاً فيها تلك السلف ذكرها مع ترتيب سورته وآياته جميعاً ، وكان الغرض منه إطفاء للفتنة التي اشتعلت بين المسلمين حين اختلفوا في قوادة القرآن ، وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم ، والمحافظة على كتاب الله من التبديل والتغيير : ﴿ لا تبدلوا لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾^(١).

إن أنق ما يوصف به عمل أبي بكر رضي الله عنه أنه إجراء حكومي نحو تسجيل القرآن الكريم ، وضم جملة من الجذازات الجامعة لسوره في حرز تحت يد الدولة .

أي أن القرآن كان مجموعاً ، متميز السور والمعالم معروف البداية والنهاية ، قبل أن يفعل أبو بكر ما فعل ... ويظهر أيضاً أن الجذازات التي تتبعها زيد هي التي أثبتتها الكتبة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أما ما تناقله جمهور الكاتبيين لأنفسهم والمصاحف الكثيرة التي دون فيها الوحي كله عند الحفاظ من الصحابة ، فإن زياداً لم يعرض لها ، بل تركها لأصحابها .

والحق أن وصف أبي بكر بأنه الجامع الأول للقرآن ينطوي على تجوز كبير . كذلك إسباغ هذا الوصف على عثمان لأنه أمر بجمع الأمة على وجه واحد من القراءة ... وقد وردت أحاديث صحيحة ، تكشف الغموض والإجمال الكامنين في قصة زيد بن ثابت وتكليفه بجمع القرآن كما رواها البخاري .

وهذه الأحاديث - التي سنشير إليها - هي التي تتفق مع التواتر القرآني الذي لا يرقى إليه ريب ... وليت شعري ما قيمة روايات الآحاد إذا خالفت من قريب أو بعيد ما تواتر نقله وتتابع جملة واستفاض أمره وبلغ حد اليقين !!

اجل ... لقد كان القرآن كتاباً معدود السور ، مرتب الآيات ، مدوناً في شتى المصاحف يتلى أثناء الليل وأطراف النهار على النحو المعهود للخاصة والعامة جميعاً ، فلماذا يحتقن المؤلفون بطائفة من الروايات التي ربما أوهم ظاهرها غير هذا ؟

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوا أحياناً نحو ربع القرآن دفعة واحدة في إحدى الركعات من صلاة الليل . وعن عبد الله بن عمرو قال : جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " اقرأه في شهر"^(٢).

(١) سورة يونس : ٦٤

(٢) أخرجه أبو داود - كتاب الصلاة - باب في كم يقرأ القرآن - ٥٤/٢ - حديث ١٣٨٨ . (وهو صحيح) كما قال الألباني - صحيح الجامع الصغير وزيلته - ج ٢٠١ / ٣٧٦ - حديث ١١٦٩ .

وروى مسروق قال : ذكر عبد الله بن عمر و عبد الله بن مسعود ثم قال : لا أزال أحبه ، سمعت النبي ﷺ يقول : " خنوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم و معاذ ، وأبي بن كعب " (١).

وروى قتادة : سألت أنس بن مالك : " من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ؟ ... قال : " أربعة كلهم من الأنصار : أبي ، ومعاذ ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد " (٢) ...

وظاهر أن أنسا يذكر من يعرفهم ولا يحصى ، بدليل الحديث قبله وبدليل ما روى كذلك عند الطبراني وابن عساكر الشعبي : جمع للقرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة من الأنصار أبي بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وأبو زيد ومجمع بن خارجه وكان قد أخذ كل إله سورتين أو ثلاثا ...

وهذه الروايات على سبيل التمثيل فحسب ، وإلا فالحفاظ من الأنصار والمهاجرين وأبناء القبائل الأخرى جمهور غفير يبلغ العشرات بل المئات ، ثم إن تسمية الوحي الأعلى بالقرآن ليست أولى من تسميته بالكتاب فكلا اللفظين علم عليه . وقد توفي صاحب الرسالة والقرآن متلو كله ، ومكتوب كله ولا معنى لتسمية الشيء بأنه كتاب وهو غير مكتوب ، كما لا معنى لتسميته قرآن وهو غير مقروء " (٣).

ومن ثم يقول شيخنا : " وهنا نرى لزاما علينا أن نعتب على نفر من المشتغلين بالتصانيف العلمية أولع بتلقف روايات الأحاد - والتي تستقيم مع أفاده التواتر من يقين - وشغل نفسه وشغل الناس معه بمناقشتها ، مع أنه كان ينبغي رفضها موضوعا ... ولعل الرغبة في تحبير الصحف ، وملء فراغها هو سر هذا التصرف .

كهذا المحرر الذي وجد بقية في جريدته لم تكتب فاخترق خبرا عن حريق اندلع في إحدى البلاد ، ثم عتب عليه بأنه علم - بعد - أن النبأ مكنوب !!

(١) لخرجه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضى الله عنهما - ١٩١٣/٤ - حديث ٢٤٦٤ ، باقظ "أرموا"

(٢) لخرجه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل أبي بن كعب و جماعة من الأنصار - ١٩١٤/٤ - حديث ٢٤٦٥ ، باقظ "ورجل من الأنصار يكتي أبو زيد"

(٣) نظرات في القرآن ، ص ٤٠ - ٤٢ بتصرف

إن هذا في نظري هو التفسير مركز أبحاث الرسائل الجامعية من أن قوله تعالى: ﴿ لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ﴾ (١) أصلها ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ ولكن الكاتب اخطأ فأثبتها ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ ... أقرأت أيها القارئ اللبيب هذا السخف العجيب !؟

الآية التي تليت في المحاريب والميادين ، وترددت في المجالس والمدارس واستفاض من حفظها بين الألوغ بجيء " مصنف " مذهب فيروي عن ابن عباس هذه الخرافة ... ما هذا !؟

وانظر ما قاله شيخنا الجليل عن العلامة الأريب الشيخ أبو شعبة عن هذه الحكاية : " نسبة هذا القول إلى ابن عباس غير صحيحة ، ولا شك من نس الملاحدة والزنادقة " .

قال أبو حيان : " من روى عن ابن عباس انه قال ذلك فهو طاعن في الإسلام ملحد في الدين وابن عباس بريء من هذا القول " .

وقال الزمخشري في تفسيره : " عن ابن عباس وسعيد بن جبير إنما هو : حتى تستأنسوا ، فأخطأ الكاتب ولا يعول على هذه الرواية " .

وقال القرطبي في تفسيره بعد ذكر هذا عن ابن عباس وسعيد بن جبير : " وهذا غير صحيح عن ابن عباس وعن غيره ، فإن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها ﴿ حتى تستأنسوا ﴾ وصح الإجماع فيها من لدن عثمان فهي التي لا يجوز خلافها وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب في لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (٢) .

وقد روى هذا الخبر عن ابن عباس ابن جرير ولا يخلو إسناده من مدلس أو مضعف ورواه الحاكم وصححه !! وتصحيح الحاكم لا يسلم له عند أئمة الحديث ، وقد تعقبه الإمام الذهبي في نحو مائة حديث موضوع أثبتتها في كتابه " المستدرک " ، هذا عدا الضعاف والوهيات التي تملأ كتابه . أنظر كيف سمح المصنفون بخرافة من هذا القبيل المنكر أن تتداول على هذا النحو وكان الواجب أن تستبعد ابتداء وأن يرفض رفضاً باتاً أي ذكر لها .

(١) سورة النور : ٤٢

(٢) سورة فصلت : ٤٢

وهاك - أخي الكريم - مثلا آخر مركز أبحاث الرسائل الجامعية من يجب وفق مقتضيات فن التحديث أن ترفض شكلا ، لا أن نقبل ثم نرفض موضوعا .

فقد ذكر السيوطي في كتابه (الاتقان) - في صدر الحروف السبع التي نزل بها القرآن - قال :
روى أبو داود عن أبي بن كعب قلت : " سمعنا عليما ، عزيزا حكيما ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب " (١).

وعند أحمد من حديث أبي هريرة : " أنزل القرآن على سبعة أحرف : عليما حكيما ، غفورا رحيفا " (٢).
وعنده أيضا من حديث عمر : " بأن القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفرة عذابا ، وعذابا مغفرة " (٣). قال : وأسانيدنا جيد !!... .

وعقب على هذا شيخنا بقوله : " وهذا كله كلام منكر وتخليط شديد ، ووصف هذه الأسانيد بأنها جيد - لو كان صدقا - ما دل على صحة هذه الأحاديث . فإن الحديث الصحيح يشترط في منته خلوه من الشذوذ والعلّة القادحة ، وإن كان سنده قائما . وهذه الروايات انتهت بمتون تخالف المقطوع به ، فكيف تقبل ، ثم تؤول ؟

الحق أنه كان يجب سد الأسماع عنها ، وطي الصحف دونها ، وتطهير تاريخنا الثقافي من ذلك اللغو العريض ... ولكن علماؤنا عفا الله عنهم تساهلوا في الإتصاف لها ، ثم نشغلوا حيننا بتأويلها وحيننا بتزييفها ...

والتساهل في سماع هذه الروايات هو الذي أعطى مادة الجدل والاقتراء لعصبيات المبشرين والمستشرقين . وهو الذي فتح باب الشبه لقصار العقول ، أو مغشوشى الضمائر ، ونحن وجدنا المسئولون ...

وقد يعتذر لمسالك الأقدمين بأن الطبيعة العقلية للإسلام والحرية الهائلة التي صاحبت مسيرة هما سير هذا الأخذ والرد والقبول والرفض ، وترك هذا الحشد للكثيف من المعقولات والمنقولات يمرح ويتلاطم ...

(١) أخرجه أبو داود - كتاب الصلاة - باب أنزل القرآن على سبعة أحرف - ٧٢/٢ - حديث ١٤٧٧ ، بلفظ " ما لم تخلط " .

(٢) أخرجه أحمد - مسند أبو هريرة - ٦٣٥/٢ - حديث ٨١٩٠

(٣) أخرجه أحمد - مسند أبو طلحة - ١١٢/٤ - حديث ١٥٩٣١

وهيئات أن يتعكر وجه الحق لهذا كله أو لشيء منه ، فإن الأسوار التي تحيط بالقرآن من المناعة بحيث لا ينال منها وهم وهم .

وطمأنينة الأقدمين إلى هذه المناعة هي التي جعلتهم لا يباليون باستقبال الشبهات ، وتدوين شتى المرويّات ... ومع قيمة هذا الاعتذار فأني أود لو غربلنا تراثنا العلمي حتى ينفي من هذه الترهات ^(١).



(١) نظرات في القرآن ، من ٤٤ - ٤٥ بتصرف

موقفه من النسخ والرد عليه

النسخ في اللغة يطلق على معنيين :

١- الرفع والإزالة ، يقال : نَسَخْتُ الشمسُ الظلُّ أي لزالته ونَسَخْتُ الريحُ الأثر : لزالته أيضا - قال تعالى : ﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ (١).

٢- النقلُ : يقال نَسَخْتُ ما في الكتاب أي نقلته مع بقاء الأصل . قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

أما النسخ اصطلاحاً فيطلق على :

"الخطاب الدال على رفع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه". (٣)

ويقول الشيخ العلامة محمد الخضري :

" النسخ وهو رفع الشارع حكماً شرعياً بدليل شرعي وهو جائز عقلاً وواقع سمعاً في شرائع ينسخ اللاحق منها السابق ، وفي شريعة واحدة " (٤).
هذا هو النسخ لغةً ، واصطلاحاً ، وفهماً ، وجوازاً .. ترى ما موقف شيخنا الغزالي منه ؟ وما موقفنا منه ؟

ففي كتابه " كيف نتعامل مع القرآن " يكاد يكون فهم معنى خلود القرآن إنكاراً للنسخ ذلك لأن خلود القرآن يعني أن القرآن قادر على الاستجابة لكل الحالات ، وفي الظروف كلها .. وكما أن الآيات خالدة ، فإن المشكلات خالدة ، حتى يكون هناك توازن بين المشكلات والآيات .. وتبقى الحاجة للقرآن قائمة فيما تتقلب به البشرية من كفر ونفاق وهبوط وصعود ، وما إلى ذلك .. أما إذا اعتبرنا أن بعض الآيات نسخت لأن الحالة التي جاءت من أجلها انتهت في المجتمع العربي الأول - مجتمع الجزيرة العربية - فكيف يكون الإسلام خالداً مع هذا الاعتقاد ؟ (٥).

(١) سورة الحج : ٥٢

(٢) سورة الجاثية : ٢٩

(٣) شرح الورقات في أصول الفقه ، عبد الله بن صالح الفوزان ، ص ١١٨ ، ط الثانية ، دار مسلم سنة ١٤١٤ هـ

(٤) أصول الفقه ، محمد الخضري ، ص ٢٤٥ ، ط الاستقامة المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٥٨ هـ ، ١٩٣٨ م.

(٥) نظير كيف نتعامل مع القرآن ، ص ٧٨.

والحق أن هذه الشبهة التي عر مع الخلود حتى يقع البطلان الأ مرحلة تشريعية مهمة في فترة زمنية محددة ، يتكامل بها الخطاب الإلهي المتواصل في حياة الناس إبان الاستخلاف في الأرض للإنسان المكلف .

ثم يقول شيخنا هناك أمران في هذه القضية :

"الأمر الأول - هو أن المجتمع القديم الذي نزل فيه القرآن هو مجتمع بشري ، وأحواله صورة مما يعترى البشرية على امتداد الزمن إلى انتهاء الحياة ، فالحكم في أي صورة من هذه الصور هو حكم بطبيعته ممتد ، لأنه ليس خاصا بهذه الصورة ، بل هو يتجدد مع كل صورة مشابهة لها إلى قيام الساعة ، ومن هنا جاء الخلود .

ثانيا - أن الصورة التي أمامنا والتي تحدث فيها القرآن ، هو لم يكن مجيبا لسؤال فقط بحيث أن القصة تنتهي بانتهاء فهم السائل لما سأل عنه ، لا ... إن الإجابة تكون فيها توسعة وتناول لأمر أخرى كثيرة .. وكون أن سبب نزول الآية كذا ننظر للآية هل هي فعلا عندما تحدثت تناولت السبب ووقفت عنده .. السبب هو مفتاح لكنز من المعلومات الذي انفتح لنا بسبب سؤال فلان ، أو حالة فلان ، أو تطلب الوضع لحل ، هو الذي جاء بهذه الخيرات كلها .

ولذلك لا أنظر لسبب النزول إلا كأنه نوع من السبب الأدنى لهذه المعاني التي جاءت كلها ^(١) . وفي تصور شيخنا أن البشرية لن تخلو على امتداد الزمن من نفس الحالات البشرية التي رأيناها خلال ربع قرن .. فخلال ربع قرن أمكن تقديم نماذج لما يصنعه الخصام واللدد ، وما يصنعه الحب والعاطفة الإنسانية وهي تستقر أو وهي تهاجر .. ما يعترى كل إنسان في أحواله .. كانت نماذج حول النبي - عليه الصلاة والسلام - هي - النماذج - كأنها شخوص موفدة من الغيوب في المستقبل لكي تسمع وترى ما تحتاج إليه في الغد القريب والبعيد مما يقع في أيام النبي - عليه الصلاة والسلام - ولعل هذا سر أن الرسالة إنسانية ولو أن الإعجاز بخارق من خوارق العادات يخلق الإيمان ، لما كان معنى للخلود ، لأن الخارق للعادة ما قيمته إلا لمن نظروه وارتبطوا به ؟ لكن الكتاب كتاب معجز بأنه يتحدث للنفس الإنسانية .. والنفس الإنسانية إذا كانت هناك صور أيام النبي - عليه الصلاة والسلام - موجودة فالصور متجددة إلى قيام الساعة .. فهذه الصور تنتظر إلى القرآن النازل لترى انسه يخاطبها كلها ، ويتعامل معها كلها ، وآياته نفسها مفاتيحها لمشكلاتها كلها إلى قيام الساعة .. ومن هنا ما أظن

(١) كيف نتعامل مع القرآن ، محمد للغزالي ص ٧٨-٧٩.

أن يجيء شيء يلده الزمن ويعبر مركز أبحاث الرسائل الجامعية بها تجعله حلاً للمشكلات ولا صلة له بالواقع المحسوس إلا صفة أنه لا تنسى منبته بدأ الكلام .

ومن ثم فهو يقرر أنه لا يمكن أن يقع هذا في القرآن .. آية بطلت لأن حكمها انتهى ، والشخص أو الجزء الذي اتصل بها تلاشى ، لا يوجد هذا في القرآن إطلاقاً^(١) .

ولعلك - أيها القارئ الكريم - على نكر مما قلناه آنفاً من أنه لا تلازم بين حقيقة خلود القرآن وقضية إنكار النسخ التي قررها سابقاً ، إذ استيعاب القرآن لمعطيات الزمن المتجددة ، ونتائج الفكر المتتابعة ، مرده إلى الألفاظ التي تحمل المعاني الموجودة فعلاً وتحقيقاً ، والمتوقعة فكراً واحتمالاً وهذا ضرب من ضروب الإعجاز ولون من ألوان الإيجاز الذي انفرد به القرآن ، أجل .. لقد تعلق الحظر والإباحة بالمكلفين فعلاً وتركاً في فترة معينة من صدر الإسلام تربية للأفراد وتمهيداً للاختيار وهذا معروف عند الجمهور بالنسخ ، ويتأول شيخنا ما جاء في القرآن الكريم بما يوافق ما قرره في صدد كلامه فيقول : " بالنسبة لسباق آية ﴿ مَا نُنسخُ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنسِئُهَا ﴾^(٢) فالسباق قاطع بأنه لا مكان للقول بالنسخ التكليفي هنا ، والشيخ رشيد رضا - صاحب المنار - نكر هذا الموضوع فالكلام في هذه الآية هو كلام عن القدرة وليس عن أحكام تكليفية وإلا قال في خاتمتها : (ألم تعلم أن الله عليم حكيم .. مثلاً بدل قدير) .

وقوله تعالى في السياق ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ﴾^(٣) قاطع في أنه اقتراح آيات كونية فما الذي سأله موسى من قبل ؟ نريد أن نرى الله جهره ، نريد كذا وكذا ، فهؤلاء يريدون آيات كونية أو خوارق عادات تثبت البرهنة على رسالة محمد ﷺ أما السياق من قبل فهو كلام في بني إسرائيل .

يقول الله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَقَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٤) .

(١) انظر المرجع السابق ، ص ٧٩ بتصرف

(٢) سورة البقرة : ١٠٦

(٣) سورة البقرة : ١٠٨

(٤) سورة البقرة : ٩١

بدأ الحديث إليهم بأنهم هم غير مؤمنين بما لديهم ولا بما لدى غيرهم إلى أن قال جل شأنه : ﴿ ما يهود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (١) فالكلام هنا - كما يقول شيخنا - واضح في أن القرآن الكريم حين نزل ، رحم الله به العرب وخصهم بفضله ، وأعطاهم رسالة جديدة غير الكلام السابق الذي كان الأنبياء الأولون يتلقونه من الله وتؤيدهم فيه رفع الطور أحيانا وما كان يتم من معجزات .

نعم ... إن القرآن نسخ بعض الشرائع القديمة من غير شك ، وبدأ يشكل النفس البشرية من جديد على طريقته في إيقاظ مواهبها وقيادتها إلى الله ... فليس في القرآن تناقض إطلاقا ... كل آية لها سياقها الذي تعمل فيه * (٢).

هذا ولا يخفى أن الآية للكرامة ، بأصل وضعها وسبك لفظها ، مع اعتبار سياقها ولحاقها ، تفيد العموم لشتى الشرائع ومختلف الشعائر ، وليس هناك حجة ظاهرة ، في قصر التخصيص لبعض الشرائع السابقة على الإسلام دون غيرها .

جاء في تفسير القرطبي : (أنكرت طوائف من المنتمين للإسلام المتأخرين جواز النسخ وهم محجوجون بإجماع السلف السابق على وقوعه في الشريعة وأنكرته أيضا طوائف اليهود وهم محجوجون بما جاء في توراتهم ...) (٣) ترى بماذا يتأول شيخنا ما وقع من رفع بعض الأحكام لتفادها وهو المعروف بالنسخ عند جماهير أهل العلم ؟

كأنني به ينظمه في باب العام والخاص لا باب النسخ والمنسوخ ... فيقول شيخنا : " إذ الذين قالوا بالنسخ في بعض الآيات التي كانت في مرحلة من المراحل تشكل حلا لمشكلة قائمة ، أو تنزلت على حادثة بشرية قائمة ، وقدمت لها حلا ، ثم حينما ارتقى المجتمع وجاءت مرحلة أخرى قالوا بأن الآية السابقة نسخت . والشبهة القائمة في ذهن شيخنا ومن معه أن المجتمعات تكرر فيها مثل هذه الحالة السابقة التي كانت .

(١) سورة البقرة : ١٠٥

(٢) كيف تتعامل مع القرآن ، ص ٨٣ - ٨٤ بتصرف

(٣) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ج ٢ ، ص ٤٤ ، للكتب العلمية - بيروت . ط الأولى سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

نعم - كما يقول الشيخ الغزالي - ولذلك خطانا هم وهذا يسببه حاله النهي عن ادخار لحوم الأضاحي كما ورد في قول الرسول ﷺ : " إنما نهيتكم - أي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث - من أجل الدافئة التي دفت فكلوا وانخروا وتصدقوا " (١).

وقوله : " كلوا وأطعموا وانخروا فإن ذلك العلم - أي العلم الذي نهى فيه عن الاضاح - كان الناس جهد فلرئت أن تعينوا فيها " (٢).

ففي يوم ما قالوا : لا تختزن لحوم الأضاحي لماذا ؟ لأن الناس في أزمة وفي حاجة ثم قيل خزنوا لحوم الأضاحي لأن الناس لا تحتاج إلى كل ما نبح فقيل : الثاني نسخ الأول والحقيقة كما يرى شيخنا هي :

أن الحكم الخالد هو : إذا كان اللحم موجودا قليلا لا بد من التوزيع وعدم الاضاح ، وإذا كان كثيرا تستطيع أن تنخر ... هذا هو الحكم الخالد .

والحكم الجزئي الخطأ هو أنك قلت : كان الاضاح ممنوعا ثم ألبح ... هذا غير صحيح ، وهذا عيب الذين يقولون بالنسخ أنهم يظنون أن حكما انتهى أمره لأن القصة لا تتكرر ... القصة إذا تكررت تكرر معها المتصل بها " (٣).

ويحسب شيخنا أن هذا الذي ذهب إليه هو الاتجاه بين جميع العلماء المحدثين الذين التقى بهم أو استمع إليهم أو قرأ لهم حيث كانوا ضد المعنى الذي شاع بين المتأخرين من المفسرين من أن النسخ بمعنى إبطال آيات من القرآن موجود ثم يذكر نفرا من هؤلاء العلماء ، ويتبع ذلك ببعض الأمثلة التي يمكن أن يتأيد بها رأيه في هذا الميدان ثم يقول تعقيبا وتنبیلا :

" فقصة النسخ أو الحكم بتحنيط بعض الآيات فهي موجودة ولكن لا تعمل ، هذا باطل وليس في القرآن أبدا آية يمكن أن يقال أنها عطلت عن العمل وحكم عليها بالموت ... هذا باطل كل آية يمكن أن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - في كتاب الأضاحي ، باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث في أول الإسلام - ١٥٦١/٣ - حديث ١٩٧١

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - في كتاب الأضاحي باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها - ٢٦ / ١٠ - حديث ٥٥٦٩ ، طدار الريان للتراث.

(٣) كيف نتعامل مع القرآن ، ص ٨٠ بتصرف .

تعمل ، لكن الحكيم هو الذي يعرف مركز أيداع الرسائل الجامعية
على أحوال البشر بالحكمة والموعظة الحسنة .^(١) وبذلك توزع آيات القرآن

هذا ويمكن أن تكون بعض الأمثلة التي اعتمدها بعضهم مثالا للنسخ من باب تخصيص العام كما قال شيخنا إلا أننا لا يمكن أن نوافق شيخنا في كل ما يقوله ، إذ المقرر عند علماء الأصول ان هناك فرقا بين النسخ والتخصيص يوجب التباين بينهما وأهمها ما يأتي :

- ١- التخصيص إخراج لبعض ما يتناوله اللفظ من الأفراد ، والنسخ إخراج لبعض ما يتناوله اللفظ من الأزمان .
- ٢- التخصيص يدل على أن المخرج لم يكن مرادا بالحكم ابتداء والنسخ يدل على أن المنسوخ كان مرادا .
- ٣- التخصيص دائما إخراج لبعض ما يتناوله اللفظ والنسخ قد يكون إخراجا للبعض وقد يكون إخراجا للكل .
- ٤- التخصيص لا يرد على الأمر بمأمور واحد ، لأن التخصيص إخراج لبعض الأفراد وهذا يقضي بأن المخرج منه متعدد والواحد لا تعدد فيه ، أما النسخ فإنه يرد على الأمر بمأمور واحد .
- ٥- التخصيص يكون بمقارن وبمتراخ والنسخ لا يكون إلا بمتراخ .
- ٦- التخصيص يجوز بالنقل والعقل والنسخ لا يكون إلا بالنقل .
- ٧- التخصيص لا يخرج العام عن كونه حجة بعد التخصيص على الصحيح عند جمهور العلماء ، أما النسخ فإنه يجعل المنسوخ غير صالح للاحتجاج به .
- ٨- التخصيص لا يجوز وروده على العام بحيث لا يبقى تحته شيء من الأفراد اتفاقا والنسخ يجوز في العام وان أتى على جميع أفرادها .^(٢)



(١) كيف نتعامل مع القرآن ، ص ٨٠ - ٨٣

(٢) أصول الفقه ، للأستاذ الدكتور محمد أبو النور زهير ، ج ٢ ، ص ٢٤١ . دار التوفيق للنموذجية للطباعة . الناشر مكتبة الأزهر للسترات . القاهرة . ١٤١٢ - ١٩٩٢م .

إعجاز القرآن الكريم

آية صدق القرآن الكريم إعجازه الظاهر ، وإعجاز القرآن الكريم ليس مقصوراً على لون معين لا يتعداه إلى غيره أو لا يتجاوزه إلى سواه ... بل صورته متتابعة كثيرة وأشكاله له متنوعة عديدة ... وحسبنا أن نقف على طرف مما ذكره شيخنا الجليل لنتضح الرؤية تجاه القرآن الكريم .

يقول شيخنا تحت عنوان الإعجاز :-

١- الإعجاز النفسي :-

"احتوى القرآن على شرائع الإسلام وأصول دعوته ، لكن هذه الشرائع والأصول لا تستغرق جزءاً كبيراً منه ، فإن الإسلام دين يسير الرسالة ، محدود التكاليف ، وإنما كثرت السور واستبحرت الآيات لكي يمكن عرض الحقائق الدينية في أسلوب عامر بالإقناع ، فياض بالأدلة .

نعم ... نستطيع حصر أحكام القرآن وزبدة عقائده وتعاليمه في بضع صفحات وبضع صفحات ليست شيئاً هيناً ، إنها تتسع لحشد كبير من المعارف الثمينة .

يَبْدُ أن الوحي الإلهي ليس مجموعة من العلوم رصت في كتاب ثم قدمت للناس ، إن عماد هذا الوحي - بعد تقرير الحق الذي جاء به - هو كيف يغرس هذا الحق في النفوس ، وكيف تفتح أقطارها له وكيف تبقى عليه وإن تعرضت للفتن ، وكيف يبقى فيها ، وإن زاحمه الباطل وضيق عليه الخناق بصنوف المحرجات ...

إن وحدانية الله - جل جلاله - أم العقائد الإسلامية ومبدأ التوحيد لا يحتاج في بيانه إلى مجلدات أو كراسات ، بل كلمة التوحيد تنطق في سطر وتنطق في لحظات فهل كذلك الأمر في إشرب القلوب حقيقة التوحيد ؟ وتتبع مسالك الإنسان لنفي الشرك عنها ، وإلزام الصراط المستقيم ؟

ولذلك يقول الله - عز وجل - ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴾ (١)

قد تجد في القرآن حقيقة مفردة ، ولكن هذه الحقيقة تظهر في ألف ثوب وتتوزع تحت عناوين شتى كما تنشق السكر في عشرات من الطعوم والفواكه وهذا التكرار مقصود ، وإن لم ترد به الحقيقة العلمية في مفهومها .

ذلك أن الغرض ليس تقرير الحقيقة فقط بل بناء الأفكار والمشاعر عليها والنقاط آخر ما تخلقه اللجاجة من شبهات وتعلات ثم الكر عليها بالحجج الدامغة حتى تبقى النفس وليس أمامها مفر من الخضوع للحق والاستكانة لله .

ولعل قدرا كبيرا - كما يقول شيخنا - من إعجاز القرآن الكريم يرجع إلى هذا ... فما لظن أمراء سليم الفكر والضمير يتلو القرآن أو يستمع إليه ثم يزعم أنه لم يتأثر به أو يستجب له . إذ ما من هاجس يعرض للنفس الإنسانية من ناحية الحقائق الدينية إلا ويعرض القرآن له بالهداية وسداد التوجيه ... ما أكثر ما يفر المرء من نفسه ، وما أكثر الذين يمضون في سبل الحياة هائمين على وجوههم ، ما تمسكهم بالدنيا إلا ضرورات المادة فحسب .

إن القرآن الكريم بأسلوبه الفريد يرد الصواب إلى أولئك جميعا ، وكأنه عرف ضائقة كل ذي ضيق ، وزلة كل ذي زلل ، ثم تكفل بإزاحتها كلها ...

ولذلك سر التعميم في قوله - عز وجل - : ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل ﴾ الذي ذكرناه آنفا .

حتى الذين يكذبون بالقرآن ، ويرفضون الاعتراف بأنه من عند الله ، إنهم لا يطعنون في التأثير النفساني للقرآن الكريم ، كما إن العميان لا يطعنون في قيمة الأشعة ولذا يقول الله عز وجل : ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضل الله فما له من هاد ﴾ (٢)

(١) سورة الكهف : ٥٤

(٢) سورة الزمر : ٢٣

أجل ... إن تصريف الأمثال للمركز أيداع الرسائل الجامعية ... قال العلماء في شرح الآية ﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من من من ﴾

رددنا وكررنا من كل معنى كالمثل في غرابته و حسنه ، أو سقنا لهم وجوه العبر والأحكام والوعود والوعيد ، والتقصص وغير ذلك .

والمقصود أن القرآن يملك على الإنسان نفسه بالوسيلة الوحيدة التي تقهر تفوقه في الجدل ، أي بتقديم الدليل المفهم لكل شبهة ، وتسليط البرهان القاهر على كل حجة .

فالتكوص عن الإيمان بعد قراءة القرآن يكون كفرا عن تجاهل لا عن جهل ، ومن تقصير لا عن قصور . والجدل آفة نفسية و عقلية معا ، والنشاط الذهني للمجادل يمدد حراك نفسي خفي قلما يهدأ بسهولة .

ولسلوب القرآن في استلال الجفوة من النفس ، وإلقاء الصواب في الفكر أو في على الغاية في هذا المضمار .

ذلك أنه لون حديثه للسامعين تلوينا يمزج بين إيقاظ العقل والضمير معا ، ثم تابع سوقه متابعة إن افلتت المرء منها أولا لم يفلت أخرا كما يصاب الهدف حتما على دقة المرمى ، وموالة التصويب ...

وذلك هو تصريف الأمثال للناس ، أنه أحاط الإنسان بسلسلة من المغريات المنوعة لا معدى له من الركون إلى إحداها . أو معالجة القلوب بمفاتيح شتى لا يد أن يستسلم القفل عند واحد منها وتراكميب القرآن - التي تنتهي حتما بهذه النتيجة - تستحق التأمل الطويل^(١) .

ويتابع شيخنا الحديث عن أحسن الحديث بلسان فصيح و بنان بليغ فيقول :

" و لسنا هنا بصدد الكلام عن بلاغة تراكيب القرآن ، بل بصدد البحث عن المعاني التي تألفت منها ، فكان من اجتماعها هذا الأثر الساحر ...

(١) نظرات في القرآن ، ص ١١١ - ١١٤ باختصار

و هناك مثلا من مئات الأمثلة فالقيامه ثم تحذيرا للإنسان من العقيدة و سلامة الخلق ، وحسن العبادة و نقة المعاملة للناس أجمعين .

﴿ كلا والقمر ، والليل إذ أدير ، والصبح إذا أسفر ، إنها لإحدى الكبر ، نذيرا للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ، كل نفس بما كسبت رهينة ، إلا أصحاب اليمين ، في جنات يتساءلون ، عن المجرمين ، ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين ، حتى أتانا اليقين ، فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾^(١)

حقا ... إننا نقرأ القرآن فيحجبنا ابتداء عن رؤية إعجازه ، إنه كلام من جنس ما نعرف ، و حروف من جنس ما ننطق ، فمضى في القراءة دون حس كامل بالحقيقة الكبرى .

إلا أن طبيعة هذا القرآن لا تلبث أن تقهر برودة الألف ، وطول المعرفة ، فإذا كتاب تتعري أمامه النفوس ، وتتسلخ من تكلفها و تصنعها و تنزعج من ذولها و ركودها و تجد نفسها أمام الله - جل شأنه - يحيط بها و يناقشها و يعلمها ويؤذيها ، فما تستطيع أمام صوت الحق المستعلن العميق إلا أن تخشع و تصيب .

و كما قهر القرآن نوازع الجدل في الإنسان و سكن لجاجته تغلب على مشاعر السامة وأحاسيس الملل فيه ، وأمدته بنشاط موصول لا ينفذ أبدا .

ولا يخفى أن الجدل غير الملل فالأول تحرك ذهني قد يجسد الأوهام و يحولها إلى حقائق ، و الثاني مولت عاطفي قد يجمد المشاعر فما تكاد تتأثر بأخطر الحقائق .

والقرآن الكريم في تحدته للنفس الإنسانية حارب هذا كله وأقصاه عنها إقصاء ، وعمل على تجديد حياتها بين الحين و الحين حتى أنه ليتمكنها أن تستقبل في كل يوم ميلادا جديدا ﴿ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا و صرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ﴾^(٢)

(١) سورة المنثر : ٣٢ - ٤٨

(٢) سورة طه : ١١٣

وأحداث الذكر هو تجديد معنويان - أسلوب الغفلة . وأسلوب القرآن في هذا إجمال يربى على كل تقدير .

إنه يخترق أسوار الغفلة ويصل إلى صميم القلب ، ثم يقف راغبا أو راهبا بإزاء ما يريد . وقد توجد سورة بأكملها حافلة بهذه الآثار المحركة لوعي الإنسان ، المجددة لقواه و مشاعره كلما استرخت و فترت .

وقد تقوم سور أخرى على طراز من المعاني التوجيهية كالتشريعات والأحكام لا صلة لها بانفعالات القلوب ، وذلك لا يغير من الحقيقة التي قرناها آنفا ، فإن شئون المعاملات في القرآن تستمد قداساتها وصدق التأثير بها من مقررات العقيدة والتقوى التي غرستها سائر السور والآيات .

والشعور بالرهبة و الرقة يغمرك وأنت تسمع إلى قصص الأولين والآخرين بلسان الحق ، ثم يتبعها فيض من المواعظ والحكم والمغازي والعبر تقشع منه الجلود .

والهدف الأهم والمقصد الأعظم من وراء هذا السرد المحكم العجيب المتكرر ليس بيان الحق فقط أو إظهار الصدق فحسب - بل هو إلى جانب ذلك - تعميق مجراه في القلوب وتثبيت معانيه في الأفئدة تعميقا ينفي ما طبع عليه الإنسان من الجدل وتثبيتا ، يدفع ما جبل عليه من الملل .^(١)

٢- الإعجاز البياني :-

تحت هذا العنوان يقول شيخنا :

" أما بعد قراءة القرآن ، أجزم أن قائل هذا الكلام محيط بالسموات والأرض مشرف على الأولين والآخرين ، خبير بأغوار الضمائر وأسرار النفوس ، يتحدث السيد الحقيقي إلى عباده الذين خلقهم بقدرته ، ورباهم بنعمته ، ويتناول الأمم والقرون في حالة من الجبروت والتعالي ، يستحيل أن تلمح فيه شارة لتكلف أو إدعاء .

ومع رفعة المصدر الذي تحس أن القرآن جاء منه وإحساسك بأن هذا الشيء أتى من بعيد ، فإنك ما تلبثت أن تشعر بأن الكلام نفسه قريب من طبيعتك ، متجاوب مع فطرتك صريح في مكاشفتك بمالك وما عليك ، متلطف في إقناعك فما تجد بدا من لتقيادك لأدلته ولفساح صدرك لتقبله .

(١) نظرات في القرآن ، ص ١١٤ - ١١٧ باختصار وتصرف

وقد يتساءل كثيرون عن أسرارها وتضمنها والذي سداها ولحمتها لشك أن المعاني التي المعنى على جلاله إن لحقه قصور في صورته وأثره ، نقصت قيمته ، وطاشت دلالاته .

وهناك معان جميلة في نفوس أصحابها ولو استبان في السطور لأشرقت بها الصحائف ... ولكنها مشاعر في النفوس وحسب .

فتصوير المعنى الصادق حتى يبرز في الحروف كما يبرز الجمال الإنساني في أبيه حلله ، وحتى ينتقل سناه إلى الأئمة نفاذا أذا ركن ركين في خدمة الحقيقة وبسط سلطانها ، وإزاحة العوائق من أمامها^(١)

ثم يتابع شيخنا قوله :-

" أجل ... إن القرآن الكريم لم يخرج في لغته عن سنن العرب في كلامهم أفرادا وتركيبا ، وذلك في جملته حق لا ريب فيه ، وبذلك كان أدخل في الإعجاز وأوضح في قطع الأعدار .
(ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي ...)^(٢)

وهل ذهب عنك أيها القارئ الكريم - أن مثل صنعة البيان كمثل صنعة البنين ... فالمهندسون والبنائون لا يخلقون مادة بناء لم تكن في الأرض ، ويخرجون في صنعتهم عن قواعد العامة ، ولا يعدو ما يصنعونه أن يكون جدرانا مرفوعة وسقفا موضوعة وأبوابا مشرعة .

ولكنهم تتفاضل صناعتهم وراء ذلك في اختيار أمتن المواد وأشدها وأبقاها على الدهر وأصلبها وأكثها للناس من الحر والقر ، وفي تعميق الأساس ، وتطويل البنين وتخفيف المحمول منها على حامله ، والانتفاع بالمساحة اليسيرة في المرافق الكثيرة ، وترتيب الحجرات والأبهاء بحيث يتخللها الضوء والهواء .

فمنهم من يفني بذلك كله أوجله ومنهم من يخل بشيء منه أو أشياء إلى فنون من الزخرف يتفاوت الذوق الهندسي فيها تفاوتا بعيدا ، كذلك ترى أهل اللغة الواحدة يؤدون الغرض الواحد على طرائق شتى يتفاوت حظها في الحسن والقبول .

(١) نظرات في القرآن ، ص ١٣٠ - ١٣٣ باختصار

(٢) سورة فصلت : ٤٤

وما من كلمة من كلامهم ، و
ويملك قلبك . وسوء الاختيار
منه طبعك .
ترعى سمعك وبتلج صدرك ،
وتفتقر منه نفسك ، وينفرو

نعم ... إن جملة واحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء ، وإلى الأنكباء والأغبياء إلى السوقة والملوك ،
فيراها كل منهم مقدره على مقياس عقله ، وعلى وفق حاجته ، فذلك مالا تجده على أتمه إلا في القرآن
الكريم .

فهو قرآن واحد يراه البلغاء أو في الكلام بلطائف التعبير ، ويراه العامة أحسن كلام وأقربه إلى عقولهم
، لا يلتوي على أفهامهم ، ولا يحتاجون فيه إلى ترجمان وراء وضع اللغة ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر ﴾ (١)

فهو متعة العامة والخاصة على السواء ، ميسر لكل من أراد إقناع العقل و" إمتاع العاطفة " أجل ...
إن للنفس الإنسانية قوتان : قوة تفكير وقوة وجدان وحاجة كل واحدة منها غير حاجة أختها .

وأما إحداهما : فتتقب عن الحق لمعرفته ، وعن الخير للعمل به ... وأما الأخرى : فتسجل إحساسها
بما في الأشياء من لذة وألم .

والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ، ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين ، فيؤتيها حظها من
الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا إنك لن تجد مثل هذا الأسلوب في كلام الناس .

إن أسلوبا واحدا يتجه اتجاها واحدا يجمع في يديك هذين الطرفين معا ، كما يحمل الغصن الواحد من
الشجرة أوراقا وزهورا وأثمارا معا ، أو كما يسري الروح في الجسد والماء في العود الأخضر ...
فذلك ما لا تظفر به من كلام البشر ولا هو من سنن الله في النفس الإنسانية .

إنه كلام من لا يشغله شأن عن شأن ، ولا أمر عن أمر ... ذلك الله رب العالمين . وهو القادر على
أن يخاطب العقل والقلب معا ، وأن يمزج الحق والجمال معا ، يلتقيان ولا يبغيان وأن يخرج من بينهما
شربا خالصا سائغا للشاربين . (٢)

(١) سورة القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠

(٢) نظرات في القرآن ، ص ١٣٤ - ١٣٩ بتصرف واختصار

٣- الإعجاز العلمي :-

" لا سبيل - كما يقول شيخنا ، وإنما طريق التعرف على الله يبدأ من طريق التأمل في خلقه ، وعن طريق التفكير السليم في الحياة والأحياء ، واستخلاص المعارف القيمة الخارجة من الأرض أو النازلة من السماء ، يمكننا أن ندرك طرفا من عظمة الخالق الأعلى ، وما ينبغي أن يوصف به من كمال . كيف يعرف روعة القدرة ، وإحاطة العلم ، ودقة الحكمة ، وجلال الموجد الكبير ، امرؤ مغلق الذهن ، مكفوف البصيرة ؟ يمشي على الأرض ، كما تمشي السائمة لا يستبين من صفحات العالم إلا ما تستبينه الدواب من قوانين الكهرباء أو أسرار الجانبية أو معالم الجمال أو طبائع العمران ؟؟؟

وكلما زانت معرفتنا بمادة الوجود وسره وانكشفت لنا آياته وخباياه أحسنا أن عظمة المبدع الماجد فوق ما يطيقه وعينا المحدود ، وأن التحية التي تقدم لهذا الإله الجليل هي الاعتراف بأن مظاهر وجوده بهرت كما يبهر الإنسان المتألق عيون الناظرين !!!

إن درسا في الطبيعة والكيمياء هو صلاة خاشعة . وإن سياحة في علم الأفلاك هو تسبيح و تحميد . وإن جولة في الحقول الناضرة ، والحدائق الزاهرة ، أو جولة مثلها في المصانع الطافحة بالحركة المائجة بالوقود والإنتاج ، هي صلة حسنة بالله ، ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .^(١)

حقا ... فكل في الحقيقة مرجعه إلى الله ، وإن لم يصل رجال العلم بعد إلى الله ... وكل في حكم الدين نفسه مرجعه إلى الله ، إذ إن هذه الحقائق الطبيعية التي يكشف عنها العلم ببحوثه إن هي إلا نوع من كلمات الله أو هي كلمات الله الواقعة النافذة كما أن آيات الله هي كلمات الله الصادقة المنزلة .

ولقد سمي القرآن حقائق أسرار الخلق كلمات الله مثل قوله :

﴿ ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾^(٢) ...
وقوله : ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾^(٣)

(١) المرجع السابق ، ص ١١٨ - ١١٩ باختصار

(٢) سورة لقمان : ٢٧

(٣) سورة الكهف : ١٠٩

وكلمات الله في هاتين الآيتين المنزلة محصورة محدودة في حين أن كلماته المشار إليها في هاتين الآيتين لا حصر لها ولا نهاية فلا بد أن تكون هي كلماته النافذة في خلقه والتي يبدو أثرها متجسما فيما يشاهد من الحوادث ، وفيما يكشف من أسرار الكون .

والإسلام متسع للعلم كله حقائقه وفروضه ، والمجتهد مثاب أخطأ أم أصاب مادام يريد وجه الحق وإن كان العلم لا يعرف إلى الآن أن سبيل الحق من سبيل الله .^(١)

ثم يكمل شيخنا حديثه عن الإعجاز العلمي للقرآن بقوله :

" فالكلام في القرآن الكريم عن مراحل الخلق وتطور الأجنة وما إلى ذلك مما أثبتته العلم بعد آماد ، لاشك أنه يدل دلالة واضحة على أن القرآن الذي أخبر بهذا ضمن الظروف العلمية السائدة هو من عند الله وانفراد القرآن بهذا الوصف قبل أن يكون هناك تصوير بالأشعة وقبل أن يكون هناك علم تشريح هذا من دون شك المعروف بالإعجاز العلمي للقرآن ، لأن المقصود بالإعجاز هو أن يعجز الإنسان عن الإتيان بآياتتدانيه ، أو بتعبير آخر في أنني استطعت بنظر غير طبيعي أن أعرف ما هنالك ، فإذا كان الناس قد وصلوا من بعد إلى هنالك بقى لي حق تاريخي ، وهذا دليل صدقه .

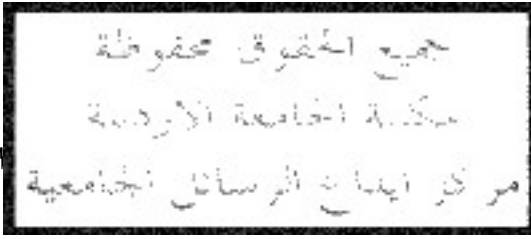
ككون عيسى عليه السلام شفى مريضا ، فذلك من الإعجاز ... وكون هذا المريض يشفى بالعلاج بأدوية الآن ، فهذا لا يبطل إعجاز عيسى عليه السلام .

أجل ... إن القرآن يجعل بناء الإيمان على دراسات كونية ودراسة إيمانية نفسية ، وهو يخالف بهذا الكتب السماوية السابقة التي يكاد يكون مصدر الإيمان فيها الرسول الذي جاء يحدث الناس عن الله ، أما تكليف الناس بأن يرتبوا نتائج على مقدمات بفكرهم ، هذا هو الذي فرضه القرآن في مثل قوله تعالى : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴾^(٢)

ولذلك مع التقدم العلمي الجديد الذي صدق وصف القرآن للكون ، يجيء التلاقي بين العلم والإيمان . وإذا كان هنالك بعض الناس يجعل الإيمان من أعمال الوجدان أو القلوب إلا أن الإيمان هو أثر من أثر

(١) نظرات في القرآن ، من ١٢١ - ١٢٢ بتصرف واختصار

(٢) سورة سبأ : ٤٦



الملائكة وأوتوا العلم قائمًا

العلم ابتداءً ، ولذلك قوله سبحانه
بالقسط^(١)

لا بد من عقل جبار قائم يكشف الحقائق ، ويزيح عنها الستار ، ويتعرف على ما تلمسه الملائكة بحسبها
ونعرفه نحن بعقولنا ... العقل هنا أساس .

عظمة القرآن من الناحية العلمية ، أو ما نسميه الإعجاز العلمي ، هي أن الكون هو الوعاء الذي يضم
عناصر الإيمان الأساسية بدأ قديماً الأمر بالنظر فيه وتحول النظر فيه الآن إلى عمل للناس ... إن ما
وضع الناس فيه أصابعهم واستيقنوا منه ، كان القرآن يصوره قبل هذا اليقين ، كأنه فعل ملموس ...
وهذه هي عظمة القرآن .^(٢)



^(١) سورة آل عمران : ١٨

^(٢) كيف نتعامل مع القرآن ، محمد الغزالي ، ص ١٣٧ - ١٤٢ بتصرف واختصار

الفصل الثالث

دفاعه عن القرآن الكريم

- المبحث الأول : القرآن والعلم .
- المبحث الثاني : القرآن والكسب العلمي .
- المبحث الثالث : حملة صليبية على الإعجاز العلمي .
- المبحث الرابع : فقه سيدنا عمر في تطبيق النص القرآني .

دفاع شيخنا الجليل عن القرآن الكريم

إن جهود شيخنا الغزالي لم تقتصر على تلك القضايا المتعلقة بعلم القرآن والتي انتشرت في كتب التراث وتشعبت فيه .

أجل ... لقد حقق شيخنا كثيرا من هذه القضايا ، تحقيقا جمع بين الإدراك العميق لما نكره السلف في كتبهم تلك ، والتحقيق الوثيق للقواعد العامة لهذا الدين الحنيف . وكذلك حرر عددا من المسائل التي كثر حولها الغلط واللغظ تحريرا ، كشف به عن مزايا الكتاب العزيز .

وتابع شيخنا جهوده المباركة في هذا الميدان الفسيح ، فوقف بالمرصاد لكل من سولت له نفسه الخبيثة ، التناول على القرآن الكريم ، أو النيل من مقرراته الثابتة ، والطعن في تعاليمه الراسخة ، مرة بزعم التحقيق العلمي الهزيل ... ومرات بالتأويل المريب والمرجفون بين هذه وتلك يبغون التشكيك على أقل تقدير في المسلمات اليقينية للحقائق القرآنية .

ولكن ... هيهات هيهات لما يفعلون وفي ساحة القرآن ورحابه أمثال شيخنا الغزالي الذي وقف حياته لبيان الحقائق القرآنية وكشف الزيغ فيها ، لتبدو كالبدر ليلة التمام .



المبحث الأول القرآن والعلم

"حقا ... لم يكن العلم بمعناه المدرسي موضوع القرآن ، وإنما كان موضوعه الإنسان وهدايته ... فالقرآن محله الإنسان ، والعلم هو الموقع الذي ينظر الإنسان إليه ويكسبه بهداية الله ... وهناك بعض الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن للفت النظر إليها ، ودفع الناس إلى النظر والبحث والتجربة والملاحظة والكشف عن القوانين والسنن ، وكيف يمكن الوصول إلى إدراك قوانين التسخير التي تحقق عمارة الأرض وتمكن من القيام بأعباء الاستخلاف .

أجل ... إن كلام القرآن عن الكون والإنسان يتفق مع العلم لأن موضوع العلم هو الكون والإنسان ... فوحدة الموضوع متحققة بين القرآن والعلم .

وهذه الوحدة في الموضوع هي التي جعلت بعضهم يرى إعجاز القرآن علميا ، ذلك أنه يكفي مع تقدم العلوم ، ما ذكره جملة لا يمكن أن يقف العلم عندها منكرا ، وهذا هو المستوى الأدنى^(١) .

ويأخذ شيخنا مما قرره سابقا أن القرآن الكريم ينظر إلى ربنا جل جلاله على أنه يضارع الكون ، كأن الكون إذا وضع في كفة ، والقرآن في كفة ، فكلاهما يولزي الآخر .

وآية ذلك أنه عندما أراد ربنا أن يتكلم عن بركته وامتداد نعمه ذكر مرة القرآن ومرة الكون ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾^(٢) ، ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾^(٣) ، وعندما أراد أن ينكر أهل النناء الحسن والحمد والشكران قال : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ﴾^(٤) ، وقال : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾^(٥) ... هذا هو التوازن بين الكون والوحي يبقى لأخر الزمان ، كلاهما يدل على الآخر .

(١) كيف نتعامل مع القرآن ، ص ٢١٠ بتصرف واختصار

(٢) سورة الملك : ١

(٣) سورة الفرقان : ١

(٤) سورة الأنعام : ١

(٥) سورة الكهف : ١

ويرى شيخنا أنه يكفي القرآن إعجازاً علمياً ، أنه وضع الإنسان في المناخ العلمي ، وفتح نوافذه كلها للنظر في المعارف ... ومع هذا فإننا لا نستطيع أن نقول إن الكتاب العزيز كتاب فني وضع قوانين علمية ، لأنه ليس هناك قوانين علمية إسلامية ، وأخرى نصرانية قوانين الكشف العلمي واحدة ، فلا يجوز التجاوز في التعبير ، وليس لأحد أن يورط الوحي الإلهي في هذا .

نعم ... ربما نستعمل مصطلح إسلامية العلوم ونعني به تحدد المنطلقات الفكرية على ضوء القيم الإسلامية والتوجه إلى تصريف رسالة العلم لتحقيق أهداف معينة جاء بها الإسلام ، والمطلوب توجيه النشاط العلمي في اتجاهها ... كأن المقصود فلسفة العلم وليس آياته . فهناك عقل وتدبير ... فكون العلم يغطي هذا ويمر ببرود ، دون أن يتحدث عن الله ، فهذا شيء فيه كنود . نعم ... العلم شيء غير أخلاقه وفلسفته التي ينطلق منها ، وغير رسالته التي يؤديها في الحياة ... ويضرب شيخنا مثلاً لذلك بأن مجموع درجات زوايا المثلث ١٨٠ فما دخل الدين في هذا ؟ لكن عندما ننقل الحقيقة العلمية لتكون في عملية هندسة البناء ، ندخل فلسفة الإسلام في توظيف هذه الحقيقة واستثمار العلم .^(١)



(١) انظر المرجع السابق ، ص ٢١١ - ٢١٢ بتصريف واختصار

المبحث الثاني

القرآن والكسب العلمي

تحت هذا العنوان سئل شيخنا عن السبب في تحول المسلمين عن المنبهات العلمية ، والأوامر التي وردت بالنظر في القرآن الكريم إلى لون من التخلف والجهل بقضايا القرآن ، والعدول وعدم القدرة على العيش بمناخ القرآن ، والاستجابة لدعوته ، والتخلف في شعب المعرفة الكثيرة التي يمكن أن يعتبر القرآن مصدرا لها ؟

فأجاب بقوله : " هناك ثلاثة أسباب في نظري :-

لعل السبب الأول منها : يرجع إلى الطبيعة العربية طبيعة تهوى صناعة الكلام ، وكان صناعة الكلام عند العرب هي الأساس في التقدم ، ولعل الآن أصبحت الزخارف الكلامية طبيعة عندنا ، وأصبحنا نكتفي بزخارف الكلام وبيانه عن الحقيقة نفسها ، فإلى الآن تجد أن مشروعا يقام ، فيكون أول ما يفكرو فيه القائمون بأمر : كيف سيكتبون البيان الصحفي الذي يتحدث عن المشروع ، وتجد أن البيان شيء وحقيقة المشروع شيء آخر ... فالاهتمام هنا بالبيان أكثر من المشروع نفسه ... فهذه طبيعة رديئة في العرب .

والسبب الثاني في تخلف المسلمين - وهذا قد يكون مسينا لبعضهم - انشغال المسلمين أكثر من المطلوب بالمرويات ... ما صحح من السنن يمكن أن يكون عدة آلاف . لكن السنن التي انشغل المسلمون بها ولا يزالون ، عدة مئات من الألوف ... هذا جمد العقل المسلم ، وجعله عقل نقول ومرويات أكثر من عقل بحث في الكون ... سيدنا عمر رضي الله عنه منع الاشتغال بغير القرآن ، لكن عصى أمر عمر ، ولو انشغل المسلمون بالمتواتر والصحيح فقط ، لكان الأمر هينا ، لكن المشكلة أن المرويات كثرت إلى حد بعيد ، والمساحة العقلية للبشر محدودة ، فإذا أخذت المساحة هذه المرويات ، فما بقي للعقل مساحات أخرى يفكر فيها ؟

قد تكون المشكلة التي حدثت من انطلاق العقل العلمي ، أن هناك مرويات واهيات تصطدم بالعقل العلمي ... والناس يتهيّبون من الإقدام على فحصها واختبارها ، وكان من نتيجة ذلك أن العقل المسلم أصبح متخلفا .

لما السبب الثالث من أسباب تخا
 نبينا محمدا ﷺ عاش فقيرا
 ، فحكم باسمه من يريد جمع القناطير المقنطرة من الذهب والفضة !!

نبينا محمدا ﷺ الذي ألغى الأنساب ، وقال لقومه : " لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني
 بأنسابكم ".^(١) هو الذي قامت قبيلته بفرض نظام الأنساب ، واستغلال الصلصة بالأسرة النبوية ، أو
 الأسرة نفسها في حكم المسلمين .

فساد الحكم كان له دخل هائل ... وليس عند الحاكم مانع في أن يشغل الناس أنفسهم بالمرويات التافهة
 ، بل يضع لهم من يؤلف لهم " عنتره بن شداد " و " حمزة البهلوان " . و " ألف ليلة وليلة " حتى
 ينشغلوا عنه وفساد الحكم من أهم أسباب انهيار الحضارة الإسلامية .

ومع الأسف فالفساد السياسي عندنا له أثر كبير أكبر من غيره ، ولذلك كان ينبغي أن يلتفت المسلمون
 إلى أن الفساد السياسي سيعيق نهضتهم ما بقي هؤلاء الساسة المستبدون وما بقي حكم الفرد لكننا
 حائرون الرعاع الذين حكموا في العالم العربي باسم الثورة والاشتراكية والديمقراطية ، كان لهم
 بطش لم يعرفه الأباطرة الظلمة من آل عثمان ، وخلفاء السوء من العباسيين !! والمؤسف أن ظلت
 بعض تقاليد الأسر الحاكمة اشرف من الحريات التي ادعاها هؤلاء الرعاع !!

حقا ... إن دولة الخلافة الراشدة لها قسمان : قسم معترف بأنه لا نظير له " دولة أبي بكر وعمر " و
 ونحن نرى معهما عثمان وعلياً - رضي الله عنهما - بالرغم مما حولهما من لغط كثير ، يمثلون فعلا
 الخلافة الراشدة ... لأن عثمان ﷺ لم يفكر قط ، بتعبير العصر الحديث ، بأن يأمر بإطلاق الرصاص
 على الجماهير ... بل كان طيعا في أيدي الجماهير ، وشاعرا بأنه لا يملك الاستئثار بالأمر برمته ...
 ولعلنا نظن بأن العرب فوجئوا بهذا اللون من النظام الذي أعطاهم حريات ما كانوا يحلمون بها ، فلم
 يحسنوا استغلالها فكان رد الفعل أن سلبوا الخلافة الراشدة ، وجاءت الخلافة . باتفاق - غير راشدة
 ... فالخلافة التي جاءت من بعد ، سواء كانت أموية أو عباسية ، كانت غير راشدة ، لأنها جاءت
 بطريق كسرى عن كسرى ... الخليفة مات فالحكم وراثي ، ويتحايلون على ذلك بالمبايعات ما قيمة
 المبايعات ؟ ... مثلهم في ذلك مثل بني إسرائيل ، عندما حظر عليهم الصيد يوم السبت جزوه يوم
 السبت ، وأخذوه يوم الأحد .^(٢)

(١) الحديث رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن رقاعة عن أبي رافع رضي الله عنه ، في كتاب معرفة الصحابة ، باب فضائل قريش ،
 بلفظ " لا يأتيني الناس بالأعمال وتأتوني بالآقتال فيعرض عنكم " وقد صححه الحاكم وتبعه الذهبي [المستدرک ٤/٧٣]

(٢) كيف نتعامل مع القرآن ، ص ١٤٣ - ١٤٦ بتصرف واختصار

ويستدل شيخنا بعظمة النظام الإسلامي من شواهد التاريخ فيقول :
" رأيت الشورى في موضعين : كان يمكن أن تلغى الشورى فيهما لو أن الإسلام نزاع إلى حكم الفرد
في يوم أحد أكد الرسول ﷺ على الشورى مع أن الهزيمة - بحسب الظاهر - كان سببها الشورى حين
استجاب لرأي شباب المسلمين في الخروج من المدينة لملاقاة المشركين وكان ﷺ يحب غير ذلك ...
هذه واحدة .

لشيء الثاني في سورة الشورى وجنت أن الشورى سابع خصلة من خصال الإيمان التي لا أجد من
بينها خصلة واحدة يمكن اعتبارها نافلة ، يقول تعالى :
﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم
وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾^(١)

تري ... أي شيء من هذه الخصال نافلة ؟ كلها فرائض ، ومع ذلك استقر في الفقه وفي التفسير أن
الشورى غير ملزمة !!

قلت ... من أين جاء ذلك ؟ إنه أثر الحكم الفاسد ... ثم ما معنى أن تكون الشورى غير ملزمة ؟ وما
فائدتها إذن ؟ ذلك تفكير عقيم وخطير .

أرى أن غيرنا استطاع ، على عجل ، أن يحل إشكاله ولو بالسيف ، الإنجليز والفرنسيون والأمريكان
... عانت الجماهير من الحكم والاستبداد فقاومتهم ... ولذلك أنا لرفض الاغتيال السياسي ، لأن
الاجتيال يدل على شجاعة فرد وجبن أمة ، ولذلك يذهب من يغتال ويجهل بعده من يكون أسوأ منه أو
مثله ، وانتهى الأمر ... لم يصنع هذا الغربيون عندما استأصلوا الجرثومة من أساسها بثورات
كبيرة .^(٢)



(١) سورة الشورى : ٣٦ - ٣٨

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٦ - ١٤٧ بتصرف

حملة صليبية على الإعجاز العلمي

تحت هذا العنوان يقول شيخنا :

" تدارست مع أحد الإخوة ما نشره المعهد البابوي عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، وشعرت بأن قدرا كبيرا من التحريف والمغالطة تخلل الكتابات المنشورة في هذا الموضوع المهم .

إنه يسرنا أن يقرأ القوم ما لدينا ، وأن يتناولوه بالنقد العلمي ، ولهم الحق في إبداء وجهة نظرهم المخالفة ، وما نشكو أبدا من هذا المسلك .

لكن مجلة " الدراسات العربية والإسلامية " الصادرة عام ١٩٨٥ ميلادية أعدادها ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ تتكبت هذا النهج ، واتخذت طريقا آخر يخدم الحملة على الإسلام ، ويحقق سياسة الفاتيكان في النيل منه ، وتعكير مستقبله .

ترى المجلة أن الحديث عن الإعجاز العلمي للقرآن بدعة اختلقها دكتور موريس بوكاي ، وأن المسلمين أعجبته هذه البدعة المساعدة فطاروا بها هنا وهناك ...!!

وهذا كلام باطل فما كتبه موريس بوكاي أواخر السبعينات من هذا القرن لم يأت بجديد يفاجئنا بروعته ، بل أكد ما كان معروفا لدينا . والحديث عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم كان شائعا قبيل ذلك بنصف قرن .

كان الأستاذ محمد أحمد الغمراوي في سنة ١٩٣٧م - كما يقول شيخنا الغزالي - يدرس كتابة " سنن الله الكونية " في السنة الأولى من كلية أصول الدين بالقاهرة ، وما أدرى أكان موريس بوكاي ولد أم لا ؟ فكيف يقال إنه صاحب " موضة " الإعجاز العلمي ؟

وقد اعتمدت على كتاب الغمراوي وأنا أتحدث عن الإعجاز العلمي في كتابي " نظرت في القرآن الكريم " المؤلف من ثلاث قرن تقريبا ، وحديث العلماء عن هذا اللون من الإعجاز مأنوس مندرس في كتبنا من زمان بعيد .

وتمضي المجلة في وهما عن دور موريس بوكاي في الإعجاز العلمي كعرض ما كتبه الأستاذ أحمد حفني عن التفسير العلمي للآيات الكونية ، وكأنه فيما كتب قد تأثر ببوكاي ، وأنا موقن بأن المحرر يعرف أن كتاب أحمد حفني صدر لواخر الخمسينات ، وأنه لم ير بوكاي ولم يقرأ له فكيف يتأثر السابق بعشرين سنة باللاحق المتأخر الذي جاء بعده ؟

لكن هذا اللبس مقصود للأسف ، ولا يعتذر عنه بأن الطبعة الثانية لكتاب " أحمد حفني " صدرت عام ١٩٨٠م ، فإن الطبعة السابقة كانت عام ١٩٦٠م وقد تحدث المؤلف عن آرائه في دروس ومحاضرات كثيرة قبل ذلك ، والعلاقة بينه وبين موريس بوكاي مقطوعة !

ثم يومه المحرر جمهور القراء بأن الإعجاز العلمي - الذي أرخ له على نحو ما رأيت - قد تعرض له بالترتيب والرفض كاتب عظيم هو الدكتور كامل حسين ، وأن له مقالا منشورا عام ١٩٨٣م فند فيه هذا الإعجاز وأبطله

والدكتور كامل حسين مات من عشر سنين ^(١)، والمقال المنسوب إليه نشر عام ١٩٦١م وهو مقال نعرف قيمته عندنا ونعرف كاتبه ...

كامل حسين طبيب بشري ، كرس حياته في دراسة المذاهب الباطنية من قرلمطة ونصيرية واسماعيلية ... الخ ، ثم ألف قصة عنوانها " قرية ظالمة " تعبير من الأدب التبشيري الحديث !! ومات الرجل والكنيسة راضية عنه ...

أما مقاله عن الإعجاز العلمي الذي حظي بالثناء المستطاب : فهو مقال محشو بالسباب ، وليست له قيمة علمية وقد أضفت المجلة البابوية نعوتا طيبة على الطبيب المريب ، وهو كما نكرنا ^(٢).

ويقول شيخنا في نفس السياق السابق الذكر :

" إننا سنتحدث عن نماذج للتفسير العلمي أنق وأصدق مما اختار محرر " مجلة الدراسات العربية الإسلامية " التي تصدر بروما ، ولكن قبل هذا الحديث نشجب التلخيص العلمي الذي ظهر جليا فيما ساقه المحرر من توليخ للأشخاص والبحوث .

(١) هذا ما ذكره شيخنا في كتابه " الطريق من هنا " الصادر في طبعته الثانية سنة ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م ، عن دار القلم.

(٢) الطريق من هنا ، محمد النزال ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، الصادر من طبعته الثانية سنة ١٩٩٦م ، عن دار القلم.

ويظهر أن اللعب بالتوريق عاد وتضليل الجماهير .

عندما انهزم الرومان قديماً أمام الفرس كانت هزيمتهم من الشدة والخزي بحيث فُتِر العالم أن الرومان لن تقوم لهم قائمة بعدها

لقد فقدوا مستعمراتهم في الشرق الأوسط كلها ، وأرغموا على دفع غرامات فادحة من أموالهم ونسلتهم ، وهذا نلّ ما وراءه نلّ !!

بيد أن صوتاً فذاً في أعماق الجزيرة العربية كذب الظنون كلها ، وباعت الناس بخبر مثير هو أن الروم سوف ينتصرون في بضع سنين !! ولم يكن هناك ما يدفع لتصديق هذه النبوءة العجيبة . وانتصر الروم في الأمد الذي حددته النبوءة وانهزم الفرس انهزاماً سلبهم ما أخذوا وكاد يفقدهم أنفسهم .

وكان على نصارى العالم أن يستمعوا إلى هذا النبي أو يدرسوا سيرته ، أو يؤمن بعضهم على الأقل برسالته !! لكن شيئاً من ذلك لم يحدث فقد قال لهم المؤرخ الروماني " جيرون " :- إن سبب هذه النبوءة هو حقد محمد على كسرى بعد أن مزق له رسالة يدعو فيها إلى الإسلام !! والرسالة التي يذكرها المؤرخ الكنوب أرسلت إلى كسرى بعد هذه النبوءة ببضعة عشر عاماً !!

النبوءة كانت في العهد المكي ، والرسالة الداعية إلى الإسلام كانت في المدينة ، قبل وفاة الرسول بثلاث سنين تقريباً !...

اللهم إلا إذا كان المؤرخ الروماني يسرد الوقائع على نحو ما قال الشاعر العربي المخمور :
أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب غدا ، إن ذا من العجب

وندع موضوع اللعب بالتوريق إلى قضية الإعجاز العلمي نفسه ، فهذا الإعجاز لا يبدأ من فراغ ، إنه يبدأ من حقيقة لا يليق تجاهلها بباحث مخلص !!

لقد شعر القارئون للكاتب القليلة المنتسبة إلى السماء أن القرآن يمتاز بخاصة لا تعرف لغيره ، هي حديثه المستفيض عن الكون ، وحثه القوي على النظر فيه ، ووصفه المتكرر لأفائه ، واستخلاصه عظمة الخالق من عظمة المخلوق .

وإنك لتستأثر طوعا وكرها ، وكيف مد الظل ولو شاء لجعله مختلفا ألوانها) ^(١) ، (ألم ترى أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض) ^(٢) ...

هذه الآيات ومئات غيرها وصفت الملكوت وصفا دقيقا لا تجد في أسواره ثغرة وقد وثب العلم في عصرنا وثبات رحبة ، وعرف من أسرار العالم ما لم يعرفه الأوائل ، واستمع إلى آيات القرآن وهي تصف الكون والحياة ، فوجد تطابقا أو تقريبا يقطع بأن مصدر هذا الكلام هو خالق العالم نفسه : (قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيمًا) ^(٣)

وماذا يقول علماء الأجنة في وصف القرآن لأطوار الجنين في نشأته الأولى ، ومتابعته المذهلة لمراحل تخلفه ؟

لم يكن هناك تصوير بالأشعة يستكشف هذه الخبايا داخل جدار الرحم ، لم يكن هناك علم تشريح يعرض مرئياته وتجاربه على الناس بهذه القدرة الصادقة !

أنى لمحمد هذا العلم ؟ إن أرقى الحضارات عند بعثته كانت تجهل هذه الشؤون ، فكيف بحضارة بدائية تملأ أكناف الجزيرة العربية ، وتجعل الوثنية دينها الأثير ؟؟!

لا أحب أن يستحرق أحد فيقول : إن القرآن كتاب طب أو فلك ، فليس يزعم ذلك عاقل إنه كتاب يهدي إلى الله بأسلوب يربط بين عقل الإنسان وعجائب الكون مع إرشاد إلهي يكمل قصوره ويضبط مسيره وسنعلم أن هذا الإعجاز العلمي قد اختص به القرآن الكريم وحده ، وأن غيره مستبعد ابتداء لأسباب مادية وأدبية .

وقبل أن نشرح ذلك نريد تبيان أن علماء المسلمين لم تملكهم عاطفة جامحة وهم يتابعون هذا الإعجاز ، لقد نظروا إلى دلالات الكلام وفق مقررات علم أصول الفقه ، وهو فلسفة الإسلام في استنباط الأحكام من مصادرها ، فأجازوا ما أجازوا ورفضوا ما رفضوا ...

(١) سورة الفرقان : ٤٥

(٢) سورة فاطر : ٢٧

(٣) سورة الزمر : ٢١

(٤) سورة الفرقان : ٦

وعلى أية حال فإن النظريات قابلة للتغيير ، ولا نعرض القرآن علماءنا فإن النظريات

أما الحقائق العلمية ، فإنها إذا وافقت كتابنا كانت تفسيراً حسناً له ، بل كانت تفسيراً علمياً لقوله تعالى :
﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾^(١)

والآن يجيء الكلام عن الكتب الأخرى التي تنتسب إلى السماء ، ونتساءل : هل وصف أهل دين ما - سوى المسلمين - كتابهم بأنه معجز ؟

إن التحدي لم يقع إلا في القرآن وحده ﴿ قُلْ لَنْ أَجْتَمَعْتَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(٢) ... أما الكتب الأخرى فلم تنسب إلى نفسها إعجازاً علمياً ولا بلاغياً ولا نفسياً وعرضت ما بها وكفى .

وشيء آخر نتحدث عنه مصارحين أن الوحي الإلهي المتجسد في القرآن ليست به شائبة من صنع البشر لكن الأمر الذي استقر عليه القوم في آخر تعاريفهم للوحي أنه إلهام من روح القدس لا تنفك عنه الخصائص الإنسانية عند من يتلقاه !!

هل يعني ذلك أن كلمات الكتاب المقدس تشبه أقوال الأنبياء ؟ ... تلك أمنية بعيدة المنال^(٣).

وهذا ما جعل شيخنا الغزالي يتوقف طويلاً وهو يقرأ مجلة " الدراسات العربية الإسلامية " التي يصدرها المعهد البابوي ، وهي تعلق على التفسير العلمي للقرآن الكريم قائلة :
" إن هذا التفسير الذي ظهر بين المسلمين هو محاكاة للمحاولة المسيحية التوفيقية بين التوراة والعلم التي وقعت في القرن التاسع عشر ."

وهذه جراءة مفضوحة لا نتركها تمر عبثاً ، فليست بين القرآن والعلم فجوة نحاول ردمها ، ولا مسافة نبغي تقريبها أو محوها ، إنما الفجوة العميقة والمسافة الواسعة هي بين العلم وبين التراث الديني الذي تركه كاتبو العهد القديم .

٥٤٥٠٦٦

(١) سورة فصلت : ٥٣

(٢) سورة الإسراء : ٨٨

(٣) " الطريق من هنا " ، للشيخ محمد الغزالي ، ص ١٠٩ - ١١٣ بتصرف ولختصار.

وأكاد أجزم بأن مؤلفي هذا الكتاب جمعت بينهم نية مشتركة في تلطيخ سيرة الأنبياء ، ونسبة المنساكر إليهم ، وإبراز حقيقة الدين - بعد سقوط قادته - كالحلة رديئة .

إننا نحن المسلمين نأبى كل الإباء وصف إسرائيل بأنه نصاب مخادع احتال على سرقة النبوة ، وهي حق أخيه عيصو كما يقولون ، ومثل أمام أبيه الأعمى إسحاق أنه عيصو نفسه وليس إهاب ضأن لبيدو كثير الشعر كأخيه ، وقلد صوته ... الخ .

هل النبوة منصب يسرق ؟ وهل رسل الله لصوص يسلبون الآخرين حقهم ؟ وماذا تكون حقيقة الدين بعد ذلك ؟ وماذا ينتظر من أتباعه إلا أن يكونوا خطافين ؟ وكيف يتصور الناس الألوهية فسسي هذا الجو المكفهر ؟

إن الصورة المثلى عندهم للألوهية ، كما نكرها أحد كتاب العهد القديم أن يحكي للأجيال قصة طريفة ، كان إبراهيم جالسا تحت أشجار البلوط في " ممرا " فنظر بعيدا فوجد الله قائما يمشي مع الملائكة ! فهرع إليه وسجد بين يديه وقال له :

إن كان عبدك يجد نعمة لديك فتعال وتناول الغذاء معه !!

وقبل الرب الضيافة وشارك في أكل عجل ذبحة له إبراهيم الخليل !!

إنها ألوهية عجيبة تلك التي جسدها لنا أحد كتاب العهد القديم !

والتفسير العلمي للتوراة في القرن التاسع عشر حاول أن يوفق بين الدين والعلم وهو يواجه هذه الأساطير السقيمة .

والمسلمون عندما يتحدثون عن الإعجاز العلمي للقرآن إنما يقلدون في القرن العشرين ما فعله كهان القرن التاسع عشر في العالم الغربي . ترى ما فعلوا وكيف وفقوا ؟؟

ولست الآن في مجال استعراض لما نأخذ به الآخرين من تخطيط في فهم الألوهية والنبوة ومعنى الوحي ، ومعنى التاريخ ... فذلك أمر له ميدان فسيح ، إننا فقط ننبه محرر مجلة الفاتيكان أن يكون يقظا أو حذرا قبل أن ينال منا بالباطل .

إنه يعلم أن مفكري أوروبا أحصوا نسبة قداسة ما إليها ... قداسة ؟ قداسة لنص يقول : إن ... فلا يترك المطر يهطل حتى لا يحدث فيضان آخر ، فإنه ندم على الفيضان القديم ... إله ذاهل يحتاج إلى منته ١؟

ومن أغرب ما قرأت في سفر "حزقيال" في الفقرة (١٣) حيث يقول الرب لحزقيال :
" وتأكل كعكاً من الشعير على الخبز الذي يخرج من الإنسان تخبزه أمام عيونهم - يعني بني إسرائيل - وقال الرب هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم التي اطردهم إليها ."

ترى ... ما هي محاولات التوفيق بين العلم والتوراة التي بدأت مع القرن التاسع عشر ؟ وهل هذه المحاولات هي التي نقلناها نحن المسلمون ، عندما نتحدث عن إعجاز القرآن ونجعل التفسير العلمي نوعاً من التفاسير الخادمة للوحي الأعلى ؟

يؤسفنا أن نقول إن المحرر لصحيفة الفاتيكان يهزل ، ويتحصن وهو يهاجم القرآن وراء نسيج من بيوت العنكبوت .

أجل إننا رأينا الراسخين في أهم علوم العصر يستمعون في وعي إلى ما يقال عن الإعجاز العلمي في القرآن فلما رأوا الصوت الذي انبعث من خمسة عشر قرناً يتحدث إليهم حديث خبير بأسوار الحياة ، عليم بقوى الكون والإنسان كأنما يقرأ القرآن من قديم بلغة أحدث الحقائق العلمية الحديثة ، لانته قلوبهم لنذكر الله وراح بعضهم يعلن إسلامه لأجل ما سمع ، ومنهم من قرر متابعة الدراسة مع إخوانه ، وهو مبهور مما أفاد !

الدكتور " برسو " أستاذ التشريح يقول : إن تحقيقه لبعض الآيات والأحاديث أشعره بأن القرآن وحي الله إلى محمد يقيناً . فمن أين أتت هذه المعارف التي صدقتها كشف العصر الحديث ؟

ويتساءل الدكتور " مارشال جونسون " لماذا لا يكون محمد نبياً ؟ ومعه هذا الكتاب المشحون بالنظرات الصائبة إلى العالم وقواه وأسره التي تجلت لنا في القرن العشرين ؟ نقول هل أحق منه بالنبوة من نقرأ التراث المنسوب إليهم فلا نجد به إلا محنة العقل والضمير ، ونسائس الحقد والجهل ؟؟

ويقول الدكتور " كيث مور " أساء الأجنة ، وله مؤلف مترجم إلى ثمانى لغات : " إن تصنيفنا لأطوار الجنين لم يعرف إلا أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن .

وقد أعطيت مراحل التخلق في بطن الأم أرقاما وحروفا أبجدية لا معنى لها ، ولكن الدراسات الحديثة المقارنة لعلم الأجنة وللقرآن والسنة أسفرت عن مصطلحات أخصر وأنفع تعتمد على الشكل الذي يمر به الجنين ، شكل النطفة والعلقة والمضغة والعظام وكسوة العظام باللحم ثم طور النشأة الأخيرة .
وعرض الدكتور صورا تبرز هذه الأطوار وفق ما ذكر القرآن الكريم من خمسة عشر قرنا

نقول : وبحوث اليوم كثيرة ، وبحوث الغد أكثر ، إنني أحسن الظن بالفطرة الإنسانية مادامت تسترشد بالوحي الأعلى وتتحرى مرضاة خالقها .

ومصيبة الإنسانية في نظري من فريقين : فريق يستعلي على ربه أو يفسق عن أمره ، وفريق يزور مراده ويفتري عليه .

وفي بعض الأحيان أبحث عن أسباب العوج السائد ، فأرى الذين قنموا الحق شوهوا وجهه وزهدوا الناس فيه ، وأرى الآخرين هاموا على وجوههم ، ما احترموا فطرتهم ولا أنصفوها . والمدنية الحديثة تتبع هواها وتأبى بشدة أن تخضع للدين !

ولا يزال الدين جنيرا بالإزدراء والنبيذ إذا كان رجاله يحاربون التوحيد الإسلامي ويبيتون الولايات له ، ويهاننون الإلحاد الأحمر والأصفر ولا يشتبكون معهما .

ولا يزال الدين أهلا لظنون السوء إذا وجه جهده بجنون لمحاربة تعدد الزوجات ، وصمت صمت القبور عن شيوع الزنى واللواط !!

أليس ذلك ما يفعله الفاتيكان الآن ، وما يجتهد رجاله الكبار والصغار لتحقيقه ؟ منتهزين لهزيمة التي ألمت بالمسلمين في العصر الأخير لبلوغ مأربهم

لقد انطلق العلم وحده منفردا بزمام الإنسانية جمعاء وحقيق به أن ينفرد ! من يشركه في هذه القيادة أو يستبد بها دونه ، ورجال الأديان على ما علمنا ؟

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

على أن المسلمين إذا ارتفعوا إلى سماءهم وسرورهم وسرورهم معهم . إن العالم اليوم يفكر في الانتحار ، وقد يصيبه مس فيقدم على حرب تحصد الأخضر واليابس ... فهل نصحو نحن قبل فوات الأوان ؟ وناخذ على أيدي العابثين بالأديان ؟^(١)



^(١) المرجع السابق ، ص ١١٠ - ١١٢ بتصرف ولختصار .

فقه سيدنا عمر في تطبيق النص القرآني

القرآن الكريم هو الكلمة الخاتمة لمواكب الرسالات المتعاقبة ، والباقية من تتابع الشرائع السماوية ، أنزله الله هادياً منيراً وجعله حكماً مستقيماً ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾^(١)

بيد أننا رأينا نقرأ من المنحرفين فكراً يدعون إلى تعطيل النص القرآني طلباً للمصلحة الزائفة ويستولون زعماً بما صنعه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعن هذا يقول شيخنا الغزالي : " وهذا كلام خطير معناه أن النص السماوي قد يخالف المصلحة العامة وأن البشر لهم - والحالة هذه - أن يخرجوا عليه ويعتموه وكلا المعنيين كاتب مرفوض فلا يوجد نص إلهي ضد المصلحة ولا يوجد بشر يملك إلغاء النص . ولننظر إلى ما نسب لعمر في هذا الشأن قالوا : منع سهم الزكاة أن يصرف للمؤلفة قلوبهم بحجة أن الإسلام استغنى عن تألفهم .

وفهم صنيع عمر على أنه تعطيل للنص خطأ بالغ ، فعمر حرّم قوماً من الزكاة لأن النص لا يتناولهم لا لأن النص انتهى أمدّه .

نعم ... لقد رفض عمر إعطاء بعض شيوخ البدو ما كانوا يناولونه من قبل تألفاً لقلوبهم أو تجنباً لشرورهم بعدما استطاع الإسلام أن يهزم الدولتين الكبريين في العالم فهل يظل على قلبه من أولئك البدو النهائيين ... أبعد هزيمة كسرى وقيصر يبقى الإسلام يتألف حفنة من رجال القبائل الطمّاعين ؟ ليذهبوا إلى الجحيم إذا رفضوا الحياة كغيرهم من المسلمين .

إن مصرف المؤلفة قلوبهم باق إلى قيام الساعة يأخذ منه من يحتاج الإسلام إلى تألفهم ، ويّداد عنه من لا حاجة للإسلام فيه .

وعمر وغيره من الخلفاء والحكام أعجز من أن يعطلوا نصاً ، وأتقى من أن يتقدموا بين يدي الله ورسوله ، ويجب أن تفهم التصرفات بدقة ولا تساق التهم جزافاً .

^(١) سورة النحل : ٨٩

وشبهة أخرى وهي تعطيل عمر أولاده لا قطع عليه عند جميع حكم الله إلى آخر الدهر ، ولا يقدر عمر ولا غير عمر على وقف حكم الله . وإقامة الحد شروط مقرة ، فمن سرق دون نصاب أو سرق من غير حرز لم تقطع يده ، ولا يقال عطل الحد بل يقال : لم يجب الحد !

إن عمر رضي الله عنه درأ الحد بالشبهة - كما أمرت السنة الشريفة - ولا يعاب إذا توسع في هذا الدرع ، وقدر آلام الجياع في تلك المحن المجتاحة ، ذلك تفسير ما روى عنه : إنا لا نقطع في عام جئب إنه نفذ الحد عندما وجب ، ودرأه بالشبهة عندما لم يقم .

ومن هذه الشبهات قولهم إن عمر حرم الزواج بالكتائب معطلاً بذلك قوله تعالى :

﴿ والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ﴾ ^(١) ونقول إن الزواج باليهوديات والنصرانيات مباح على الصفة التي نكر الكتاب العزيز ، من شاء فعل ومن شاء ترك - وفق رغبته - وقد تقوم حوافر على الفعل أو على الترك لا تغير الحكم الأصلي .

قال ابن حزم بعدما حكى الإجماع على إباحة تزويج الكتائبات : وإنما كره عمر ذلك لئلا يزهد الناس في المسلمات أو لمعنى آخر ... ثم قال : تزوج حذيفة يهودية فكتب إليه عمر : " خل سبيلها " فكتب إليه حذيفة : " أترعم أنها حرام فأخلى سبيلها ؟ فقال عمر : " لا أترعم أنها حرام ولكني أخاف على المؤمنات أن تزهد فيهن ولا تقبلوا عليهن " . أو كما قال .

ونظرة عمر موضع تقدير وهي لا تلغي نصاً كما رأيت ، ولكنها تلفت النظر إلى مصلحة اجتماعية تجعل تناولنا للمباحات أدق وأرشد . وللفقهاء بحوث في جواز تقييد المباح ، وفي عصرنا تجنح حكومات كثيرة إلى حظر الزواج من الأجنبية على رجال السلوك السياسي والعسكري ، وإنما تفعل ذلك حفاظاً على أسرارها وأمانها .

ويرى الشاطبي أن تقييد المباح لا شيء فيه إذا كان من دائرة " العفو " أي مما سكت الشارع عنه أما إذا كان هناك نص بالإباحة فلا مكان لتقييد ما ، حتى لا نحرم ما أحل الله . ^(٢)



(١) سورة المائدة : ٥

(٢) انظر "مستور الوحدة الثقافية بين المسلمين" ، محمد الغزالي ، ص ٣٩ - ٤١ بتصريف واختصار ، ط دار الوفاء - ط الثالثة ١٩٩٢م ..

جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

الخاتمة

وأهم النتائج والتوصيات

وبعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة مع فضيلة شيخنا الجليل محمد الغزالي في تفسيره وفكره ومنهجه أشير في هذه الخاتمة إلى أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .

فالشيخ الغزالي علم شامخ بين أعلام الفكر الإسلامي الحديث ، وأحد النخبة الممتازة من شيوخ الأزهر المبرزين الذين اضطلعوا بدور كبير في الإصلاح الديني والاجتماعي جاهد بعلمه وفكره وقلمه ولسانه ، وهبه الله العقل الحصيف والقلب الذكي والفهم الثاقب وهياً له منذ عهد الشباب تخرجاً في كلية أصول الدين ذات المجد المؤئل في جامعة الأزهر الشريف بالصوت المجلل الذي انبعث في الأمة الإسلامية أن أفيقوا أيها المسلمون وانفضوا عنكم غبار الخمول والتأخر ، وتقدموا إلى الحياة مستعدين مجدكم ، وعزكم مهذبين أفكاركم وأساليب علمكم .

وقد كانت هذه الدعوة الجريئة قد تركت في العالم الإسلامي دويماً هائلاً فكان عقل الشيخ متجاوباً معها متقهماً لها .

وكان لتفسير القرآن الكريم وبيان هدايته في العقيدة والشريعة ، والأخلاق الجانب الأكبر والحظ الأوفر من تفكيره وبحونه وكتاباته ومقالاته وجهوده الإصلاحية فهناك نظرات في القرآن الكريم ، وكيف نتعامل مع القرآن" ومسك ختامه تحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم" على ما سبق بيانه .

درس الشيخ الغزالي بوعي وفهم ونكاه تراث السلف الصالح ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كما اطلع على نزعة الأصالة والتجديد في فكرهما ، كما درس كذلك باستيعاب وفكر ثاقب فكر الإمام العظيم محمد عبده ، وتلميذه النابغة محمد رشيد رضا في تفسيره المنار ، فكان امتداداً لفكرهم وثمره طيبة من غراسهم ، فكان الشيخ رحمه الله - إذا عرضت له آية وأشكل فيها الفهم يقول " استفتي صاحب المنار " .

ومع كونه ثمرة من غراسهم واعتباره امتداداً لهم إلا أنه لم يكن مقلداً لواحد منهم وإنما كان له استقلاله في الفهم والتفكير والترجيح والاختيار ، وكانت له شخصيته المتميزة .

وللشيخ الغزالي شيوخ تلقى عنده ، من هؤلاء الشيخ محمود شلتوت الذي أصبح فيما بعد شيخ الأزهر ، وقدرة ملحوظة في هذا المجال إلى جانب رسوخ قنمه في مجال الفقه والشريعة والشيخ عبد العظيم الزرقاني الذي كان مدرسا بكلية أصول الدين ، وهو صاحب كتاب " مناهل العرفان في علوم القرآن " وكان رحمه الله على ما وصفه الشيخ الغزالي يجمع بين العلم والأدب .

ولسنا نشك أن أعظم من تأثر به شيخنا الغزالي من الرجال هو الإمام الشهيد حسن البنا . فكانت للشيخ الغزالي مكانة مرموقة ، ومنزلة رفيعة جعلته في مقام التقدير والاحترام في قلوب معاصريه من العلماء . ثم ازداد التقدير والاحترام بعد وفاته ممن جاء بعده من طلاب وعلماء ومفكرين ، لأنه صاحب قدم راسخة ومكانة متميزة لا يرقى إليها إلا الأفاضل من العلماء .

وتمثلت فيه الإمامة بمعانيها الأصيلة الجليلة ، فالإمامة تبدأ من أعماق النفس شعورا بالذات واحتفاظا بالشخصية الذاتية والمعنوية واعتزازا بالكرامة واحتراما للعلم ، ولذلك رفض الشيخ الغزالي الرضوخ للضغوط والأهواء فظل محتفظا بكرامته وشخصيته مهما كانت الظروف إذ تعلقوا حاجة النفس فوق كل حاجة ، وهذه هي أصول الإمامة .

وبهذا الوعي بالذات أنف الشيخ الغزالي من التقليد في العلم - والتعصب المذهبي المقيت - والاستقلال في الفهم والاستنتاج لا يأتي من فراغ بل لا بد له من مصادر وقد استقى الشيخ الغزالي تفسيره من مصادر أصيلة وقيمة لها وزنها في التفسير والفقه والعقيدة واللغة وهي لعلماء أفاضل مبرزين وأئمة أمثال الفخر الرازي والقرطبي ، والزمخشري ، والطبري ، ومن المعاصرين محمد عبده و" المنار " للسيد محمد رشيد رضا وغيرهم ، وإن كان الشيخ عليه سحائب الرحمة - لا يصرح بالنقل عن هؤلاء اللهم إلا صاحب المنار .

لكن من قرأ التفسير يشعر بأن الشيخ رجع إلى هذه التفسير وأفاد منها ، لكن الشيخ رائده التحقيق العلمي وهو الذي ترجح فيه الآراء بقوة الدليل وظهور الحجة وليس بكثرة الأشياخ ونبوع الآراء فكم من أقوال ذاعت وشاعت وهي بعيدة كل البعد عن روح العلم .

كان الشيخ الغزالي (قرانيا) يصدر عن القرآن في كل آرائه وأفكاره أحب القرآن ودراسة القنوان ولا شيء عنده يقف أمام دلالة القرآن ، والسنة في المقام الثاني للأحكام والتشريع بعد القرآن ولا يد فيها من التحقيق والتمحيص يقول رحمه الله : " إن صحة الحديث لا تنأت من عدالة روايته فحسب ، بل تجيء أيضا من انسجامه مع ما ثبت يقينا من حقائق الدين ، فأبى شذوذ فيه أو علة قانحة ، يخرج من نطاق

يدور مع الهوى ، بل

الحديث ، على أن اتهام حديثه
ينبغي أن يخضع لقواعد فنية دقيقة

كان الشيخ الغزالي لمأحا نواقا لمعاني القرآن ودلالته واسع الأفق قوى الحجة من كلماته الماثورة : " القرآن الكريم خلاصة ما أنزل الله من وحى في القرون الأولى ، قد توافر له من الحفظ ما ضمن له الخلود ، ولا يوجد في الأولين والآخرين كتاب وعته القرائح وسجلته الصحائف وحفه التواتر حرفا حرفا إلا هذا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .^(١)

أقام الشيخ الغزالي منهجه العلمي على أساسين اثنين يعيد بهما للإسلام أصالته وعزته وقوته :-
الأول - إعادة التفكير الإسلامي إلى موضوعيته وحرية بالبحث العلمي الدقيق والتحقيق للأراء والأفكار والموازنة بينها ثم الترجيح والاختيار بالدليل الأقوى مع الالتزام بالأصول الشرعية والعربية في الاستدلال .

الثاني - العمل على تحقيق الوحدة الإسلامية وسبكها بمشاعر المسلمين السبك الحي الملائم لأصول الإسلام ومبادئه .

وقد حرص الشيخ الغزالي على هذا المنهج فهو يرجع إلى القرآن الكريم ثم إلى السنة الصحيحة الثابتة في مختلف المسائل والآراء عملا بقوله تعالى في بيانه الإلهي :
﴿ فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾^(٢)

والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى رسوله هو الرد إلى سنته الصحيحة أما العوامل التي ساعدت الشيخ على سلوكه هذا المنهج المختار فترجع إلى أمور منها :-

١- تكوينه العلمي والفكري فقد تربي الشيخ في مدرسة الإمام محمد عبده ونهل من معينها وتشرب مبادئها - مع شخصيته المستقلة في الفكر - وعاضد رجل الفكر والدعوة الإمام حسن البنا وأزر الرجل الفقيه الشجاع الشيخ محمود شلتوت وقد تتلمذ الشيخ الغزالي على يديه .

(١) إسلامية المعرفة (مجلة فكرية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي) العدد السابع ، السنة الثانية ، يناير ١٩٩٧م.

(٢) نحو تفسير موضوعي ، ص ٦.

(٣) سورة النساء : ٥٩

٢- ما أحدثه التعصب المذهبي والله سبحانه وتعالى يقول بحبل الله جميعا ولا تفرقوا^(١) ،
ضعف الأمة وتأخرها ، ويقول : ﴿ واعتصموا

٣- ظهور الثقافات المتعددة واتصال الشرق بالغرب وقرب المسافات بوسائل الاتصال الحديثة مع ظهور النهضة الحديثة التي غيرت كثيرا من المفاهيم .

هذا وقد سافر الشيخ الغزالي إلى دول العالم المتحضر وشهد المؤتمرات الدولية ورأى الحياة تجري مسرعة في عالم الواقع وعالم الفكر فانطلق الإمام الشيخ محمد الغزالي يقرب المسافات ويسد الفجوات بين حيوية الفكر الإسلامي في أصوله القوية الدافعة إلى التقدم والحضارة وبين تأخر المسلمين في واقع الحياة المعاصرة .

فسر القرآن الكريم بأسلوب واضح ومنهج قويم جلى فيه أوجه الإعجاز القرآني في البيان والهداية وعرض السورة عرضا منظما يعطي للناظر صورة كاملة منسقة سهلة بما احتوته ويمتاز بدراسة تفسيرية هدفها الحق وأسلوبها الوضوح وأساسها الإنصاف وأولى عناية خاصة بإبراز الموضوعات الرئيسية التي احتوت عليها السورة .

وبيان أهدافها ومقاصدها والمنهج الذي رسمته لبيان تلك المقاصد والأهداف في عرض يمكن القارئ من استجلاء عظمة النظم القرآني وإعجازه وهدايته ، وسلك منهجا جديدا في أسلوب البحث وطريقة خاصة في التفسير ، وهي الطريقة الموضوعية بأن يجعل السورة وحدة واحدة يمهد أولها لآخرها ، ويصدق آخرها أولها بذكر موضوعات السورة وأهدافها الرئيسية ، ويقسم السورة إلى عناصر حسب تنوع موضوعاتها ، ويقرر المنهج السليم في استقبال هداية القرآن ويذكر خصائص الأسلوب القرآني الحكيم وقد أختار الشيخ الغزالي الطريقة الموضوعية لأنها الطريقة القويمة التي تتناسب ثقافة العصر ونوقه وتيسر للناس فهم كتاب الله والوقوف على مبادئه وهدايته .

والتفسير الموضوعي العلماء المحققون هم الذين سلكوه وخاضوا غماره وساروا في رحابه لأنه وصل اللاحق بالسابق بأسلوب واضح يعطي أحكاما صحيحة فلا يقطع الأرحام والوشائج بين المعاني المتلاحمة المتأخية ، وهو استقصاء واع لما جاء في سور القرآن كله في السورة الواحدة .

(١) سورة الأنفال : ٤٦

(٢) سورة آل عمران : ١٠٣

فليس أخطر على الباحث في الرسائل الجامعية أن يقرأ في السورة عند أطراف السورة وأجزائها الموضوعية ، بل لابد أن يستوعب النصوص بعد جمعها ومقارنتها ويستقصى أهدافها وما ترمى إليه من أحكام في السورة الواحدة .

والشيخ الغزالي لا يرى وحدة الهدف ولا وحدة الموضوع في السورة القرآنية وإنما يرى أن الأهداف والموضوعات تتلاحم وتتربط وتتكامل تكاملاً عضوياً في سور القرآن فهو يقول مثلاً في سورة النساء : " الثالث الأول من سورة النساء حديث عن الأسرة وقضاياها ، والأسرة هي المجتمع الصغير ، والثلاثان الباقيان عن الأمة وشئونها ، والأمة هي المجتمع الكبير ، فمحور السورة كلها العلاقات الاجتماعية وضرورة إحكامها وتسديدها " .^(١)

فميزة هذا التفسير أنه يضع ثبناً للموضوعات في أول كل سورة ، ويرتب المعلومات وينسقها مما يجعل القارئ يستطيع الوصول إلى مطلوبه دون عناء .

كما استطاع هذا التفسير أن يحتفظ لنفسه بالجو القرآني الذي يشعر معه القارئ أنه يسير في مجالات متصلة بالقرآن الكريم اتصالاً وثيقاً ويعترف على أنواع الهداية ، وينتفع بمبادئ القرآن وتعاليمه والترتيب والتنظيم المتقن يدلاً على أن الشيخ الغزالي كانت له عقلية ناضجة وفهم ناقب وفكر منظم فالدقة والترتيب مع النقد السليم ظاهرة تدل على الاستيعاب وسعة الأفق والتمكن في العلم .

ومنهجه في إثبات العقائد : أن العقيدة لا تثبت إلا بنص قطعي الورود وقطعي الدلالة ، لأن القطعي يفيد اليقين وذلك إنما يكون في القرآن الكريم في النصوص قطعية الدلالة من أمثال قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿ تلك عشرة كاملة ﴾^(٣) .

أما قطعية الثبوت فذلك ثابت لكل كلمة في القرآن الكريم ، ويكون في الأحاديث المتواترة قطعية الدلالة كذلك أما أحاديث الأحاد فإنها ظنية ولا تعيد اليقين ولا تثبت بها عقيدة ، وهذا الذي سلكه الشيخ هو منهج جمهور الأصوليين والمحدثين والنقهاء .

(١) نحو تفسير موضوعي ، ص ٢٤٧

(٢) سورة الإخلاص : ١

(٣) سورة البقرة : ١٩٦

وفي الأمور التي أبيهما القرآن عنها من أول سورة وردت فيها الحروف المقتطعة لا يتكلم طه : حرفان من حروف الهجاء ، وليس اسما للنبي - عليه الصلاة والسلام - ولم يرد ذلك في حديث صحيح أو هما من الحروف المفردة التي بدأت بها سور شتى ، والله أعلم بمراده منها ، وقيل : المراد إشعار العرب بأن القرآن كلام مكون من هذه الحروف التي تألفونها ومع ذلك تعجزون عن الإتيان بمثله .^(١)

وفي القصص القرآني يقرر أنه القصص الحق الذي يعبر عن الواقع ولا يجوز القول فيه بالتمثيل أو التحييل أو التأويل كما زعم أنساب المستشرقين والمستغربين .

ففي سورة يوسف يقول : " قصة يوسف قطعة من تاريخ الأحياء ، وليست رواية من صنع البشر وأدب القصة شائع في عصرنا شيوعا واسعا - وهو - على اختلاف مآنته خيال مفتعل ، ينفخ فيه المؤلف الروح ، فإذا أبطال الرواية يتحركون نحو ما رسم المؤلف لهم من وجهة ، وبما يجري على ألسنتهم من حوار ، والمسئولية بدءا ونهاية على الكاتب الذي يملئ أفكاره ، ويخدم مبادئه وأغراضه .

وقديما أختار مؤلف " كليلة ومنية " أشخاصه من الحيوانات ، فأنطقها بما شاء من جد وهزل أما التاريخ المسطور ، فهو نسق آخر تظهر فيه سنن الله في الناس ، وتجلي الحقائق نفسها على من يحسن الاستفادة منها والاعتبار ، ولذلك يقول الله لنبيه : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾^(٢) .^(٣)

أثبت إعجاز القرآن في أسلوبه ومعانيه ومحتوياته وتشريعاته ، وتكلم عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في كتابه " كيف نتعامل مع القرآن " وغيره وتصدى للحملات الصليبية على إعجاز القرآن الكريم .

سلك منهج حرية البحث العلمي في الأحكام الشرعية الفرعية فقد رأى أن حق الخلع للمرأة يكافئ حق الطلاق للرجل نكر ذلك في سورة البقرة . ورأى أن دية المرأة مثل دية الرجل ، وحجته : أن الدية في القرآن واحدة للرجل والمرأة ، والزعم بأن دم المرأة أرخص ، وأن حقها أهون زعم كائنات مخالف لظاهر الكتاب والسنة إلى غير ذلك من فقه الفروع .

(١) نحو تفسير موضوعي ، ص ٢٤٧

(٢) سورة يوسف : ٣

(٣) نحو تفسير موضوعي ، ص ١٧٨

نادى بفتح باب الاجتهاد وحث على الميل إلى القول بالنسخ - وإن كنا لا نوافق كما بينا - ويوفق بين ما ظاهره التعارض بين الآيات التي قيل بنسخها ، وأن المراد بالآية في قوله ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ ^(١) هي المعجزة التي تظهر على أيدي الأنبياء والمرسلين أو الشريعة التي يجيء بها النبي أو الرسول وهو في هذا تأثر بالإمام محمد عبده ، ورشيد رضا ، وشيخ الأزهر الأسبق محمود شلتوت .

ومن منهجه التمسك بعموم القرآن وظواهره ودلالاته لأن القرآن قطعي الثبوت والورود أما خبر الأحاد فهو ظني الثبوت والقطعي يقدم على الظني بلا خلاف .

والشيخ بهذا ينسق بين الأدلة ولا يرد أحاديث الأحاد وإنما ينظر ويرجح ويعطي الأولوية للنص القرآني ودلالاته لأنه قطعي الثبوت ثم يجيء بعده حديث الأحاد .

ولا خلاف عنده في قبول خبر الأحاد ووجوب العمل به وقد أثبت حججه إذا أثبت متنا وسندا . ونقى تفسيره من الروايات الإسرائيلية والقصص والأخبار الموضوعية ، والتعصب المذهبية ومما يدل على استقلاله الفكري :-

أولاً : أنه خالف الجمهور في مسائل منها :

أ- أن المراد بالروح في قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ﴾ ^(٢) هو القرآن وذلك حسب دلالة السياق ^(٣) .

ب- ﴿ فالملقيات ذكرا ، عذرا أو نذرا ﴾ ^(٤) النكر هنا القرآن الكريم ، والرياح هي الوسيط الناقل للأمواج الصوتية ، وسامعوا الوحي بين منتفع به وصاد عنه إنه عذر للمهتدين ونذير للضالين .

ونشير هنا إلى أن جمهور المفسرين يظن الآيتين الأخيرتين وصفا للملائكة وقد لجأ إلى تقطيع المعنى على هذا النحو لأنه لم يكن يدري أن الهواء هو الوسيط الناقل للأصوات ، مع أن ذلك أصبح من الحقائق المدروسة في علم " الفيزياء " ^(٥) .

(١) سورة البقرة : ١٠٦

(٢) سورة الإسراء : ٨٥

(٣) نحو تفسير موضوعي ، ص ٢١٩

(٤) سورة المرسلات : ٦٠ ، ٥

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٩٣

ثانيا : خالف آراء مدرسته ()

- أ- لا يقول بالتأويل في القصص القرآني وقرر أنه حقيقة وواقع .
 - ب- لا يقول بالتأويل في قضية الملائكة والجن .
 - ج- لا يقول بحرمة الربا المضاعف فقط بل يقول بان الربا قليلة وكثيرة سواء .
- أثرى العقل البشري والفكر الإسلامي وترك تراثا قيما جليلا ظهرت فيه شخصيته المستقلة ، نحض شبه الخصوم والمضللين ووضع الحقائق لكل منصف بصير .
- عقب على آراء المفسرين وينكر الرأي الراجح الذي يؤيده الدليل .
- أما عن أسباب النزول فالعبرة عنده بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالاعتبار الأول هو عموم الشريعة وخلودها وشمولها .

وخطوات منهجه في التفسير تتلخص في النقاط الآتية :

- ١- تفسير القرآن هو أقوم طريق للتفسير .
- ٢- يفسر القرآن بمقتضى السياق القرآني ودلالاته الصريحة وبمقتضى أسلوبه .
- ٣- يفسر القرآن بمقتضى اللغة العربية التي نزل بها .
- ٤- يفسر القرآن بمقتضى الأصول الشرعية العامة المستمدة من القرآن والسنة .
- ٥- إن خير عون على تفسير القرآن وقائع الكون وحوادث الزمن ، وعبر التاريخ .

التوصيات :-

١. نشر كتب الشيخ الغزالي في مجموعة كاملة تضم الأعمال الكاملة للشيخ لتكون ميسرة وموجودة أمام الباحثين والدعاة ليستفيدوا من عمله وخبرته .
 ٢. إنني أوصي بدراسة أعلام المسلمين الذين خدموا الشريعة الإسلامية دراسة مفصلة عن حياتهم وجهودهم ورؤيتهم المنهجية وحبذا لو وضعنا موسوعات تشمل هؤلاء الأعلام .
 ٣. وكذلك أوصي بدراسة موضوعية للقرآن الكريم أوسع مما بذره الشيخ ، فإن الشيخ رحمه الله بلغ الجهد قدر الطاقة أملا أن يكمل تلامذته من بعده.
 ٤. وأوصي بأن يتوسع الباحثون في دراسة إعجاز القرآن الكريم بكافة أنواع الإعجاز وأن تدرس ملادة إعجاز القرآن كمادة مستقلة في الجامعات العلمية .
- وبعد فلقد حاولت - بقدر استطاعتي - ان أكشف هذا المنهج ومميزاته وكان موقفي من الشيخ محمد الغزالي موقف التلميذ من أستاذه المتطلع إلى معرفة خصائص المنهج الذي رسمه لنفسه والأهداف السامية التي رمى إليها خدمة للقرآن الكريم ، وقد أفنت منه كثيرا إفاة علمية ودينية وخلقية ، ومع ذلك فلم يمنعني ذلك من نقده في بعض المواضع فالحق أحق أن يتبع فقد كان ذلك منهجه رحمه الله تعالى . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الجامعة الأردنية
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

الفهارس

الصفحة	رقم الآية	الآية
		البقرة
١٩١	١	"الم"
١٩١، ١٠٥، ١٠١، ٨٥	٢	"تِلْكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"
١٠١	٢١	"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ..."
٣	٢٣	"وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا"
١٠٢	٢٨	"كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ"
١٢٤	٢٩	"هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا"
١٠٣	٤٠	"يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ"
١٠٣	٤١	"وَأَمِينُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا"
٣٥	٤٤	"أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ"
١٠٣	٤٩	"وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ..."
٢٠٧	٩١	"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ..."
٢٠٧	١٠٥	"مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ"
٢٤٦ ، ٢٠٧	١٠٦	"مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا..."
٢٠٧	١٠٨	"أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ..."
١٠٥	١٤٣	"وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا..."
١٠٤	١٦٣	"وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ"
١٠٤	١٦٤	"إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..."
٥١	١٦٥	"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ..."
١٤٩	١٩٠	"وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ"
١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٣٢	١٩٥	"وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"
٢٤٤ ، ١٠٢	١٩٦	"وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ... تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ"
١١٥	٢٢٦	"لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ..."
١١٥	٢٢٧	"وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ..."
١٥٧	٢٢٨	"وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ..."
١٥٩	٢٢٩	"وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ..."
١٥٨	٢٣١	"وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا..."

١٦٣،١٦١،١٦٢	٢٣٦	"عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ..."
١٠١	٢٣٨	"حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ..."
١٦٣،١٦٢، ١٦١	٢٤١	"وَالْمُطْلَقَاتِ مَنَاعٍ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا..."
١٦١	٢٤٢	"كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"
١٠٢	٢٥٤	"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ..."
١٠٥	٢٥٥	"اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ..."
١٠٥	٢٥٨	"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ..."
٤٨	٢٦٩	"يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ..."
١٠٢	٢٨١	"وَأَنْفِقُوا يَوْمَ مَا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ..."
١٦٨	٢٨٢	"وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ..."
١٠٦	٢٨٥	"أَمَنْ الرُّسُولُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ"
١٠٧	٢٨٦	"رَبَّنَا لَا تَوَلِّجْنَا مِنْ نَسِينَا..."
<u>آل عمران</u>		
١٩١	٢٠١	"لَمْ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ"
١٩١	٣	"تَنْزِيلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا"
٢٢٠	١٨	"شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ"
١٤٣	١٩	"إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ..."
١٥٤	٣٢	"قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا..."
٢٤٣	١٠٣	"وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"
١٣٢	١٣٤	"وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"
١١٣	١٨٦	"وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ"
<u>النساء</u>		
١٦٠	١٩	"وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ .."
٣٢	٣٦	"إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا"
٢٣٢	٥٩	"فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ"
١٣٣	٦٥	"فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ"

٩٩	٦٩	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ...
١٠٠	١٠٣	"إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ..."
١٠١	١٣١	وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
٥٥	١٦٠	تَقِظَلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا ...
٥٥	١٦١	وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ ...
١٢٠	١٧١	وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةَ انْتَهَوَا خَيْرًا لَكُمْ ...
المائدة		
١٠٧	١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ
١٠٧	٢	"... لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ"
٢٣٩	٥	وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
١٠٧	٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
١٠٩	٧	وَأَنْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ
١٠٧	٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ..
١٠٧	١١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ..
١٠٩	١٢	وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ...
١١٠	١٣	وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ... فَاعْفُ عَنْهُمْ ...
١١٠	١٤	وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ...
١١١، ١٠٨	١٥	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ...
١١١	١٦	يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ...
١٠٨	١٩	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرَّةٍ...
١٠٧	٣٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا...
١٠٨	٤١	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ...
١٠٧	٥١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى..
١٠٨	٥٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ ..
١٠٨	٥٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِينًا..
١٠٨	٥٩	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْفُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا ...
١٠٨	٦٧	يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...

١٠٨	٦٨	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ...
١٠٨	٧٧	قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي بَيْنِكُمْ ...
١٠٨	٨٧	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ...
١٠٨	٩٠	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ...
١٠٨	٩٤	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ ...
١٠٨	٩٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ ...
١٠٨	١٠١	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن أَسْيَاءَ ...
١٠٨	١٠٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ...
١٠٨	١٠٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ ...
١١١	١١٩	"هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ..."
١١١	١٢٠	"لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ..."
الأنعام		
٢٢٣	١	"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ..."
١٨١	٢٢	"وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ ..."
١٨١	٢٣	ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَيَسْتَنْهَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ..."
١٨١	٢٤	"انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ..."
١٤٦	٤٨	"وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ .."
١٤٦	٤٩	"وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ .."
١٣٧	٩٩	"انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ .."
١٣٣	١١٤	"أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ ..."
٦١	١٣١	"ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ ..."
١٣٠	١٣٦	"فَمَا كَانَ لَشُرْكَائِهِمْ فَلَّا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ..."
١٨١	١٤١	"وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ ..."
١٨١	١٤٢	"وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا .."
١٣٣	١٦٢	قُلْ إِن صِلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ...
١٣٣	١٦٣	"لَا شَرِيكَ لَهٗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ..."

		<u>الأعراف</u>
٣٠	٥٤	"أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ..."
١٢٨	٧٠	"قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَذَاهُ وَنَزَرًا ..."
		<u>الأنفال</u>
٢٤٣	٤٦	"وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ ..."
		<u>التوبة</u>
١١٠	٦	"وَإِن أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ .."
١١٧	١٤	"قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ .."
١١٧	١٥	"وَيَذْهَبُ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ .."
١٨٩	٦٠	"إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .."
١٠٩	١١١	"إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ .."
١٩٦	١٢٨	"لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ"
		<u>يونس</u>
١١٨	١٠	"دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ..."
١٨٤	٤١	"لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ ..."
٢٠٠	٦٤	"لَا تَنْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ..."
		<u>هود</u>
١٧٦	١	"كِتَابٌ أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتَ مِنْ لَدُنِّ ..."
٩٩	٥٦	"...إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"
١٤٧	١٠٣	"...ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ"
١٤٧	١٠٤	"وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعْتَدٍ"
١٤٧	١٠٥	"يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ..."

		يوسف
٢٤٥	٣	تَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ لِحْسَنَ الْقَصَصِ ...
٣٨	٥٣	وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي ...
		الرعد
١٣٧	٤	وَفِي الْأَرْضِ قِطْعَ مَتَجَاوِرَاتٍ ...
٥١	١١	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا ...
٤٨	١٩	أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ ...
٨٤	٣٠	كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ ...
٨٤	٣١	وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ...
		إبراهيم
٤	١	كِتَابَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ ...
		الحجر
١٣٦	٢١	وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ ..
١٣٦	٢٢	وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا ...
١٣٦	٢٣	وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ...
١٨٥	٨٥	وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْتَعْ ..
١٨٣	٩٢	فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
		النحل
٣٩	٤	خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ ...
١٢٦	٤٥	أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمْ ..
١٢٦	٤٦	أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ ..
١٢٦	٤٧	أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ..

١٢٠	٥١	"وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ .."
١٢٤	٨٠	"وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا .."
١٢٤	٨١	"وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْهَا خَلْقَ ظِلَالًا ..."
٢٣٧، ١٧٥	٨٩	"وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ .."
٤٨	١٢٥	"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ ..."
الإسراء		
٣	٩	"إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ .."
٢٤٦	٨٥	"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ..."
٢٣٢، ٣	٨٨	"قُلْ لَنْ أُجْتَمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ..."
الكهف		
٢٢٣، ٣	١	"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ..."
٣	٢	"قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ..."
٢١٢	٥٤	"وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ..."
٢١٨	١٠٩	"قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ ..."
طه		
١٢٩	٦	"تِلْكَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ..."
١٣٧	١١	"قَلَمًا أَتَاهَا نُودِي بِأَمْرِي ..."
١٣٧	١٢	"إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاحْلَعْ نَعْلَيْكَ ..."
١٣٧	١٣	"وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ"
١٣٧	١٤	"إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي .."
١٣٧	١٥	"إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا .."
١٣٧	١٦	"قُلْنَا بِصُنْعِكَ عَنِهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا ..."
١٤٠	٩٩	"كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ..."
١٤٠	١٠٠	"مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا"

١٤٠	١٠١	"خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ .."
١٤٦	١٠٢	"يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ .."
١٤٦	١٠٣	"يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا"
١٤٧	١٠٨	"يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لِمَا وَعَجَ لَهُ .."
٢١٤	١١٣	"وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا .."
١٢٥	١٢٩	"وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ..."
		➤
		الأنبياء
١٢٠	٢٢	"لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ..."
١٢٠	٢٣	"يُسْأَلُ عَمَّا يَقَعُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ"
		الحج
٢٠٥	٥٢	".....فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ"
		المؤمنون
١٣٥	١٨	"وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ .."
١٢٩	٣٧	"إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا .."
١٢٩	٣٨	"إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ ..."
١٢٣	٨٤	"قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ"
١٢٣	٨٥	"سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ"
١٢٣	٨٦	"قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"
١٢٣	٨٧	"سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ"
١٢٣	٨٨	"قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ .."
١٢٣	٨٩	"سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّا تُسْحَرُونَ"
١٢٠	٩١	"مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ .."
١٢٠	٩٢	"عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"

<u>النور</u>		
١١٢	١	سورة أنزلناها وفرضناها ...
١١٤	١٦	ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ..
١١٤	١٩	إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ..
١١٤	٢٣	إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ ..
٩١	٣٠	كُلٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ يَخُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ..
١١٢	٣٤	وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ..
١١٥	٣٥	اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ..
١١٥	٤١	أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..
٢٠٢، ١١٥	٤٢	وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
١١٣	٤٦	لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي ...
١١٦	٤٧	وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ..
١١٦	٤٨	وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ
١١٦	٥١	إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ ..
١١٦	٥٢	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ ..
١١٧، ١١٦	٥٥	وَعدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا
١١٧	٥٦	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ..
١١٧	٥٧	لَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ
<u>الفرقان</u>		
٢٢٣	١	تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ..
١٣٠	٣	وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ..
٢٣١، ١٧٧	٦	كُلٌّ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ ..
٨٥	٣٠	يَلْرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ ..
١٧٣، ١٧٤	٣٢	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ ... لِنُنَبِّئَ بِهِ قَوْمَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا
١٧٤	٣٣	وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا
٢٣١، ١٣٦	٤٥	أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظُّلَّ ..

١٣٦	٤٦	ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا"
١٣٦	٤٧	"وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا .."
٨٧	٧٣	"وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ .."
<u>النمل</u>		
١٩١	١	"طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين"
٩٣	١٦	"وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ .."
١٥٠	٨٨	"صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي اتَّقَى كُلَّ شَيْءٍ .."
<u>القصص</u>		
٣	٤٩	"قُلْ فَاتَّبِعُوا كِتَابَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى .."
٥٧	٥٠	"وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ .."
١٢٦	٥٨	"وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا .."
١٢٦	٥٩	"وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى .."
١٢٦	٦٠	"وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .."
<u>العنكبوت</u>		
١٤٢	٤٠	"فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا .."
١٤٦	٦٤	"وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ .."
<u>الروم</u>		
١٨٥	٦٠	"قَاصِرِينَ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا .."
<u>لقمان</u>		
٢١٨	٢٧	"وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ"

١٥٠	٧	"الذي أحسن كل شيء خلقه .."
		الأحزاب
١٤٥	٢٨	"إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ..."
١٤٥	٢٩	"وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .."
		سبا
١٧٧	٣	"عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ .."
١٢٥	٩	"أَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ .."
١٤٧	٢٠	"وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ..."
١٤٧	٢٢	"قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ .."
٢١٩	٤٦	"قُلْ إِنَّمَا أُعْطِكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي .."
		فاطر
٢٣١	٢٧	"أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ..."
١٢٥	٤٥	"وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ .."
		يس
١٤٤	٥١	"وَنَفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ .."
١٤٤	٥٢	"قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقِينَا .."
١٤٤	٥٣	"إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْخَةً وَاحِدَةً .."
١٣٥	٨٢	"إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"

		<u>الصفات</u>
١٨٣	٢٤	"وَقَوْمُهُمْ مِنْهُمْ مَنْتَوُونَ"
١٤٤	٥٨	"أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ"
١٤٤	٥٩	"إِنَّا مَوْتَنَّا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعْتَبِينَ"
١٤٤	٦٠	"إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"
		<u>ص</u>
٨٦,٨٣	٢٩	"كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ .."
		<u>الزمر</u>
٢٣١	٢١	"أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً .."
٢١٣	٢٣	"اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا .."
١٤٥	٣٠	"إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ"
١٤٥	٣١	"ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ"
١٣٠	٦٢	"اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ"
١٣٠	٦٣	"لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .."
١٣٠	٦٤	"قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَنِي أَنْعْبُدَ إِلَهًا الْجَاهِلُونَ"
		<u>غافر</u>
١٩١	١	"حم"
١٩١	٢	"تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"
١٣٤	٥٧	"لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ .."
١٤١	٨٢	"أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ .."
١٤١	٨٣	"قَلَمًا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا .."
١٤١	٨٤	"قَلَمًا رَاوَا بِأَسْنَاءٍ قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ .."

		<u>فصلت</u>
٢٠٢	٤٢	"مَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ .."
٢١٦	٤٤	"وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ .."
٢٣٢، ٨٩	٥٣	"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ .."
		<u>الشورى</u>
٢٢٧	٣٦	"فَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .."
٢٢٧	٣٧	"وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ .."
٢٢٧	٣٨	"وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ .."
		<u>الزخرف</u>
١٨٥	٨٣	"قَدْ رَأَوْهُمْ يَخْرُضُوا وَيَلْعَبُونَ .."
		<u>الحاثية</u>
١٩١	١	"حم"
١٩١	٢	"تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"
١٣٤	٣	"إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ"
١٣٤	٤	"وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ .."
١٣٤	٥	"وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ .."
١٣٤	٦	"تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ .."
١٢٤	١٢	"اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ .."
١٢٤	١٣	"وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .."
٢٠٥	٢٩	"... إِنْ كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"
٩٨	٣٦	"قَلِيلٌ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"
٩٨	٣٧	"وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"

الأحقاف		
١٣٥	٣	"مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ..."
١٣٦	٤	"كُلُّ لَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ..."
١٣٦	٥	"وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ..."
١	١٥	"... رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ..."
محمد		
١١٨	١	"الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ..."
١١٨	٢	"وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..."
١١٨	٣	"تِلْكَ بَيِّنَاتٌ لِقَوْمٍ كَفَرُوا أَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ..."
١١٨، ١١٧	٤	"فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ..."
١١٨	٥	"سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْسِنَتِهِمْ..."
١١٨	٦	"وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ الَّتِي كَانُوا يُوعَدُونَ..."
١١٨	٧	"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّصَرُفُوا..."
١١٨	٨	"وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ..."
١١٨	١٥	"مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ..."
١١٩	١٦	"وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا..."
١١٩	٢٠	"فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ..."
١١٩	٢٥	"إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أُنْبُسِهِمْ..."
١١٩	٢٦	"تِلْكَ بَيِّنَاتٌ لِقَوْمٍ كَفَرُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ..."
١١٩	٢٧	"فَكَذَّبُوا إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ..."
١١٩	٢٨	"تِلْكَ بَيِّنَاتٌ لِقَوْمٍ كَفَرُوا مَا أَنْخَطَطَ اللَّهُ..."
١١٩	٣٠	"وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ قَلْعَتَهُمْ..."
١١٨	٣٢	"إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ..."
١٢٠	٣٥	"فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ..."
١٢٠	٣٨	"هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِنُفْسِكُمْ..."

		<u>الحجرات</u>
١٩٨	٦	"... إِنْ جَاعَكُمْ فَاسْقُ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ..."
٣٥	٧	"... وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ ..."
٣٥	٨	"فَضَلْنَا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"
		<u>ق</u>
١٨٥	٣٩	"فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ..."
		<u>الذاريات</u>
٣٨	٤٧	"وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ"
٣٨	٤٨	"وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ"
٣٨	٤٩	"وَمَنْ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ..."
٣٨	٥٠	"فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ"
٣٨	٥١	"وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ..."
		<u>النجم</u>
٣٨	٤٢	"وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ"
		<u>القمر</u>
١٢٤	٢٢، ١٧	"وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُكْرِمٍ"
٢١٧	٤٠، ٣٢	
		<u>الرحمن</u>
١٨٣	٣٩	"فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ"
١٨٣	٤١	"يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ ..."

		الحديد
٩٣	١٣	"... فضرب بينهم بسور له باب ..."
٣٤	٢١	"سابقوا ... والله ذو الفضل العظيم"
		الحشر
١٤٥	١٨	"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتتظر ..."
١٤٥	١٩	"تكونوا كالذين نسوا الله ..."
		الصف
١٣١	٤	"إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله ..."
		الطلاق
١٦٨ ، ١٦٥	١	"يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ... لا تدري لعل الله يحدث ..."
١٦٨	٢	"فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن ... وأشهدوا نوى ..."
		الملك
٢٢٣	١	"تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير"
١٥٠	٣	"... ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ..."
١٥٠	٤	"ثم لرجع البصر كرتين ينقلب ..."
١٤٤	٦	"وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير"
١٤٤	٨	"تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي ..."
١٣١	٢٠	"أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم ..."
١٣١	٢١	"أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه ..."

		<u>القيم</u>
١٩١	١	"ن والقلم وما يسطرون"
١٩١	٢	"ما أنت بنعمة ربك بمجنون"
١٩٢	٥١	"وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك ..."
١٩٢	٥٢	"وما هو إلا نكر للعالمين"
		<u>الحاقة</u>
١٤٨	١٩	"... هاؤم اقرعوا كتابه"
١٤٨	٢٠	"إني ظننت أنني ملأق حسابي"
١٤٨	٢١	"قهو في عيشة راضية"
١٤٨	٢٢	"في جنة عالية"
١٤٩	٢٥	"وأما من أوتي كتابه بشماله ..."
١٤٩	٢٦	"ولم أند ما حسابه"
١٤٩	٢٧	"باليها كانت القاضية"
١٤٩	٢٨	"ما أغنى عني ماليه"
١٤٩	٢٩	"هلك عني سلطانيه"
		<u>المزمل</u>
٨٢	٢	"قم الليل إلا قليلا"
٨٢	٣	"تصفه أو انقص منه قليلا"
٨٢	٤	"أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا"
٨٢	١٠	"والصبر على ما يقولون واهجرهم ..."
٨٢	١١	"وذري والمكذبين أولى النعمة ..."
٨٢	١٢	"إن لدينا أنكالا وجحيما"

		<u>المدثر</u>
٢١٤	٣٢	"كلا والقمر"
٢١٤	٣٣	"والليل إذ أدير"
٢١٤	٣٤	"والصبح إذا أسفر"
٢١٤	٣٥	"إنها لأحدي الكبر"
٢١٤	٣٦	"تنذيرا للبشر"
٢١٤	٣٧	"لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر"
٢١٤	٣٨	"كل نفس بما كسبت رهينة"
٢١٤	٣٩	"إلا أصحاب اليمين"
٢١٤	٤٠	"في جنات يتساءلون"
٢١٤	٤١	"عن المجرمين"
٢١٤	٤٢	"ما سلككم في سقر"
٢١٤	٤٣	"قالوا لم نك من المصلين"
٢١٤	٤٤	"ولم نك نطعم المسكين"
٢١٤	٤٥	"وكنا نخوض مع الخائضين"
٢١٤	٤٦	"وكنا نكذب بيوم الدين"
٢١٤	٤٧	"حتى أتانا اليقين"
٢١٤	٤٨	"فما تنفعهم شفاعة الشافعين"
		<u>القيامة</u>
١٤٥	٥	"بل يريد الإنسان ليفجر أمامه"
١٤٥	٦	"يسأل أيان يوم القيامة"

		<u>المرسلات</u>
٢٤٦	٥	"قَالْمَتَّعَاتِ نَكَرًا"
٢٤٦	٦	"عُزْرًا أَوْ نَفْرًا"
		<u>النازعات</u>
٩٤، ٩٠	١٧	"أَذْهَبْ إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى"
		<u>عيس</u>
١٩١	١١	كَلَّا إِنَّهَا تَنْكَرَةٌ
١٩١	١٢	تَمَنَّ شَاءَ نَكَرَةٌ
١٩١	١٣	فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ
١٩١	١٤	مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ
١٩١	١٥	بِأَيْدِي سَفَرَةٍ
١٩١	١٦	كِرَامٍ بَرَرَةٍ
		<u>المطففين</u>
١٢٣	١٢٦	"خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ"
		<u>الانشقاق</u>
١٢٣	٦	يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ ...
١٢٣	٧	"أَمَّا مَنْ لَوَّتِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ"
١٢٣	٨	"فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا"
		<u>الأعلى</u>
١٧١، ٥٨	١٨	"إِن هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى"
١٧١، ٥٨	١٩	"صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى"

		<u>الغاشية</u>
١٨٥	٢١	"فَنَكَّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْكَرٌ"
١٨٥	٢٢	"لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُستَظِرٍّ"
		<u>الشمس</u>
٥١	٩	"قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا"
٥١	١٠	"وَقَدْ خَابَ مَنْ نَسَّاهَا"
		<u>العلق</u>
٣٠	١	"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"
٣٠	٢	"خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ"
١٩٢ ، ٣٠	٣	"اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ"
١٩٢ ، ٣٠	٤	"الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ"
١٩٢	٥	"عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"
		<u>البينة</u>
١٩١	٢	"رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً"
١٩١	٣	"فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ"
		<u>الزلزلة</u>
١٤٧	٦	"يَوْمَئِذٍ يَصْنَعُ النَّاسُ أَشْتَاتًا ..."
١٤٧	٧	"فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ"
١٤٧	٨	"وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ"
		<u>الكافرون</u>
١٨٤	٦	"لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ"

		<u>الإخلاص</u>
٢٤٤ ، ١٢١	١	هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
١٢١	٢	الصَّمَدُ
١٢١	٣	يَلِدُ وَلَمْ يُولَدْ
١٢١	٤	يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

مرتب حسب ترتيب حروف الهجاء

الصفحة	طرف الحديث	رقم التسلسل
١١٢	"أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له"	١
٢٠٠	"إقرأه في شهر"	٢
٢٠٣	"القرآن كله صواب ما لم تجعله مغفرة ..."	٣
٩٩	"اللهم أعني على ذكرك وشكرك"	٤
١١٢	"اللهم لك الحمد"	٥
١٥١	"إن الله كتب الإحسان في كل شيء"	٦
١٨	"إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا ..."	٧
١٢٥	"إن الله يغار ..."	٨
٢٠٣	"أنزل القرآن على سبعة أحرف ..."	٩
٢٠٩	"إنما نهيتكم أي عن أكل اللحوم من أجل الدافة"	١٠
١٤٩	"إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ..."	١١
٥٥	"أياها أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ ..."	١٢
١٤٥	"أياها عبد نبت لحمه من سحت ..."	١٣
١٩٦	"بعث إلى أبو بكر لمقتل أهل اليمامة ..."	١٤
٢٠١	"جمع القرآن على عهد رسول الله ..."	١٥
٢٠١	"خذوا القرآن من أربعة ..."	١٦
٢٠٣	"سميعة ، عليما ، عزيزا ، حكيمًا ما لم تخلط ..."	١٧
٣٨	"فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ..."	١٨
١٠٠	"قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ..."	١٩
٨٧	"كان خلقه القرآن ..."	٢٠
١٦٦	"كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد ..."	٢١
٢٠٩	"كلوا وأطعموا وادخروا"	٢٢

٢٢٦	"... لا	٢٣
٢٠١	"من جمع القرآن على عهد النبي ..."	٢٤
١	"من لا يشكر الناس"	٢٥
١٨٧	"وإذا سألت فاسأل الله"	٢٦
١٨٧	"يقال لقارئ القرآن ..."	٢٧
١٩٨	"يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة ..."	٢٨
١٦٦	"فردّها علي رسول الله ..."	٢٩
١٦٦	"وكان عبد الله طلق تطليقة ..."	٣٠
١٦٦	"يا رسول الله أفتحسب تلك التطليقة؟ ..."	٣١

أولاً : تفسير القرآن الكريم وعلوم القرآن الكريم :-

- ١- الجامع لأحكام القرآن الكريم ، لأبي أحمد عبد الله الأنصاري القرطبي ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٢- مناهل العرفان في علوم القرآن ، للشيخ عبد العظيم الزرقاني ، الجزء الأول ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة . ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
- ٣- النبأ العظيم ، للشيخ محمد عبد الله الدراز ، دار القلم ، الكويت .
- ٤- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن ، محمد الغزالي ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثانية . ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

ثانياً : الحديث الشريف :-

- ١- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، تأليف الإمام الحافظ زكي الدين عبد العظيم ابن عبد القوي المنذري ، ضبط أحاديثه وعلق عليها مصطفى محمد عماره ، ج ٣ ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٠٧ هـ - ١٨٧ م .
- ٢- الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، تحقيق وشرح / أحمد محمد شاکر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ٣- سنن أبي داود ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٤- سنن الدار قطنى ، للإمام

الدارقطنى ، عني بتصحيحه وتنسيقه وترقيمه وتحقيقه السيد عبد الله هاشم يماني ، دار

المحاسن للطباعة ، القاهرة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

٥- صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير للكاتبين - جزء ١ - ٦ .

٦- صحيح مسلم ، بشرح النووي ، حققه وخرجه وفهرسه عصام الصبابطي ، حازم محمد ،

عماد عامر ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الإمام الحافظ أحمد بن علي حجر العسقلاني ،

راجعته قصي محب الدين الخطيب ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي وقام

بإخراجه محب الدين الخطيب . طبعة دار الريان للحديث . القاهرة .

٨- المستدرک علی الصحیحین ، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري دار الكتاب العربي ،

بيروت .

٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة جديدة مصححة

مرقمة الأحاديث ومفهرسة .

١٠- المعجم الصغير لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ، مؤسسة

الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى جديدة ومزينة ومنقحة ١٩٨٦ م .

ثالثاً : مراجع الفقه :-

١- الأحوال الشخصية ، الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة

١٩٥٧ م .

٢- الأحوال الشخصية وفقه الأسرة ، د. محمد بلتاجي ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

٣- أصول الفقه ، الدكتور التوفيق النمونجية

للطباعة ، القاهرة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤- أصول الفقه ، محمد الخضري بك ، الإستقامة ، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٨هـ -

١٩٣٨م.

٥- شرح الورقات في أصول الفقه ، عبد الله بن صالح الفوزان ، دار مسلم ، الطبعة الثانية

١٤١٤هـ.

٦- فقه السنة ، سيد سابق ، المجلد الثاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثامنة

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٧- الفقه المقارن للأحوال الشخصية بين المذاهب الأربعة السنية والمذهب الجعفري والقانون

، للدكتور بدران أبو العينين بدران ، الجزء الأول ، دار النهضة العربية ، بيروت ،

١٩٦٧م.

رابعاً : علوم أخرى :-

١- الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، محمد الغزالي ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، الطبعة

السابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٢- الإسلام والمناهج الاشتراكية ، محمد الغزالي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر

والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

٣- الإسلام في وجه الزحف الأحمر ، محمد الغزالي ، دار الريان للتراث ، الطبعة التاسعة

١٩٨٧ م .

٤- الجانب العاطفي من الإسلام ، محمد الغزالي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٨

هـ - ١٩٩٧ م .

٥- جند حياتك ، محمد البكري ، مركز أبحاث الرسائل الجامعية ، ١٩٨٧م

٦- الحق المر ، محمد الغزالي ، الجزء الثاني ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٧- خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة ، إعداد : قطب عبد الحميد قطب ،

مراجعة الدكتور محمد عاشور ، الجزء الأول ، دار الإعتصام القاهرة ، الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٨- الداعية الشهيد محمد الغزالي ، د. عبد المصري ، دار الاعتصام.

٩- دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، للشيخ محمد الغزالي ، الأنصار ، القاهرة.

١٠- الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، محمد الغزالي ، مكتبة وهبة ، القاهرة

، الطبعة الثالثة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

١١- ركائز الإيمان بين العقل والقلب ، محمد الغزالي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة

الثالثة ١٤١٤ هـ - ١٩٨٧ م .

١٢- سر تأخر العرب والمسلمين ، محمد الغزالي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، طبعة

خاصة بتصريح من دار الشعب.

١٣- السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث ، محمد الغزالي ، دار الشروق ، القاهرة ،

الطبعة العاشرة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

١٤- الشيخ الغزالي صور من حياة مجاهد عظيم ودراسة لجوانب فكره ، بأقلام : د. عماد

الدين خليل ، د. رمضان عبد التواب ، د. عبد الحلیم عويس . د. محفوظ عزام ، دار

الصحوة للنشر ، القاهرة ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .

١٥- الشيخ الغزالي كما ضاوي ، الطبعة

الأولى.

١٦- الطريق من هنا ، الشيخ محمد الغزالي ، دار القلم ، الطبعة الثانية ١٩٩٦م .

١٧- العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي ، المحرر د. فتحي حسن ملكاوي ، المعهد

العالمي للفكر الإسلامي ، مكتب الأردن ، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية /

مؤسسة آل البيت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .

١٨- علل وأبوية ، محمد الغزالي ، دار التوفيق النموذجية ، القاهرة ، الطبعة الثانية

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤م .

١٩- الغزو الثقافي يمتد في فراغنا ، محمد الغزالي ، مؤسسة الشرق للعلاقات العامة

والنشر والترجمة ، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

٢٠- قذائف الحق ، محمد الغزالي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ -

١٩٩٧م .

٢١- كيف نتعامل مع القرآن ، للشيخ محمد الغزالي في مدارس أجراها الأستاذ د. عمر

عبيد حسنة ، دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م .

٢٢- المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، الشيخ محمد الغزالي ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة

، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م .

٢٣- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ، الشيخ محمد الغزالي ، دار نهضة مصر ،

الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

٢٤- نظرات في القرآن ، الشيخ محمد الغزالي ، دار الكتب الإسلامية ، الطبعة السادسة

١٤٠٦ هـ - ١٩٩٧م .

خامساً : المعاجم والمجلات :-

- ١-إسلامية المعرفة - مجلة فكرية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالمي للفكر الإسلامي (عدد خاص عن الشيخ محمد الغزالي) ، العدد السابع ، السنة الثانية ، رمضان ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢-المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطأ بن مالك ومسند أحمد بن حنبل ، إعداد الإتحاد ، نشره ا.ي.ونسنك وآخرين ، استانبول ، دار الدعوة ، ١٩٨٦ م.
- ٣-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

الصفحة	الموضوع
١	شكر وتقدير
١٠-٣	المقدمة
١١	الباب الأول: الشيخ الغزالي وبينته "
١٥-١٢	الفصل الأول: مولده ونشأته
١٧-١٦	الفصل الثاني: شخصيات إسلامية في حياة الشيخ
١٩-١٨	الفصل الثالث: أخلاقه
٢٥-٢٠	الفصل الرابع: ثناء الناس عليه
٣٣-٢٦	الفصل الخامس: ثقافته
٣٤	الفصل السادس: الحركة العلمية في عصر شيخنا
٣٤	الحركة العلمية التقليدية
٤٢	الحركة العلمية التجديدية
٤٧	الفصل السابع: جهاده في نشر الدعوة
٥٠	خصائص الداعية عند الغزالي
٦٤-٥١	الإصلاح الذي يدعو له الغزالي
٨١-٦٥	الفصل الثامن: عطاؤه الفكري
٨٢	الباب الثاني: الشيخ والقرآن الكريم
٨٩-٨٣	الفصل الأول: منهج الشيخ في فهم القرآن الكريم
٩٢-٩٠	المبحث الأول: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي
٩٤-٩٣	المبحث الثاني: التفسير الباطني والتفسير الإشاري
٩٥	المبحث الثالث: منهج الشيخ في تفسير القرآن الكريم الوحدة الموضوعية
١٢١-٩٨	المبحث الرابع: نماذج من تفسيره الموضوعي لسور القرآن
١٢٢	المبحث الخامس: نماذج من تفسيره الموضوعي لآيات القرآن
١٢٧-١٢٢	١- نماذج وصور من النوع الأول
١٥٤-١٢٨	٢- نماذج وصور من النوع الثاني
١٣٣-١٢٨	١- الله الواحد
١٣٩-١٣٣	٢- الكون الدال على الخالق

٣- القطر مركز أبحاث الرسائل الجامعية

٤- البعث والجزاء

٥- ميدان التربية والتشريع

المبحث السادس : الأحكام الفقهية في تفسيره ومناقشها

١- حق الخلع للمرأة يكافئ حق الطلاق للرجل

٢- المتعة

٣- الطلاق السني والإشهاد عليه

الفصل الثاني : جهوده في علوم القرآن

المبحث الأول : كيف نزل ولماذا خلد ؟

المبحث الثاني : تاريخ نزول القرآن الكريم وسببه

المبحث الثالث : ثبوت القرآن الكريم

المبحث الرابع : جمع القرآن الكريم

المبحث الخامس : موقفه من النسخ والرد عليه

المبحث السادس : إعجاز القرآن الكريم

٢١١

١- النفسي

٢- البياني

٣- العلمي

الفصل الثالث : دفاعه عن القرآن الكريم

المبحث الأول : القرآن والعلم

المبحث الثاني : القرآن والكسب العلمي

المبحث الثالث : حملة صليبية على الإعجاز العلمي

المبحث الرابع : فقه سيدنا عمر في تطبيق النص القرآني

٢٣٩

الخاتمة

٢٤٧-٢٤٠

أهم النتائج

٢٤٨

التوصيات

٢٤٩

الفهارس

٢٧٠-٢٥٠

فهرس الآيات

٢٧٢-٢٧١

فهرس الأحاديث

٢٧٨-٢٧٣

فهرس المراجع

جميع الحقوق محفوظة

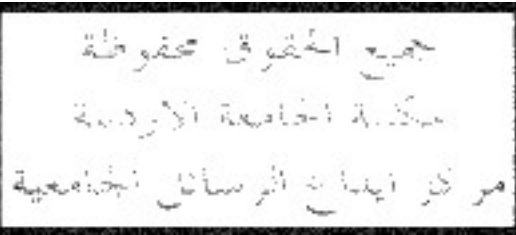
مكتبة الجامعة الأردنية

٢٧٩

.....

مركز أبحاث الرسائل الجامعية

فهرس الموضوعات.....



*University of Kuwait
Faculty of Post-Graduate Studies
Koranic Interpretation and Sciences*

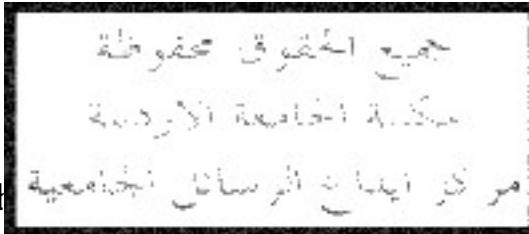
Sheikh Mohammed Al-Ghazally; His Influence on Koranic Studies

**Thesis for the MA Degree in Koranic
Interpretation and Sciences**

**Prepared By:
Manahil Abdulla Abdul-Aziz Al-Zamil**

**Supervised by:
Prof. Abdul-Aziz Saqr, Assistant Professor of Koranic
Interpretation and Sciences
Faculty of Sharia, University of Kuwait**

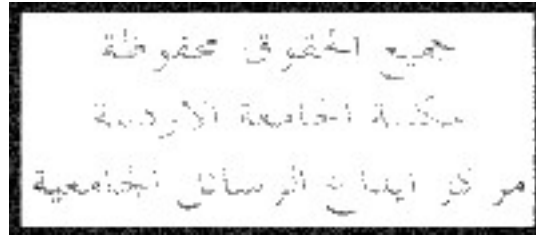
1420 AH, 1999 AD



to interpret for the and it and follow its commends in the proper way. Hence, many controversial interpretations appeared in different ages. These interpretations conveyed the different discretion of interpreters, scholars of jurisprudence, linguistics, and fundamentalism, et al.

The most common way was analytical interpretation meaning that the interpreter would paraphrase the verse of Koran line after another, chapter by chapter according to their order in the Book. It remained the same for a long while until the Renaissance came in the fourteenth century AH, when it came with an innovative way of interpretation introduced by the great reformer Gamaludin Al-Afghani and his disciple Imam Mohamed Abdu then the scholar Mohamed Rashid Reda, then great men of Azhar Muftis and others. The masters of these schools thought the latent meanings of Koran should be explained. The wrong inclusions of Israelite scriptures were excluded together with word-of-mouth unsupported Hadith or pompous grammar styles or stylistics and metaphors.

Those who sought honest interpretation of Koran looked for the guidance of beliefs, Sharia, morals and the eternal miracles of Koran.



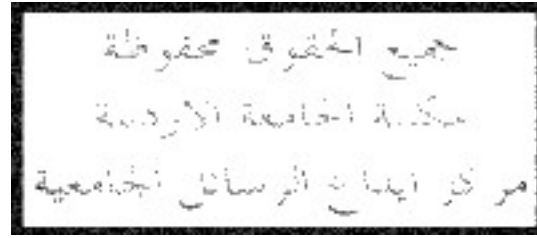
God's command to scholars throughout history is to exert effort and dedication to the interpretation of Koran, each to his own limit.

With the march of time the world became even more ever-changing with the introduction of the seventh decade of the fourteenth AH century, corresponding to the fifth decade of AD 20th century, when we needed an interpretation that suits the needs of this age and the culture of its people.

This is when the great Imam Mahmoud Shaltout, the Sheik of Azhar introduced an interpretation of the Holy Koran in an objective way but he did not complete it as it stopped at the first ten parts only.

Thereafter, Imam Mohammed Abdulla tried the same in his book Al-Naba Al-Azim but he stopped Al-Baqara chapter (the cow).

After these milestones, came the great Imam Mohammed Al-Ghazali - God bless his soul - who took the same path of guidance to people so he said the last word in his book "Towards an Objective Interpretation of Koran Chapters".

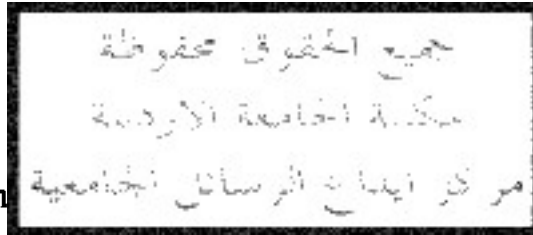


The Imam stated his method saying that the aim for which I introduced an objective interpretation for every chapter of the holy book. Such interpretation differs from locational interpretation as the latter deals with the verse and groups of verse explaining terms, grammar and commands.

The first tries to draw a picture for the whole verse to get to know the latent ties that connect them together and extend meaning from beginning to end and vice versa.

I have given great attention to objective unity even if its issues are too many. I followed the track of Imam Mohamed Abdulla Daraz when he approached Al-Baqara chapter (the cow) - the longest chapter in Koran - rendering it a very colorful interpretation as evident in his great book Al-Nabaa Al-Azim, the first objective interpretation as I tend to believe.....”.

Scholars of Koran have some divine grace that helps them unleash the secret and mysteries. Al-Ghazali, God Bless his soul - said: “I select verse that outlines the features of a picture and I leave the rest for the



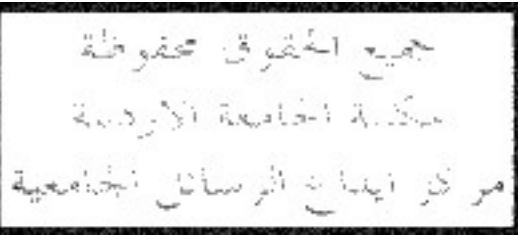
reader to infer more from my interpretation does not become sporadic, lengthy and redundant.

I would like to call attention to the fact that objective interpretation doesn't compensate for the locational. It is complementary back-up. There is another meaning for locational interpretation that I have never tackled, which is tracing the same meaning throughout Koran and mention it all together in the same point. Many issues were approached in this way and I introduced in my book "The Five Axes of Holy Koran" and "Koranic Associations".

There is no doubt that Koranic studies need that other method. Some people think that it will overrule the future.

Reason Behind Choosing this topic:

- 1.This method grasped my attention and I liked the new style that I really wanted to explore it and study its characteristics and privileges. Our great Sheik said that Koranic studies need this type of interpretation.
- 2.Sheik Mohammed Al-Ghazali was the most prominent scholar of his time. He was an eloquent man with good command and insight into people and into the meanings of Koran, and its references and he



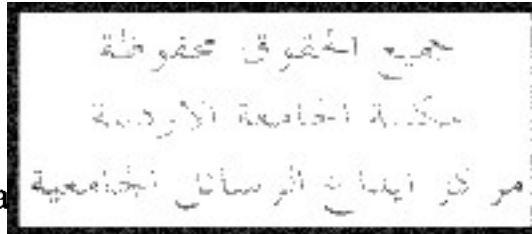
grasped the method of the needs of his age so he came up with an up-to-the-point easy-to-understand meanings and explanations. I wanted to know all about his personal scientific and empirical life. That life that was a grace from God to us for more guidance.

- 3.Exploring the Sheik independence of thought when interpreting and deducting within the rules of Koranic interpretation.
- 4.Sheik Ghazali's Koranic studies gained a lot of attention from professional and public circles alike because the method combined elaboration of both Koranic miracle and guidance.

Sheik Ghazali is worthy of study and research due to his magnitude and great contributions. Thus, I choose my research topic to be "Sheik Ghazali and his impact on Koranic Studies".

The Importance of the Research:

To explore the contributions of this great Islamic thinker and understanding the method Mohamed Al-Ghazali took up when interpreting the Book of Allah in relation to commands and rules of justice and righteousness, and linking interpretation to reality. Ghazali was very down-to-earth so he introduced to his contemporaries what

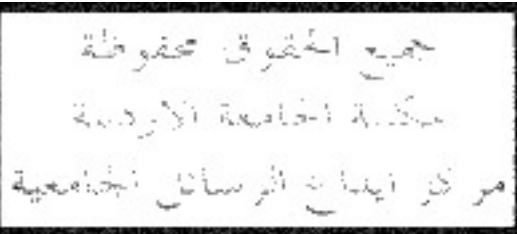


can be beneficial. He took a great transformational step with interpretation to the stage of criticism, elaboration, and comparison in easy language and clear thought. He addressed new civilization with a productive approach to guide it to the path of happiness and success by Koran.

Another aspect the importance of this research is exposing the method of objective Koranic interpretation in which we try to trace chapter unity and association. The glory of Koran is in its miraculous language and impartiality to sects, traditions or tribes. It does not imitate ancestors nor does it copy any opinion.

This interpretation came as a result of unity in which the Sheik did not want to paraphrase but expose the aim and latest topics and means of a chapter by unprejudiced or over-enthusiastic ways.

Sheik Ghazali handled the issues of great importance to Muslims when interpreting the issues of great issue to Muslims. I have lived with him in these issues to explore his method. I came to the conclusion that he is a master.



He was an independent and a very individual character; First, he disagreed with others about some points, second, he disagreed with some opinions of his own school, both as indicated hereinafter.

Recommendations:

1. The books of Ghazali should be published in one complete volume to give researchers and missionaries the chance of exploring all his writings easily.
2. Great Islamists must be studied in elaboration to shed light on their lives, methods and works. I would be a good idea to complete an encyclopedic book on them.
3. A comprehensive Koranic study must be conducted in furtherance of the harvest of Mohammed Al-Ghazali who exerted his best effort hoping that his student will take the lead later on.
4. Extensive researching must focus on studying the miracles of Koran that should be taught separately in Universities.

I have tried my best in this research. I hope the Lord bestowed on me the insight into the right and the wrong. I ask him more guidance and enlightenment. My last statement and prayer is that "Praise be to the Lord, the Master of both worlds".